

الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية
في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

محمد ناجي ماضي عميره

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الله عويدات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات منح درجة
دكتوراه فلسفة في التربية تخصص أصول التربية

كلية الدراسات التربوية العليا
جامعة عمان العربية للدراسات العليا
تشرين أول 2005

التفويض

أنا محمد ناجي ماضي عميره أفوض جامعة عمان العربية للدراسات العليا

بتزويد نسخ من أطروحتي إلى المكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو

الأشخاص عند طلبها.

الأسم : محمد ناجي ماضي عميره

التوقيع:

التاريخ:

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة وعنوانها: الفكر التربوي للأحزاب
السياسية العربية في المشرق العربي في النصف الثاني
من القرن العشرين.

وأجيزت بتاريخ: ١٤/١١/٢٠١٤

التوقيع

.....

.....

.....

.....

.....

رئيسا

عضوا

عضوا

عضوا ومشرفا

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور خالد العمري

الدكتور حسن جميل طه

الدكتور يزيد السورطي

الأستاذ الدكتور عبد الله عويدات

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى، أولاً وأخيراً، الذي ألهمني الطموح وطلب العلم وسدّد خطاي ووفّقني إلى ما يحبه ويرضاه.

وأتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الدكتور عبد الله عويدات الذي قبل الإشراف على هذه الأطروحة وأعطاني من علمه وجهده ووقته الشيء الكثير حتى آتني هذا الجهد أكّله، وكان مثالا للعالم

المتواضع والموجّه الواضح، والصديق المعطاء

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الكرام في جامعة عمان العربية للدراسات العليا - كلية الدراسات التربوية العليا، لما أولوني إياه من اهتمام ورعاية وما قدموه من عون، وما أخذته عنهم من

علم، وما وفروه لي من معرفة.

والشكر موصول إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة وهم:

– الأستاذ الدكتور خالد العمري

– الدكتور حسن جميل طه

– الدكتور يزيد السورطي

على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة وعلى ما أبدوه من ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة.
ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني في عملي هذا، وخصوصاً ابني المهندس أشرف الذي تحمل مشقات
طباعة الرسالة والتعديلات الكثيرة المتكررة عليها خلال إعدادها حتى تهيئتها بثوبها الحالي.
كما أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الوافر إلى جميع أولئك الأخوة والأخوات الذين أمدوني بالوثائق والكتب
والدراسات التي اعتمدت عليها في هذه الأطروحة، وأخص بالذكر الزملاء د.سهير سلطي التل، والأستاذ موفق
محادين، د. مأمون فريز جرار، والمرحوم سلطي صالح التل والمرحوم محمد عبد الكريم الصبيحي مدير مكاتب
أمانة عمان الكبرى والأستاذ عماد أبو عيد مدير مكتبة مؤسسة عبد الحميد شومان والأستاذ الدكتور هاني العمدة
مدير عام مكتبة الجامعة الأردنية - سابقاً، والأستاذ نضال محمد سعيد مضية، فتلك خدمات جلى لا تنسى.

الإهداء

إلى روح أبي الذي علمني الجرأة في الحق والشجاعة في القول
إلى روح أمي التي علمتني الصبر وألهمتني الطموح والمثابرة
وإلى زوجتي التي وقفت إلى جانبي دائماً وأنا أخطو درجات سلّم العلم درجة درجة، وكانت صابرة
ومكافحة وناصحة
وإلى ولديّ لؤي وأشرف اللذين كانا معي في كل خطوة خطوتها، وفي كل كلمة كتبتها، آملاً أن يكون هذا
الجهد ملهما لهما وللأجيال القادمة في طلب العلم وحب المعرفة،
وإلى ذكرى المرحوم سلطي صالح التل مثقفاً وصاحب موقف، ولما عرفته فيه من مبدئية وثبات على ما
كان يرى إنه الحق والعدل.

فهرس المحتويات

الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تحليلية نقدية	أ
التفويض	ب
قرار لجنة المناقشة	ج
شكر وتقدير	د
الإهداء	و
فهرس المحتويات	ز
الملخص	ح
ABSTRACT	ي
الفصل الأول: خلفية الدراسة	1
مقدمة:	1
مشكلة الدراسة:	8
أسئلة الدراسة:	9
أهمية الدراسة:	9
تعريف المصطلحات:	10
الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات ذات الصلة	12
أولاً: الإطار النظري	12
ثانياً: الدراسات ذات الصلة	130
الفصل الثالث: الطريقة والإجراءات	140
منهج الدراسة:	140
الطريقة:	140
محددات الدراسة:	141
الفصل الرابع نتائج الدراسة	142
1. الفكر التربوي في برامج الأحزاب الشيوعية العربية	142
2. الفكر التربوي في برامج جماعة الإخوان المسلمين	172
3- الفكر التربوي في برامج الحزب السوري القومي الاجتماعي:	183
4. الفكر التربوي في برامج حزب البعث العربي الاشتراكي	196
الخلاصة:	221
الفصل الخامس: مناقشة نتائج الدراسة والاستنتاجات والتوصيات	224
أولاً: مناقشة نتائج الدراسة:	224
ثانياً: الاستنتاجات	233
ثالثاً: التوصيات والاقتراحات:	238
المراجع	242

الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية
في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

محمد ناجي ماضي عمايره

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الله عويدات

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين.

وشملت الدراسة الأحزاب السياسية التالية في دول المشرق العربي (الأردن وفلسطين ولبنان وسورية والعراق):

1. الحزب الشيوعي.

2. جماعة الإخوان المسلمين.

3. الحزب السوري القومي الاجتماعي.

4. حزب البعث العربي الاشتراكي.

وتمثل هذه الأحزاب الاتجاهات والتيارات الفكرية الأساسية وهي: الماركسية والإسلامية والقومية السورية والقومية العربية على التوالي.

وقد وجد الباحث أن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع نادرة، ولمس أن هناك حاجة ماسة إلى دراسته دراسة علمية موضوعية، وحاول الإجابة عن السؤال المركزي التالي: ما الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين؟ وانبثقت عن هذا السؤال أسئلة فرعية تتصل بالفكر التربوي لكل حزب من الأحزاب المشار إليها أعلاه.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي التحليلي معتمدا على أدبيات الأحزاب المشمولة بالدراسة ووثائقها وقرارات مؤتمراتها المختلفة وآراء بعض قادتها ومؤسسيها وأعضائها، وكذلك على مقابلات شخصية مع بعض القياديين البارزين فيها.

وقد دلت نتائج الدراسة على أن اهتمام الأحزاب المشمولة بها بالفكر التربوي كان متفاوتا، ولم تتبلور لدى أي منها نظرية تربوية متكاملة، كما أن بعضها اهتم بجانب دون آخر من جوانب الفكر التربوي، على الرغم من أنها جميعا تنطلق من منطلقات فكرية ذات مرجعيات فلسفية ومعظمها فلسفات وضعية باستثناء جماعة الإخوان المسلمين التي تنطلق من مفاهيم دينية إسلامية. ولاحظ الباحث أن جماعة الإخوان المسلمين كانت أكثر اهتماما بالشأن التربوي، وأن حزب البعث العربي الاشتراكي حاول تأصيل فكره التربوي، وأبدى المزيد من الاهتمام بالتربية بعد أن تولى الحكم في سورية والعراق، بينما أظهرت الدراسة أن الحزب السوري القومي الاجتماعي أقرب هذه الأحزاب إلى امتلاك فكر تربوي نابع من نظرية فلسفية متكاملة، أما الأحزاب الشيوعية فقد برز من بينها الحزب الشيوعي اللبناني كنموذج لرؤية ماركسية في التربية.

وأوصى الباحث الأحزاب السياسية العربية المشمولة بالدراسة بوضع برامج تربوية محددة، وإيلاء المزيد من الاهتمام بالجانب التربوي والنظريات التربوية الحديثة والاستفادة منها في حل المشكلات التربوية التي تعاني منها المجتمعات العربية. كما اقترح إجراء المزيد من الدراسات المعمقة على البرامج التربوية للأحزاب السياسية العربية في مختلف أنحاء الوطن العربي نظرا لافتقار المكتبة العربية إلى مثل هذه الدراسات في رأيه.

THE EDUCATIONAL THOUGHT OF THE ARAB POLITICAL PARTIES
IN THE EASTERN ARAB WORLD
DURING THE SECOND HALF OF THE 20TH CENTURY
(Analytical Critical Study)

Prepared by:
Mohammad Naji Mfaddi Amayreh

Supervised by:
Professor Abdullah Oweidat

AMMAN ARAB UNIVERSITY FOR GRADUATE STUDIES
COLLEGE OF EDUCATIONAL SCIENCES FOR GRADUATE STUDIES
2005

ABSTRACT

This study aims at identifying the Educational Thought of the Arab Political Parties in the Eastern Arab world in the second half of the 20th century. It covers: Jordan, Palestine, Lebanon, Syria and Iraq. These parties are:

1. The Communist Party.
2. The Muslim Brotherhood
3. The Syrian National Social Party.
4. The Arab Socialist Ba'ath Party

They reflect activates of the thoughts and ideological doctrines, which are based upon the foundations of: Marxism, Muslim Movement, Arab Nationalism and The Syrian Nationalism.

The author has found that the studies in this subject are very rare; and thus, there is a real need to write this study which is objectively an academic study; it answers the following central question: What is the educational thought of the arab political parties in the Eastern Arab world during the second half of the 20th century? Thereafter, four sub-questions are derived from the main question to deal with the educational thought of each of the already mentioned parties.

The author has used the descriptive historical analytical method, depending on the literature of the parties concerned, by studying documents, reports of their different conferences, private statements of some of their leaders, founders and members. It is, also, referred to personal meetings with some of their famous leaders.

The results of this dissertation show that the concerned parties approached to the educational thought in different ways, and thus no complete educational theory developed by each party. Some parties give no specific, but unclear educational thought. This point appears an acceptable, because all those parties have had founded upon objective philosophies, except the community of Muslim Brothers who have founded their theories with reference to Islamic doctrine.

The author notes that the community of Muslim Brothers has given more carefulness with educational thought, philosophy, aims and educational elements. The Arab social Ba'ath party has tried to originate its own educational thought, especially when the party governed Syria and Iraq. Besides, the study shows that the Syrian national social party has a real educational thought, which is shown as a completely philosophical theory. On the other hand, the communists' parties have no such elusions, but the Lebanese communist party only has modeled the Marxist ideology in education.

Therefore, the author recommends to the whole parties, concerned in this study, to have put educational specific plans. This is due when these parties show their interests in the modern educational theories, which should benefit in solving the educational problems occurred in the Arab societies. The author suggests, also, that researches on this project should be made about the educational plans of the whole Arab political parties throughout the Arab world. The Arab library is still in need of such studies.

الفصل الأول: خلفية الدراسة

مقدمة:

تمثلت المسائل الأساسية، التي شغلت الأحزاب السياسية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين في الوطن العربي، بقضايا سياسية وفكرية وأيديولوجية في المقام الأول، حيث انشغلت تلك التنظيمات بقضايا التحرر السياسي الوطني والقومي والتغير الاجتماعي، ومواجهة التحديات الخارجية والقهر والاستبداد ومعالجة مشكلات الفقر والجهل والمرض التي عانى منها المجتمع العربي بعامة طيلة القرن الماضي، وما يزال.

ولقد ظل سؤال التقدم والنهضة والتطور مطروحا، في الوطن العربي على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين، وحتى الآن؛ وقد أقلق هذا السؤال مؤسسي الأحزاب السياسية وقادتها ومفكريها، مثلما أقلق المفكرين والمثقفين والعلماء والمصلحين الاجتماعيين والنخب الاجتماعية والثقافية خلال الفترة ذاتها. وكانت محاولة إيجاد جواب عملي شاف عن هذا السؤال، محط اهتمام هؤلاء جميعا خلال الفترة الممتدة بين القرن التاسع عشر والنصف الأول منه بشكل خاص، ونهايات القرن العشرين الذي انصرم دون أن يصل هؤلاء جميعا إلى أجوبة مقنعة أو حلول مرضية أو قنوات كافية.

وعلى الرغم من التشخيص الدقيق للأدواء التي تعاني منها الأمة خلال القرنين الماضيين والتي تمثلت بعوامل عديدة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، داخلية وخارجية على حد سواء؛ فإن النتائج لم تصل إلى ما يرضي الناس أو يطفئ غليلهم أو يلبي أشواقهم إلى النهضة التي تعني التحرر والتقدم واللاحاق بركب الدولة العصرية في الغرب أو مواكبة العصر وتغييراته السريعة.

ولذلك ظلت الأمة العربية تعاني من جملة من الأزمات العامة في السياسة والاقتصاد والاجتماع التي تمثلت في التجزئة والاستعمار والإمبريالية والتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغياب الحريات العامة، وتدني مستوى العدالة، وسيطرة الاستبداد وتفشي الفقر والبطالة والجهل والمرض، وازدياد نسبة الأمية بشتى أنواعها وتعبيراتها.

فإشكالية التقدم هي في جوهرها إشكالية الحياة الإنسانية برمتها، وهي كذلك "إشكالية الوجود السياسي والوجود العاقل للمجتمع البشري، وبالتالي فهي واحدة من المسائل التي لا ينتهي البحث فيها، ولا ينبغي أن ينتهي أبدا. كما أنها من الإشكاليات التي لا يتوقع الإنسان أن يجد لها الحلول الجاهزة، أو أن يقف موقف الواعظ الذي يعطي الحلول". (بدران، 1991، ص5).

لقد حاولت الجماعة العربية خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين الكثير من أجل "إعادة تكوين عناصرها ولحمها وتشكيل نفسها كمدنية فاعلة ضمن الحضارة الجديدة. أي كذات مستقلة وعاملة"، وكانت محاولة محمد علي، بمشروعه النهضة الكبير التصنيعي والتوحيدي في منتصف القرن التاسع عشر، أولى تلك المحاولات وأكثرها طموحا؛ غير أنها لم يكتب لها النجاح. فقد سقطت تحت ضربات التدخل الأجنبي الغربي، لأنها بقيت حركة عسكرية (بيروقراطية) فوقية عاجزة عن تعبئة الطاقات العربية الفاعلة في تلك الحقبة والموزعة في مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية الواسعة. (غليون، 1985، ص6).

وأعقت تجربة محمد علي المجهضة مرحلة جديدة انبثقت من الثغرات التي كانت تعاني منها تلك التجربة وهي الجانب الفكري. وانطبعت بذلك بطابع فكري أساسي. لهذا تسمت باسم "مرحلة النهضة" أو "اليقظة" العربية التي حاولت إعادة لحم عناصر الجماعة العربية من خلال فكرة إصلاحية وأدبية. فقد قدمت مساهمات كبيرة في هذا المجال، كتجديد أسس العقائد الدينية أو الأدب أو اللغة أو العلوم.

وكان لتلك الحركة النهضوية تطلعات سياسية، لهذا تجسدت في تكوين الجمعيات العربية السرية والعلنية، والنوادي والجمعيات الخيرية والأدبية والعلمية، والأحزاب السياسية .. وبرزت منها جمعية العهد، وجمعية العربية الفتاة وغيرها. ويقول انطونيوس (1987) "إنّ تشكيل تلك الجمعيات كان أول جهد منظم في حركة العرب القومية، ويعود إلى سنة 1875، أي قبل ارتقاء السلطان عبد الحميد العرش بسنتين، حين أُلّف خمسة شبان، ممن درسوا في الكلية (البروتستنتية) في بيروت، جمعية سرية. وكانوا جميعا نصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية، ويمثلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد".

غير أن هذه النواة السياسية للحركة كانت أضعف من أن تقف في وجه حركة التفكك الطاحنة التي كان يتعرض لها المجتمع العربي - الإسلامي، فتحوّلت إلى منظمات انقلابية صغيرة معزولة التأثير. ومع إطلالة القرن العشرين أخذ الوعي القومي العربي سياقاً وحدوياً برز في اتجاهات أربعة هي:

1. اتجاه يدعو إلى الحكم اللامركزي في الدولة العثمانية بحيث تحصل الولايات العربية على نوع من الاستقلال الذاتي، من شأنه أن ينمي الشخصية العربية ويحافظ على اللغة القومية ويضمن إدخال إصلاحات في الإدارة والتعليم والمواصلات والحياة الاقتصادية والاجتماعية. وقد بنى هذا الاتجاه حزب اللامركزية العثماني وجمعيتنا بيروت والبصرة الإصلاحيتان.
2. اتجاه ينادي بإنشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي وترتبط بالمملكة العثمانية ارتباط المجر بالنمسا في الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية في تلك الفترة من الزمن. ويمثل هذا الاتجاه جمعيتنا العهد والقحطانية السريتان.
3. اتجاه يرفض الخلافة العثمانية ويعتبرها غير شرعية، ويدعو إلى خلافة عربية قرشية. ويمثل هذا الاتجاه عبد الرحمن الكواكبي ونجيب عازوري.
4. اتجاه يدعو إلى الثورة على الأتراك والانفصال التام عن الدولة العثمانية وإنشاء دولة عربية مستقلة تضم الولايات المتحدة العربية في الدولة العثمانية. ويمثل هذا الاتجاه جمعية العربية الفتاة. (محافظة، 2000، ص 45-46).

واشدت وطأة التطاحن الاستعماري على النفوذ والهيمنة واقتسام ثروات المنطقة العربية التي كانت تحت سيطرة العثمانيين، فكانت الاتفاقية الروسية الفرنسية البريطانية 1915، واتفاقية سايكس - بيكو 1916. وقد كان كل ذلك إيذانا بانطلاق الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف الحسين بن علي في 10 حزيران 1916 بهدف تحرير العرب واستقلالهم وتحقيق وحدتهم. (محافظة، نفسه، ص 47). ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى انكشفت وعود الحلفاء الغربيين عن خدعة. وقضى الاحتلال الأوروبي على آمال النهضة العربية قبل بزوغها، وفرض على العرب نظام التجزئة والحماية والانتداب الأجنبي. (دروزة، 1971، ص 11).

لقد كانت النهضة العربية المغدورة رد فعل على مرحلة الانحطاط والتخلف التي أنتجها الحكم العثماني الطويل والاستبداد الحميدي والتعصب الطوراني؛ فالانحطاط في المجتمع العربي الذي وصل إلى مستوى ضياع الشخصية والهوية لا يمكن أن يتحول إلى نقيض متجاوز له، إلا بانبعث الشخصية من جديد. لذلك كان المفهوم العلمي للنهضة العربية هو مفهوم (الانبعاث القومي) المقترن بمفهوم (الثورة الاجتماعية) والنهوض الحضاري. ويرى فرح (1986) أن حركة النهضة العربية المعاصرة مرت بمرحلتين رئيسيتين:

أ. المرحلة العفوية التي امتدت حتى منتصف القرن العشرين. واستمرت طيلة أكثر من قرن. وكانت مرحلة تفتيش عن الهوية الضائعة، وتلمس لحقيقة الوجود، واستيقاظ وتذكر، ومحاولة تشكيل نواة ووعي جديد. لذلك كانت تعبر عن نفسها في أشكال سلبية من الرفض للآخر: الاستعمار والاحتلال الأجنبي قبل أن تكون تعبيراً عن مفهوم للحرية يكشف عدوانية الوجود الاستعماري جنباً إلى جنب مع العوامل الأخرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعطلة للحرية في المجتمع العربي.. وهي رفض لقيم التخلف وللمفاهيم الرجعية قبل أن تحدد مفهومها للتقدم. وتمثل رد فعل النهضة في المجتمع العربي خلال المرحلة العفوية، كما يرى فرح، في تيارين إصلاحيين كبيرين: الأول ركز على بعث التراث، والثاني ركز على مفهوم النهضة الحديثة. وكلاهما كان أسيراً للمنظور الحضاري الغربي نفسه سواء في رد الفعل عليه أو تمثله وتبنيه. فالتيار الأول المتمثل بمدرسة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وخير الدين التونسي وعبد الرحمن الكواكبي، بقي ضمن مفهوم الإصلاح الديني والعقائدي كأساس للإصلاح السياسي والاجتماعي؛ وهو مفهوم مستمد من الغرب وتجربته في الإصلاح الديني. أما التيار الثاني المتمثل بمدرسة اليازجي والبستاني وشبلي شميل وأديب اسحق وسلامة موسى، فقد بقي يفكر في إطار المفاهيم والمقاييس الغربية للتحديث والتطور والعقلانية والعلمانية.

ب. مرحلة (الثورة العربية) ذات الأيديولوجية والأداة الثورية والاستراتيجية التي تحدد المهمات والأهداف المرحلية على ضوء المبادئ الأساسية المستمدة من (النظرية العلمية الثورية)، في النصف الثاني من القرن العشرين. وقد تميزت بالخروج من إطار المنظور الغربي للإصلاح، وانطلقت من منظور حضاري انبعاثي جديد، كما يرى فرح. وخلال أكثر من نصف قرن، استمرت عوامل المقاومة في التفاعل داخل المجتمع العربي. وتبلورت شيئاً فشيئاً في مواجهة الاحتلال الأجنبي جبهات وطنية مكوّنة من أحزاب سياسية متعددة المشارب والاتجاهات، نجحت في صياغة برنامج جديد للحركة العربية مضمونه الأساسي هو الاستقلال، وتكوين نظام إقليمي عربي عبر عن نفسه بتأسيس الجامعة العربية التي جسدها وضبط صياغتها أكثر فأكثر تيار القومية العربية الذي برز قوة فاعلة في مرحلة ما بعد الاستقلال منذ الخمسينات. وتمثل ذلك في حزب البعث وحركة القوميين العرب والحركة الناصرية، بشكل خاص.

إن الصراع في المرحلة العفوية الأولى كان مع الاستعمار وقوى سياسية واجتماعية واقتصادية رديفة له؛ أما المرحلة الثانية فقد شهدت صراعا ضد التجزئة والتخلف والأمية والجهل والفقر والمرض، وضد سيطرة طبقات اجتماعية معيّنة على السلطة وتفردتها بالنفوذ في مختلف الدول العربية إلى جانب الوجود الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. وما جرّه ذلك كله على المنطقة من حروب وكوارث ودمار وضعف. غير أن أدوات الصراع في المرحلتين كانت مختلفة ومنظورها كان ذلك. لقد غلب على المرحلة الأولى طابع الصراع السياسي، في حين تعمق النضال السياسي الاجتماعي في المرحلة الثانية متمثلاً في شعارات المرحلة: الحرية والوحدة والاشتراكية، وباختلاف شديد بين القوى والأحزاب السياسية وتعبيراتها المختلفة على ترتيبها وألوياتها. (فرح، 1986، ص 132-134).

لقد نشأت الأحزاب السياسية (موضوع الدراسة) في المشرق العربي في المرحلة الثانية بشكل خاص، وكانت تعبيرا عن طبيعة المرحلة وأهدافها ومتطلباتها. ولم تنشأ هذه الأحزاب من فراغ؛ غير أنها أخذت طابع التشكيلات الحزبية في أوروبا وأميركا بشكل عام، وإن كانت تلبية لاحتياجات شرائح اجتماعية مختلفة على الصعد الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فانتمت إلى التيارات: (الليبرالية) والقومية الاشتراكية، والقومية (الشوفينية) أو المتعصبة، والإقليمية، والدينية و(الماركسية) فظهرت الاتجاهات السياسية التالية:

1. الاتجاه الإسلامي (السلفي أو الأصولي).
2. الاتجاه الماركسي (الشيوعي و الأممي).
3. الاتجاه القومي العربي.
4. الاتجاه القومي السوري.
5. الاتجاه الوطني (حسب البلد الذي ينشأ فيه الحزب). (غليون، 1985، ص7).

إن تضارب الاتجاهات واختلاف المنطلقات الفكرية والأيدولوجية بين هذه الأحزاب أدى إلى صراع حاد بينها، ولم يكن اختلافا هادئا يحله الحوار وتبادل الأفكار. وقد شهدت دول المشرق عددا من الانقلابات العسكرية، إثر تدخل الجيش في السياسة مع مرحلة ما بعد الاستقلال، خصوصا في سورية والعراق، في إطار صراع مرير على السلطة والنفوذ تحت العديد من الشعارات البراقة في العمل للوحدة والتحرير والتحول الاشتراكي والنهوض والتقدم والمشاركة الشعبية.

ومع وقوف العالم على بدايات القرن الواحد والعشرين، يكون قد مضى قرن كامل على تبلور القضية العربية الحديثة في أهداف وطنية وقومية، سياسية واقتصادية واجتماعية ثقافية. وهي فترة زمنية ذات أهمية بالغة بالنسبة للتاريخ الحديث والمعاصر. لقد تحققت في العالم كله خلال المئة سنة الأخيرة خطوات عملاقة على صعيد تطور البشرية في الميادين كافة ، ومع ذلك فإن نصيب العرب من هذا التطور ما زال دون طموحهم بكثير. وهذا، كما يرى محمد عابد الجابري، يحملنا على التساؤل: هل تمكن العرب فعلا من تحقيق نهضتهم؟ هل يعيشون اليوم في الواقع ما عاشوه منذ مائة عام في "الحلم"؟ هل حققوا من التقدم ما يكفي لجعل مشروع النهضة ذاك يتحول فعلا إلى مشروع لـ "الثورة"؟ وهل تقدموا إلى الأمام، أم انهم يغالبون، بدون أمل، الخطى التي تنزلق بهم إلى الوراثة؟ (الجابري، 1982، ص5). وهي تساؤلات ظلّت مطروحة على نطاق واسع بين المفكرين والسياسيين والمثقفين العرب حتى الآن.

لقد تتبع الباحث واقع الأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ولاحظ أنها تنتمي إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية من تلك التي سبق ذكرها في هذا المدخل. ولاحظ أيضا أن هذه الأحزاب ظلت تختلف حول أي النموذجين الحضاريين تأخذ وأيهما تترك. وظلت تتقاذف الاتهامات وتتبادل التشكيك والادانات. ولهذا انقسمت بشكل واضح بين تيارى: السلفية والعلمانية. بين النموذج الحضاري الأوروبي والغربي، وبين النموذج العربي الإسلامي. حيث شكل النموذج الأول الذي كان تحديه لهم ثقافيا وعسكريا المهماز الذي أيقظهم وطرح مشكل النهضة عليهم، بينما شكل النموذج الثاني السند الذي يؤكد على الذات في مواجهة التحدي الآخر. فحمل النموذج الأوروبي إلى العرب في آن واحد الحرية والقمع عبر الأيديولوجيا (الليبرالية) والتدخل الاستعماري، وكان النموذج العربي الإسلامي مثقلا بالركود والانحطاط الذي تراكم عبر قرون طويلة من سيطرة الاستبداد وتفشي الجهل والتخلف الاجتماعي والاقتصادي. فالتعامل نهضويا مع النموذج الأوروبي يتطلب السكوت عن الجانب الاستعماري فيه. وهذا غير ممكن لأن الاستعمار الأوروبي بالذات يعوق نهضتهم ويهدد وجودهم. ولا بد من مقاومته. بينما كان التعامل مع النموذج العربي الإسلامي يتطلب بدوره السكوت عن قرون طويلة من "الانحطاط" وهذا غير ممكن، كذلك. ولهذا رأى الجابري أن العربي يجد نفسه مضطرا عندما يختار أحد النموذجين أن يخوض حربا ضد النموذج الآخر، أو العمل على فضح المسكوت عنه. وهنا برز الخيار الثالث الذي مال إلى التوفيق بين النموذجين تحت مسميات عدة منها الأصالة والمعاصرة، ومنها الخصوصية القومية، ومنها التأكيد على الهوية والذات العربية. (الجابري، 1982، ص 17-20).

وإذا كانت الأحزاب السياسية العربية قد حاولت أن تقدم طروحاتها وبرامجها للنهوض بالأمة وإصلاح أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن تجربتها التي امتدت قرابة نصف قرن، وما تزال، تحتاج إلى تقييم وتقويم. وإذا كان الجانب السياسي من هذه التجربة وتلك البرامج قد لقي الدراسات العديدة، فإن جانب اهتماماتها التربوية لم يجد إلا نفرا قليلا من الدراسات، وكانت دراسات جزئية أو دعوية أو ممالئة. لهذا وجد الباحث نفسه مهتما بمعالجة هذه المسألة والبحث فيها من منطلق شمولي، وبمنهج علمي والتزام بالحياد والموضوعية، محاولا استقصاء الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية في دول المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين.

مشكلة الدراسة:

وجد الباحث حاجة ماسة إلى دراسة الفكر التربوي لدى الأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين. وهي حاجة معرفية وحاجة عملية معا. فأما الحاجة المعرفية فإن أهميتها تزداد في ظل حاجتنا إلى التغيير الشامل في المجتمع العربي، وسعينا الدائب إليه، من خلال قنوات متعددة تبرز الأحزاب السياسية في طليعتها، بوصفها من أهم مؤسسات المجتمع المدني. ومعرفة فكر هذه الأحزاب التربوي تساهم في تسليط الضوء على دورها الحالي في هذا المجال وتحليله ونقده، بهدف تطوير التجربة وإغنائها وإثرائها. ولا يزعم الباحث أنه ينهض بهذا الجهد وحده، بل حسبه أن يضع لبنة في جدار هذا البناء المنشود، أو يمهّد الطريق أمام باحثين آخرين لاستكمال المسيرة وتدارك النقص.

لقد شهد القرن العشرون في سنواته الأخيرة تطورا تراكميا في مسار الأحداث، حتى أن الفكر السياسي أخذ يتحدث عن مرحلة نوعية جديدة، أو على الأقل، عن انتهاء مراحل تطاولت في الزمان طيلة مئة عام تقريبا؛ لأن ما يحدث في العالم ينعكس انعكاسا مباشرا ومؤثرا على أمتنا العربية لأسباب عدة، منها: الموقع الجغرافي والاستراتيجي للوطن العربي، وأهمية الثروات القومية، وموقع الثقافة العربية من الثقافة العالمية، وغيرها من العوامل التي تؤكد الترابط العضوي البنيوي بين الأمة العربية والبشرية جمعاء. (الأحمر، 2000، ص 17).

ومن هنا تبدو أهمية المسألة المعرفية على المدى المنظور الذي يشهد تطورات العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية قبل السياسية والاقتصادية. وهذه المعرفة تتطلب معرفة الذات أولا قبل معرفة الآخر، لأن معرفة الذات تعزز مفهوم الهوية والخصوصية إزاء الآخر، وفي مواجهة تحديات العولمة المتعاضمة. وهكذا برزت مشكلة الدراسة في استقصاء الفكر التربوي للأحزاب العربية في المشرق العربي في القرن العشرين، وتسليط الأضواء عليه، وفحصه وتحليله ونقده، تمهيدا لـ "نظرية تربوية عربية" متكاملة. وهذه الأخيرة هي الحاجة العملية التي تخدمها المعرفة التي نبحت عنها، باعتبارها حاجة أولى ماسة.

أسئلة الدراسة:

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن السؤال التالي:

- ما الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية في المشرق في النصف الثاني من القرن العشرين؟
وقد انبثقت عن هذا السؤال المركزي مجموعة الأسئلة التالية:
1. ما الفكر التربوي للحزب الشيوعي في كل من سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق في النصف الثاني من القرن العشرين؟
 2. ما الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين في كل من سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق في النصف الثاني من القرن العشرين؟
 3. ما الفكر التربوي للحزب السوري القومي الاجتماعي في كل من سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق في النصف الثاني من القرن العشرين؟
 4. ما الفكر التربوي لحزب البعث العربي الاشتراكي في كل من سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق في النصف الثاني من القرن العشرين؟

أهمية الدراسة:

أما أهمية الدراسة فتبين من خلال افتقار المكتبة العربية إلى دراسات حول الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية وتلبية إلى الحاجة المعرفية والحاجة العملية اللتين أشار إليهما الباحث، وتغطية النقص الموجود في الساحة الفكرية والتربوية العربية وبذلك يضيف الباحث إلى المعرفة في هذا المجال ما يعززها ويغنيها، ويتيح الفرصة لدراسات لاحقة لتقويم التجربة التربوية للأحزاب المعنية فرادى أو مجتمعة.

إن دراسة الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية دراسة تحليلية نقدية تساهم في توضيح صورة المطلوب من الأحزاب في المجال التربوي، وتساعد على وضع برامج أكثر تفصيلاً وأكثر جدوى، مما يثري الفكر الاجتماعي ويعزز دور التربية الاجتماعي، كما أنه يعزز دور الأحزاب في الحياة الاجتماعية والثقافية. ذلك أن المفروض أن تكون هذه الأحزاب، باعتبارها مؤسسات اجتماعية عامة، شريكا أساسيا في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، والسياسية بصفة عامة لكونها تحمل رايات التغيير والإصلاح وصولاً إلى التقدم الاجتماعي وتحسين صورة المستقبل.

تعريف المصطلحات:

يعتقد الباحث أن لتحديد المصطلحات والمفاهيم أهمية قصوى في البحث العلمي، وهو يوضح هنا التعريفات الإجرائية للمصطلحات التي يستخدمها في الدراسة، كما يلي:

الحزب السياسي

يتبنى الباحث التعريف التالي للحزب السياسي: هو تنظيم سياسي يضم مجموعة من الأفراد يتحدثون معاً، بإرادتهم الحرّة من أجل الوصول إلى السلطة وإدارة شؤون الدولة أو المساهمة فيها وفقاً لنظرة مشتركة في القيم والمبادئ والأهداف والسياسات والأفكار التي تشكل رؤية الحزب الفلسفية أو أيديولوجيته التي تصاغ في البرنامج الحزبي.

الفكر

يمكن أن نعرف الفكر (حسب موسوعة السياسة ج4، 1986) بأنه نشاط عضوي في المخ والجهاز العصبي المركزي يتخطى هذه الحدود الفيزيولوجية، ويصبح على مستوى الفرد ومستوى المجتمع عامة، قدرة على الكشف والتعميم والتجربة والتأثير والتغيير. فهو ظاهرة اجتماعية نمت بالعمل البشري والممارسة الاجتماعية وتطورت خلال المراحل المختلفة من تاريخ التطور الإنساني، وليست اللغة إلا التعبير الاجتماعي لعمليات الفكر الداخلية.

وقد اختلفت النظرة إلى الفكر باختلاف المذاهب الفلسفية والاجتماعية المتعددة. وهناك ثلاث جهات نظر أساسية في هذا الشأن هي:

- الأولى ترى الفكر عملية معنوية خالصة مستقلة كل الاستقلال عن كل أساس عضوي أو مادي. فهو خلق محض. ولا وجود للطبيعة الخارجية بغير الفكر، فالفكر هو الذي يصنع الوجود. وهي نظرة مثالية مطلقة.

- الثانية تتصور الفكر ثمرة مباشرة من ثمرات المادة وإفرازاً من إفرازاتها ليس غير، وهذه نظرة مادية محضة.
 - الثالثة تدرك الأساس العضوي للعملية الفكرية، كما تدرك أساسها الاجتماعي والتاريخي، ولكنها لا تكتفي بهذا بل تجد في الفكر أداة للكشف والخلق والتأثير والتغيير. فهو ليس مجرد مرآة تعكس الواقع وتصوره، وإنما هو كذلك وسيلة فعالة تغير الواقع وتطوره. وهذه النظرة الموضوعية العلمية للفكر.
- والباحث يتبنى في هذه الدراسة وجهة النظر الثالثة المشار إليها أعلاه.

الفكر التربوي

انطلاقاً من التعريف الإجرائي الذي اعتمده الباحث للفكر فإنه يرى أن الفكر التربوي هو كل نشاط ذهني مكتوب أو مَوْثَّق يتعلق بالشؤون التربوية، والعملية التعليمية - التعليمية: فلسفةً وأهدافاً، وسياسات وأساليب، ومناهج وبرامج، وطرائق وخططاً.

المشرق العربي

وهو مصطلح جغرافي سياسي مختلف حوله، ويقصد به الدول العربية التالية: سورية والأردن وفلسطين ولبنان والعراق، دون غيرها، وتعرف أحياناً باسم دول الهلال الخصيب أو بلاد الشام والعراق، لكن الباحث اختار تسمية المشرق العربي لكون الهلال الخصيب مصطلحاً سياسياً يختص بمشروع حزبي معين يعكس فكر الحزب السوري القومي الاجتماعي بشكل خاص.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات ذات الصلة.

تناول الباحث في هذا الفصل الإطار النظري المتمثل في صلة المجتمع بالتربية وعلاقة التربية بالسياسة وأسس العملية التربوية والفكر التربوي الحديث والمعاصر وظاهرة تشكل الأحزاب السياسية وتعبيراتها ونشأتها وتصنيفها، ثم الأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي وأهدافها وتطورها. ومن ثم تطرق إلى الدراسات ذات الصلة بهذه الدراسة، وهي على كل حال قليلة بل نادرة.

أولاً: الإطار النظري

يذهب بعض الباحثين إلى أن الفكر التربوي صورة من صور الفكر بعامة، وأنه وليد حركة المجتمع، تنعكس على صفحاته ظروف المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتشكل اتجاهاته ومساراته وفقاً لما تتخذه هذه الظروف من اتجاهات ومسارات. وهو يتأثر فيها في حركة جدل وتفاعل دائمين "فَيَثُرُ بحركة الواقع، وينمو بحركة الأحداث، وينير لها الطريق، ويفتح أمامها الآفاق" (علي، 1987، ص5).

إلا أن هذا يتفاوت بين مجتمع وآخر. ففي المجتمعات المتقدمة تكون حركة الواقع الاجتماعي هي غذاء الفكر الذي يجعله ناضجاً معافى فينهض بدوره في التقدم الاجتماعي في مجتمع ديمقراطي حرّ. أما في المجتمعات المتخلفة فإن الفكر غالباً ما يكون هشاً مفككاً، مما يجعله أقرب إلى دور المرأة، فيعكس ما يحيط به من ظروف، فحسب، ويعجز عن النهوض بدور فعال، ويفقد السيطرة على حركة الواقع الاجتماعي ليكون أداة في تخييب الوعي وتزييفه. ومن هنا يصبح فهم الظاهرة التربوية مرهوناً بوعي الظروف الموضوعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها. وهذا يؤكد أهمية ربط الفكر بحركة الواقع الاجتماعي. وإلا، فكيف نستطيع أن نفسر ذلك المدّ الواضح من الكتابات القومية في التربية في النصف الثاني من الخمسينات؟ أو تلك الكثرة من الكتابات الاشتراكية في التربية في الستينات، من القرن الماضي، دون أن نربطهما بالتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة العربية خلال تلك الفترة، كما يرى سعيد إسماعيل علي.

1. الطبيعة الاجتماعية للفكر التربوي

لذا تبرز قيمة الفكر التربوي في مدى استيعابه حركة المجتمع، ومدى تأثيره فيها فهو موجّه الممارسات والتطبيقات التربوية. وفهم الواقع التربوي ومشكلاته يقوم على فهم الفكر الذي يوجهه ويشكل أبعاده ومضامينه. فالفكر التربوي لا ينشأ بمعزل عن الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛ لأنه انعكاس جدي له تأثراً وتأثيراً. (فايق، 1986).

فقد ارتبطت التربية بالأوضاع الاجتماعية التاريخية، وتطورت معها، وتغيرت بتغيرها "حتى غدت عملية سياسية طبقية، مع ظهور الملكيات الخاصة، فالطبقات الاقتصادية والاجتماعية المسيطرة مادياً على المجتمع تصبح هي الطبقات المسيطرة فكرياً وتعليمياً وتربوياً" (عبد الرحمن، 1981، ص 50).

إن دراسة الفكر التربوي بعامة، وفكر الأحزاب السياسية العربية التربوي بخاصة، تثير إشكالية العلاقة بين التربية والمجتمع. ولأن التغيير هو هدف كل حركة سياسية أو تنظيم حزبي، فإن دور التربية في هذا التغيير الاجتماعي يظل مطروحاً للمناقشة ومجالاً للحوار بين المفكرين والباحثين التربويين والاجتماعيين.

فقد شهد الوطن العربي الكثير من المؤتمرات والندوات وحلقات البحث التربوية في السنوات الأخيرة، كما ظهرت بحوث ومقالات ومؤلفات عديدة تناقش دور التربية وعلاقتها بالمجتمع. وغالبيتها ظلت تلح على سؤال يتكرر بطرق مختلفة: أية تربية نريد؟ أو أي إنسان نودّ أن نُكوّن عن طريق التربية؟ وما غايات التربية وما أهدافها؟

ويتوقف عبد الدائم (1991) عند ثلاثة اتجاهات في التجربة التربوية العالمية حول علاقة التربية

بالمجتمع والتغيير الاجتماعي والثقافي، يعرضها كما يلي:

الاتجاه الأول: يرى أن التربية والمجتمع صنوان. وأن لا سبيل إلى تغيير المجتمع دون تغيير التربية. وأن التربية قادرة في النهاية على تكوين مجتمع الغد. وأن إعادة صياغة المجتمع لا بد أن تمر بإعادة صياغة الإعداد والتربية، وأن التربية وحدها تتيح قيام عصر جديد.

ويعود هذا الاتجاه إلى أفلاطون ويمتد إلى مربي عصر النهضة ورواد التربية الحديثة. ويعتبر جان جاك روسو (1812-1867) من أبرز المنادين بهذا الرأي حين أكد أن أي إصلاح في المؤسسات الاجتماعية والتقاليد ينبغي أن ينطلق من إصلاح التربية، وأن العالم الجديد الذي نودّ بناءه يحتاج إلى إنسان جديد. ويذهب بستالوتزي (1746-1827) إلى وجود تواصل بين المسألة التربوية والمسألة الاجتماعية والمسألة السياسية. ويرى فيريير (Ferriere) المربي السويسري في كتابه "المدرسة الفعالة" أن المدرسة هي التي تنقذ العالم وليس الاقتصاد والسياسة. ويعتقد مفكرو "التربية المؤسسية" وعلى رأسهم روجرز (Rogers) وأتباعه في الولايات المتحدة، ولوبرو (Lobrot) وأتباعه في فرنسا أن التربية "تلعب دوراً أساسياً في بناء المجتمع وتغييره، مستنديين إلى حجج مختلفة وجديدة. إذ أنهم يلجأون إلى مبادئ "الإدارة الذاتية" و"اللاتوجيه" وعن طريق التقنيات التربوية التي يتبنونها مثل تقنيات "الزمرة" و"ديناميات الجماعة".

ويذهب لوبرو - وهو أبرز مفكري "التربية المؤسسية" - إلى أن الثورة التربوية "شرط لازب لكل ثورة مهما يكن شأنها" وأن "أي ثورة حقيقية طريقها هو تغيير الإنسان وليس مجرد القضاء على أعداء المدرسة". ويرفض العنف سبيلاً إلى الثورة ويرى أن تغيير الإنسان هو طريق تغيير المجتمع. ولذلك فهو يضع نظرية في قابلية الإنسان للتربية تؤكد أن الإنسان يصاغ صياغة كاملة عن طريق المؤثرات التي تفعل فيه، وأنه من حيث التكوين والبنية قابل للتأثر بها. ويخلص إلى "أن الفرد نتاج تربيته"، و"إليها ينبغي أن نردّ ما يصيبه من اضطرابات، ولا سيّما في ميدان اللغة والكلام" وعلى هذا يدعو إلى إدخال أساليب "التفسير الذاتي" إلى المدرسة لتمكين التربية من تغيير المجتمع.

أما روجرز فالهدف الأساسي من أفكاره ودراساته النفسية هو هدف تربوي يلتقي إلى حد كبير مع أهداف القائمين بدور التربية الأساسي في تغيير المجتمع. فهو يسعى إلى علاج أمراض المجتمع الأمريكي. وينشد التجديد الشامل لهذا المجتمع منطلقاً من إيمانه بالإنسان الذي ينصبّ عليه جهد التربية.

أما الاتجاه الثاني، فيرى أنّ التربية عاجزة عن تغيير المجتمع:

ويمكن إعادة هذا الاتجاه إلى إميل دور كايم عالم الاجتماع الفرنسي الذي يرى أنّ النظريات التربوية غالباً ما توضع من أجل نقد التربية السائدة أو من أجل الكشف عن نقائصها. وهدفها ليس وصف ما هو كائن، أو ما كان وتفسيره، بل تحديد ما ينبغي أن يكون. ووجهتها بالتالي ليست الحاضر أو الماضي بل المستقبل.

ويعرّف دور كايم التربية بأنها "العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تنضج بعد من أجل الحياة الاجتماعية" ويذهب إلى أنّ الإنسان الذي يتوجب على التربية أن تحققه فينا (...) هو الإنسان كما يريده المجتمع أن يكون .. وهذا يعني أنّه يذهب إلى أنّ التربية تهدف إلى تثبيت الوضع القائم.

ومثل هذا الموقف نجده عند فورييه (Fourrier) الذي يبيّن أنّ التربية تهدف إلى تفسير النظام الاجتماعي وفهم تطوره. فالمجتمع في خاتمة المطاف يفرض أهدافه.

وقد درس عدد من المربين في فرنسا ظاهرة المنشأ الاجتماعي للطلاب ليفسّروا الهوة المتزايدة بين توزع الطبقات الاجتماعية ونسب أعدادها في مراحل التعليم .. وهي تزداد اتساعاً في مراحل التعليم المتقدمة وتصل إلى ذروتها في التعليم الجامعي. وبذلك يشككون في قدرة المدرسة على تحقيق الديمقراطية في المجتمع.

ومن هؤلاء بورديو وباسرون الفيلسوفان الفرنسيان المعاصران اللذان توصلا إلى نتيجة مفادها أنّ المدرسة تسهم إسهاماً كبيراً في إعادة توليد النظام الاجتماعي القائم نفسه. وأن المدرسة خلقت إلى حد كبير لخدمة أبناء الطبقات العليا فحسب. وهذا ما سميّه "إعادة إنتاج النظام الاجتماعي عن طريق التربية" في كتاب لهما بهذا الخصوص صدر في عام 1971. بينما سمّاه باحثان فرنسيان آخراهما بودلو واستابليه: "المدرسة الرأسمالية في فرنسا".

وأما الاتجاه الثالث: فهو اتجاه توفيقى! إنه يرى أن التربية تغير المجتمع، والمجتمع يغير التربية. ويذهب هؤلاء إلى أن التربية - وحدها - عاجزة عن تغيير المجتمع .. ولا بد لها من جهود عوامل أخرى كالعوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. فالتربية نظام فرعي من نظام كلي شامل. ودور التربية في التغيير يظل أساسيا وقد يحتل موقع الصدارة لانطلاقه من تغيير الإنسان الذي هو صانع التغيير الاجتماعي كله. ولا بد من ربط التربية بالتنمية الشاملة وحاجاتها وهذا يعزز دورها في التغيير. لكن هؤلاء يتحدثون عن التربية بمفهومها الواسع الذي يشمل التربية النظامية والتربية شبه النظامية والتربية غير النظامية.

ومن الأمثلة على هذا الاتجاه تقرير إستراتيجية تطوير التربية العربية الذي أعدته لجنة مكلفة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1979، وتقرير "اليونسكو" الشهير وعنوانه "تعلم لتكون" وكتاب "غايات التربية" الصادر عن اليونسكو أيضا عام 1981.

إن إستراتيجية تطوير التربية العربية تؤكد "ضرورة التغيير في واقع التربية العربية انطلاقا من حتمية التغيير في واقع الأمة العربية وإرادة الأمة العربية في التغيير" (الشويهدى، 1999، ص33).

ويشدد واضعو الإستراتيجية على أهمية التواصل والتكامل بين جهد التربية وسواها؛ وعلى الوظيفة الاجتماعية للتربية التي تعظم دورها في إحداث التغيير في مجتمعاتها في القرن العشرين. ذلك أن إرادة التغيير تجد في التربية وسيلة مهمة من وسائل تحقيقها والتعبير عنها. (الشريف، 1980، ص32).

أما تقرير اليونسكو المعنون "تعلم لتكون" (Learning to be) فيتحدث عن الآراء المتناقضة بخصوص علاقة التربية بالمجتمع والتي تتراوح بين المذهب المثالي الذي يعتبر أن التربية كيان قائم بذاته ومن اجل ذاته؛ والمذهب الإرادي الذي يرى أن على التربية أن تغير العالم؛ ومذهب الحتمية الآلية الذي يرى أن نمط التربية ومستقبلها يخضعان حتميا لعوامل البيئة؛ والمذهب الذي يجمع بين المذاهب الثلاثة السابقة والذي يتهم التربية بأنها أصل الفساد المتفشي في المجتمع بل إنها هي التي تنشره وتحافظ عليه. ومن ثم يتوصل التقرير إلى موقف توفيقى غامض مؤداه أن "علاقة التبعية بين التربية والنظام الاجتماعي والاقتصادي لا تحول دون تأثيرها في بعض الجوانب من الهيكل الاجتماعي، إن لم يكن فيها بأسرها".

أما كتاب "غايات التربية" الصادر عن اليونسكو عام 1981 فهو خلاصة العديد من الحلقات التي عقدتها اليونسكو والتي تناولت الصلة بين التربية والمجتمع وغايات التربية وفلسفة التربية في معظم مناطق العالم. ويتخذ الكتاب موقفاً توفيقياً من مسألة العلاقة بين التربية والمجتمع إذ يشير -كما يقول عبد الدائم - إلى أن غايات التربية لا تأتي من فراغ ولا هي وليدة تفكير نظري خالص، وإنما تنبثق من واقع الحياة الاجتماعية. كما أن الصلة بين فلسفة التربية والسياسة التربوية صلة متداخلة متكاملة.

غير أن معرفة قدرة التربية على تغيير المجتمع قوة وضعفاً تتوقف على ما نقصده بـ"التربية" هنا. فهل هي التربية بمعناها الخاص أي: التربية النظامية (المدارس والمعاهد والجامعات)، أم هي التربية بالمعنى العام، أي: مؤسسات التنشئة الاجتماعية، كافة، بدءاً من الأسرة وجماعة الرفاق والمدرسة النظامية والنادي والنقابة والحزب السياسي وانتهاءً بوسائل الإعلام؟

وعلى هذا فإن "التربية تضطلع بدورها في تكوين الناشئة وإعدادهم من خلال المجتمع كله، ومن خلال ما يقدمه هذا المجتمع من نشاطات ومعانٍ وغايات تربوية. فالتربية انسلت إلى شرايين المجتمع كلها، عن طريق نموها الذاتي، والمجتمع غداً في قلب التربية، دون فرض ولا إكراه، وهو يسهم في عملية التربية المستمرة خارج المدرسة. فالعلاقة بينهما علاقة إسهام ومشاركة ودعم لا إلزام فيها ولا فرض". (عبد الدائم، 1991، ص 63).

ويرى عاقل أن التربية "عملية اجتماعية" تعين الإنسان على أن يتكيف مع محيطه وأن يكيف محيطه معه. فالإنسان يولد في مجتمع يحرض على تزويده بخبراته وطرائقه في العيش ومعارفه، ثم يخرج إلى الحياة، ويخضع لمؤثراتها، ويتحتم عليه أن يستجيب لهذه المؤثرات. غير أن الفرد ليس هو وحده الذي يتكيف. فالمجتمعات تخضع للتكيف أيضاً فهي تتغير وتتبدل بمفاهيمها وقيمها ومثلها العليا ومعتقداتها. وثمة مفاهيم أساسية للتربية: مفاهيم فردية واجتماعية ومثالية. فهي بالمعنى الفردي عون للإنسان على البقاء بالشكل الأنسب. لأن البقاء غاية الفرد وهدفه الأقوى.

كما أنها، بهذا المعنى نفسه، إعداد الفرد لحياته المقبلة، وهي تعين الفرد على تحقيق دوافعه وغاياته وحوافزه، وتكشف عن مواهبه واستعداداته، وميوله المبكرة من أجل أن تنميها لفائدة الفرد والمجتمع والإنسانية. أما بالمعنى الاجتماعي فالعملية التربوية تحافظ على المجتمع وتنقل التراث الاجتماعي وتحفظه، وتحرص على تمكين المجتمع من التقدم والتطور. أما بالمعنى المثالي فالتربية تحافظ على المثل العليا القومية والإنسانية "فلا بد للتربية من أن تكون وسيلة للتقدم البشري في كل مكان ومن أجل الناس كلهم، لا بد لها من أن تكون في خدمة السلام العالمي والتفاهم الدولي" (عادل، 1981، ص34).

وبذلك تكون التربية ضرورة وواسطة: ضرورة لبقاء الإنسان الفرد واستمرار النوع البشري. وواسطة للاستمرار الاجتماعي. فالإنسان لا يستطيع أن يحيا إلا في حالة اجتماعية. ولا بد للمجتمعات من اللجوء إلى التربية. ولا توجد تربية إلا في مجتمع. وهذه هي همزة الوصل بين العملية التربوية والحياة الاجتماعية. فالتربية وسيلة للمجتمع التي يحافظ بها على وجوده واستمراره، بدمج الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة في إطار قيمه وأهدافه. والمجتمع هو الذي يحدد طبيعة التربية وأهدافها. وبذلك تكون التربية "متغيرا تابعا" بلغة العلم التجريبي، أي متغير يعتمد على شيء آخر يتبعه، هو المجتمع (البيلوي، 1997، ص20).

إن العمل التربوي يتطلب وضوحا في الأهداف التي توجهه وتضمن له الاستمرار والتأثير الفعال في حياة الناشئة والشباب، والمجتمع بصفة عامة. فتحديد محتوى التربية، واختيار وسائلها، والتعرف على مشتملاتها، وتقويم نتائجها لا بد من أن يكون وفقاً لأهداف واضحة مشتقة من مطالب المجتمع وفلسفته وتطوره الحضاري. ويطرح عفيفي (1977) أربعة أسئلة يرى أن إجاباتها تحد أسس العملية التربوية، هي:

- لماذا نربي؟

- بماذا نربي؟

- كيف نربي؟

- من نربي؟

وتحدد إجابة السؤال الأول: لماذا نربي؟ هدف العملية التربوية. وتوضح خصائص المواطن والفرد التي تمكنه من التلاؤم والتكيف مع المجتمع. بينما تحدد إجابة السؤال الثاني: بماذا نربي؟ محتوى التربية الذي يرتبط بنوع المجتمع، ونوع المدنية، ونوع المواطن المرغوب. في حين تتعلق إجابة السؤال الثالث: كيف نربي؟ بطرق التربية وأساليبها الكفيلة بتحقيق أهدافها والمرتبطة بمحتواها. أما السؤال الرابع: من نربي؟ فيتطلب تحديد نوعية من نربيهم اجتماعياً وفلسفياً.

وهذا كله يوضح أن طبيعة التربية وأهدافها، في أي مجتمع إنساني، تحدد بطبيعة المجتمع الذي توجد فيه وأهدافه. ومن هنا تختلف أهداف النظم التربوية وطبيعتها باختلاف المجتمعات وطبيعتها وأهدافها، بعضها عن بعض.

ويرى البيلاوي (1988) أن تاريخ الفكر التربوي يؤكد حقيقة أن التربية وسيلة يستخدمها الناس بهدف مقصود وعن وعي. وأن تغيير أي من أهداف المجتمع ونظمه، ينشأ عن تغيير مشابه في أهداف النظام التربوي وطبيعته في المجتمع نفسه، أي أن "التغيرات في النظم التربوية لا تحدث إلا استجابة للتغيرات التي تحدث في النظم الاجتماعية أولاً". ويضرب البيلاوي مثلاً من تاريخ الفكر التربوي في مصر، فقد ظل مفكرون من أمثال طه حسين وسلامة موسى ينادون بإلغاء الازدواجية التي كانت موجودة في النظام التربوي المصري، ويطالبون بتعميم التعليم وتوسيع رقعته وجعله مجانياً وميسوراً أمام الجميع دون تمييز. لكن أصواتهم كانت تضيع هباءً أمام الوضع الطبقي في مصر وسيطرة كبار الإقطاعيين الزراعيين والرأسماليين على الحكم آنذاك. ولم يتحقق معظم تلك المطالب، ولم تخرج إلى النور إلا بعد التغيرات الاجتماعية والاقتصادية السياسية التي أحدثتها ثورة يوليو 1952 بانتهاج الدولة سياسة اجتماعية جديدة تذيب الفوارق بين الطبقات وتحول مسار المجتمع نحو تحقيق نوع من المساواة والعدل بين أبناء المجتمع.

ولهذا وجدنا أن أوضاع التعليم هي الأخرى أخذت في التغيّر مواكبةً الأهداف الاجتماعية الجديدة في المجتمع المصري. فألغيت ازدواجية التعليم الابتدائي، واصبح التعليم مجانياً، وزادت أعداد الطلبة والمعلمين في جميع المراحل. "وقد حدث الشيء نفسه في جميع البلدان التي شهدت إصلاحات تربوية. لم تتغيّر التربية إلا بعد أن حدثت تغيّرات اجتماعية واقتصادية وسياسية مؤثرة" (البيلاوي، 1988، ص20).

وهكذا تتضح لنا حقيقة أساسية من حقائق التربية هي أن التربية عملية اجتماعية سواء لاستجابتها لحاجات الإنسان الاجتماعية، أو لاستجابة الإنسان ذاته للحاجات الاجتماعية للتربية. وهذه الحقيقة "تلزم التربية بالتكيف والتكيّف الاجتماعي في وقت معا... غير أننا قد نضطر في مجال تأثر التربية بأحوال المجتمع وتأثيرها فيه، أن نضع مفهوماً جديداً للتربية يصفها بأنها "عملية مجتمعية" تقف جنباً إلى جنب مع عمليات المجتمع: كإقتصاده وفلسفته وعقيدته ولغته ووعيه، وغيرها من العمليات المجتمعية التي يستند إليها المجتمع وينطلق منها حراكه الحياتي، ويعطيها من خلاله حاله في ذلك الحراك الدرجة والنوع والهوية والتصنيف" (الشويهيدي، 1999، ص90).

وانطلاقاً من كون التربية "عملية مجتمعية" نجد أن ما يتسم به واقع التربية العربية من تأرجح بين القوة والضعف والمدّ والجزر هو نتيجة لتأرجح واقع المجتمع العربي بين الإيجاب والسلب والخصوبة والجذب والقوة والضعف. وهذا ما تذهب إليه استراتيجية تطوير التربية العربية من أن "واقع التربية العربية هو حصيلة العوامل المختلفة والمتباينة التي تعرض لها المجتمع العربي" (الاستراتيجية، 1979، ص75).

وحين نبحت في علاقة الفرد بالمجتمع نجد أن الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمربين أكدوا على الضرورة الفردية والاجتماعية للتربية. لأن التربية عامل تكيف للفرد والمجتمع على السواء. فالمجتمع يؤثر في الفرد عن طريق التربية، والفرد بدوره يتأهل بالتربية للمساهمة في تحسين أحوال المجتمع وتطويره (زريق، 1977).

والموقف الفكري من الفرد والمجتمع يكتسب أهمية مركزية في ميدان علم الاجتماع المعاصر. فهو نقطة الارتكاز والأساس الذي يقيم عليه علماء الاجتماع نظرياتهم وفرضياتهم المتعددة. وعلم الاجتماع، في أحد تعريفاته، هو العلم الذي يتخذ من الفرد والمجتمع محور الاهتمام وقاعدة الانطلاق. وقد تباينت آراء علماء الاجتماع في هذا المجال. فمنهم من غلب كفة الفرد على المجتمع باعتباره الوحدة الأنسب للتحليل الاجتماعي مفترضاً أنه الأساس والقاعدة الطبيعية التي تتشكل من خلالها بأفعالها وسلوكياتها، شخصية الجماعة أو المجتمع. ومن هذه الزاوية يعتبر الفرد هو الأداة أو الوسيلة الأساسية للتنظيم الاجتماعي، أيا كان شكله ونوعه. ومنهم من رجح كفه المجتمع على الفرد وأعطاه الأولوية بوصفه الوسط الذي يتعرع فيه الفرد وينشأ، ومنه يستمد منظومة أفكاره وقيمه وأماطه السلوكية المقبولة. (الغزوي، وزملاؤه، 2000، ص 18 و 226).

وإذن فالتربية والمجتمع يعبران عن وجهين لظاهرة واحدة وكلاهما لا يقوم بمعزل عن الآخر. ومن هنا يمكن الحديث عن مفهومين أساسيين للتربية: أحدهما عام وشامل. والثاني خاص وجزئي. والتربية في مفهومها العام مرادفة للحياة، فهي لا تقتصر على مؤسسة اجتماعية محددة، أو على قيمة محددة من قيم المجتمع، ولا على زمن محدد من حياة الفرد، أو على جانب من شخصيته، بل هي تنتظم شخصية الفرد بكاملها، وتمتد على مدى سنوات عمره كلها، من المهد إلى اللحد. إنها مستمرة باستمرار الحياة، وجامعة للمؤسسات الاجتماعية كافة، فلا غرو أن نجد اليوم دعوات متصاعدة لمفاهيم التربية المستمرة والتربية المستدامة والتربية المتجددة والتربية مدى الحياة. (موسى، 2002).

والتربية، من هذا المنظور، تعتبر نشاطاً إنسانياً يرتبط بميلاد الإنسان، ومنطلقاً أساسياً لحقوق الإنسان كافة، وهكذا يسبق مفهوم التربية الشامل جميع المؤسسات التربوية، في الوجود، مثل الأسرة والمدرسة والمعاهد والجامعات. لأن هدف التربية، في النهاية، هو تحرير الإنسان من الوهم والتسلط والقهر. غير أن التربية بمفهومها الخاص، تعتبر عملية تعليمية مقصودة، تتم في مؤسسات اجتماعية خاصة (مدارس، معاهد، جامعات) وهي عملية نظامية أو شبه نظامية يفترض أن تكون مخططة مسبقاً لخدمة أهداف تعليمية معينة (موسى، 2002، ص 99).

والتربية بمعناها الشامل، تضم العمليات النظامية وغير النظامية، والمقصودة وغير المقصودة. بينما التربية في معناها الخاص تقتصر على العمليات النظامية وغير النظامية أي المقصودة فحسب. ولا شك أن التربية أداة مؤثرة في أساليب الحياة والتفكير، وقد انبثق دورها أساساً من الأسرة ثم امتد إلى المدرسة، فالجامعة، لكنه في العصور الحديثة أخذ أبعاداً أوسع فأصبحت المؤسسات الجماهيرية كوسائل الإعلام والأندية والجمعيات والأحزاب السياسية تلعب دوراً متعظماً في العملية التربوية وبعد أن كانت أهداف التربية ترتبط بنقل الثقافة إلى نُخبة محددة من الأجيال، ونقل المهارات الحرفية من الآباء إلى الأبناء، أصبحت اليوم تُعنى بنقل الثقافة إلى الجميع، وتهتم بتدريب أعداد كبيرة من الأفراد للحصول على الكفاءات المهنية المتنوعة في شتى مجالات النشاط الإنساني. فالتربية إذن عملية ضرورية للوجود الإنساني. ويكفي دليلاً على ضرورتها ذلك الصراع الرهيب الذي خاضته الفئات الاجتماعية عبر التاريخ لسط سيطرتها على المؤسسات التربوية. فالتربية يمكن أن تكون أداة تغيير من الطراز الأول حين يطلب إليها وذلك تمتلك الحرية لفعله. بل يمكن القول "إن التربية هي أداة التغيير الحقيقية، عندما يصبح التغيير حاجة اجتماعية ناضجة ترفده قوى التغيير العامة الفاعلة في البناء الاجتماعي. على أن التسليم بهذا، لا يُلغي، بطبيعة الحال، استباق العبقريات التربوية الخلاقة نضوج الوضع الاجتماعي الواجب التغيير، للإشارة إلى نوعية التغيير المطلوب لمواجهة حاجات المستقبل". (رضا، 1993، ص 30).

ومن هنا يؤكد ديوي هذه العلاقة الجدلية بين المجتمع والتربية بقوله: "إن جميع الحركات الاجتماعية تنطوي على صراعات تنعكس على الجدل العقلي. وقد لا يكون من علامات الصحة ألا يصبح حقل اهتمام اجتماعي عظيم، كالتربية: "مسرحاً للصراع النظري والعلمي" (ديوي، 1977، ص 125).

وهذا التأثير المتبادل بين التربية والمجتمع والحضارة والسياسة هو الذي جعل الباحث يتجه إلى استقصاء الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية باعتبارها إحدى قوى التغيير الاجتماعي في مجتمعاتنا العربية بصرف النظر عن مستويات قوتها أو ضعفها في إحداثه على مدى نصف القرن الماضي.

ذلك أن التربية ترتبط بالمجتمع الإنساني ارتباطاً وثيقاً، بحيث تشكل أبرز سماته، وعاملاً من عوامل ديمومته واستقراره، أو عاملاً من عوامل تغييره وتحوّله. والتربية عملية اجتماعية تساهم في تحقيق إنسانية الكائن البشري من خلال الانتقال به من طور الفردية البيولوجية إلى طور الفردية السيكولوجية، كما تساهم في تحقيق نموه، وإعداده وتطبيعته اجتماعياً ليصبح عضواً في المجتمع من خلال نقل الثقافة السائدة وتشريه مظاهرها المادية والمعنوية كافة. (النجيحي، 1981، ص 101).

وتأسيساً على ذلك كانت التربية نوعاً من السيطرة الاجتماعية وحملت في جوهرها مضموناً سياسياً يتنوع بتنوع المجتمعات ويتباين بتباين المراحل التاريخية المتعاقبة. ويتجلى هذا المضمون السياسي في مظهرين أساسيين هما :

1) استهداف التربية، بشكل عام، إخضاع الفرد للانتظام العام في المجتمع (والإخضاع جذر من جذور السياسة والانتظام العام هو إطار السياسة في المجتمع).

2) إيلاء أمر العملية التربوية إلى مؤسسات اجتماعية في طليعتها التنظيمات والأحزاب السياسية.

2. الطبيعة الفلسفية للفكر التربوي

عرف الفكر الإنساني عبر العصور العديد من الفلسفات العامة التي انبثقت عنها فلسفات وأفكار ونظريات تربوية مختلفة في نظرتها إلى الكون والإنسان والحياة. وقد أثر ذلك في تطر مفهوم التربية وأغراضها ووسائلها وأشكالها وأهدافها وغاياتها. وارتبط بوجود عوامل بيولوجية (فردية) وطبيعية واجتماعية وثقافية أسهمت في صياغة مفهوم شامل للتربية عبر التاريخ، يمكن تحديد بعض سماته كالتالي:

- تبدأ التربية ببداية الإنسان وتستمر استمرار حياته.
- تتم التربية من خلال جميع مؤسسات المجتمع، ابتداء من الأسرة وجماعات اللعب والرفاق والمدرسة وانتهاء بجميع مؤسسات المجتمع العام.
- يكون الفرد في عملية التربية متعلماً ومعلماً في آن واحد في مختلف مراحل حياته.

– تتصف عملية التربية بتطورها وديناميتها، وهي دائمة التغير. (جرادات، وأبو غزالة، وعبد اللطيف، 1984، ص11).

على أن التربية بوصفها نشاطا اجتماعيا وإنسانيا تعني مجموعة من الفعاليات، تتحدد في مجالات ثلاثة هي:

- أ. مجموعة من الأساليب الفنية Techniques التي يحتاجها المعلم لإكساب الأفراد المتعلمين مجموعة من المعارف أو الخبرات أو المهارات أو الاتجاهات أو مساعدتهم على ذلك.
- ب. مجموعة من النظريات أو المبادئ أو الأفكار التي تهدف إلى تفسير وتعليل استعمال هذه الأساليب الفنية، أو التي يمكن في ضوءها وعلى هديها استخدام هذه الأساليب.
- ج. مجموعة من القيم والمثل التي تتضمنها وتعبر عنها الغايات النهائية والتي من أجلها وضعت هذه النظريات التربوية واستخدمت هذه الأساليب الفنية. (فهيمي، 1980، ص2-3).

لقد أولى الإنسان اهتماما متباينا للتربية منذ أقدم العصور وقد شهدت العصور الأولى للتاريخ أنواعا مختلفة من التربية كالتربية اليونانية والتربية الرومانية وصولا إلى التربية المسيحية والتربية الإسلامية في العصور الوسطى، والآراء التربوية لمفكري عصر النهضة الأوروبية مروراً بالمذاهب الإنسانية والحسية والواقعية في القرن السابع عشر والثامن عشر وصولاً إلى التربية الحديثة والمعاصرة. (الشيبياني، 1975، ص10).

على أن هذا الاهتمام بالتربية ظل حصيلة علاقة وثيقة بين الفلسفة باعتبارها "أم العلوم" والتربية بوصفها تطبيقاً عملياً للفلسفة في مجال معين. وعنه انبثقت فلسفة التربية انبثاق الجذور والسيقان والأغصان والأوراق والثمر من البذرة لتكون مجتمعة الشجرة اليافعة الوارفة.

وقد اتفق المفكرون التربويون على أن المكونات الرئيسية للفلسفة، ومن ثم لفلسفة التربية تشمل على مباحث رئيسية هي: نظرية الوجود Ontology ونظرية المعرفة Epistemology ونظرية القيم Axiology وطبيعة الإنسان Human nature.

ولكن المفكرين التربويين يختلفون اختلافا كبيرا حول محتويات هذه المباحث، وحول تطبيقاتها التربوية. لذلك تعددت الفلسفات التربوية وتباينت تفسيراتها بخصوص المعلم والمتعلم والمناهج والإدارة والأساليب والوسائل والوسائط التربوية. (صمويلسون، وماركونيز، 1988، ص9).

ويمكن التوقف عند بعض الفلسفات التربوية الأساسية التي كان لها إسهام مهم في التربية الحديثة، ومنها المثالية، والواقعية، والبراجماتية، والوجودية، والمادية، وغيرها:

أولا: الفلسفة المثالية (Idealism):

يحدد لالاند في معجمه الفلسفي الفلسفة المثالية بأنها "الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل وجود إلى الفكر" و"أن الأشياء الواقعية ما هي إلا أفكارنا". (هويدي، 1979، ص22). وترجع هذه الفلسفة إلى أفلاطون، وتقوم على مبدئين متكاملين: أولهما: أزلية الأفكار ودور العقل الإنساني. وثانيهما: عالم الروح وعالم المادة. ويركز هذا المبدأ على أن العالم المادي الذي نعيش فيه هو عالم فانٍ. وينبغي الاهتمام بعالم القيم الروحية والمثل العليا لأنها حقائق خالدة. وتتمثل في الخير والحق والجمال والدين والأخلاق. (جرادات، 1984، ص32).

والمثالية هي قبل كل شيء "نظرية في المعرفة" تتحدد باختلافها عن النظريات الاختبارية وعن الفلسفات المادية بكل أشكالها ويمتد أثر المثالية إلى فلسفة كانت (1724-1804) الذي يمثل "المثالية الحديثة" وإلى فيخته الفيلسوف الألماني الذي يمثل "المثالية القومية". (الجيوشي، 1988، ص12 و41 و55).

يمكن تلخيص نظرة المثالية إلى الكون والإنسان والحياة كما يلي:

- طبيعة العالم: تنظر إليه نظرة ازدواجية فهناك عالم الأفكار الحقيقي وعالم الخبرات اليومية وهو عالمنا الأرضي.
- طبيعة الإنسان: الإنسان مكوّن من روح وجسد، أو عقل ومادة. والروح أسمى من الجسد.
- طبيعة الحقيقة (العقل والمعرفة): الحقيقة النهائية توجد في عالم آخر، هو عالم المثل أو الأفكار أو عالم الحقيقة المطلقة، وبالتالي فهي ليست من نتاج الفرد أو المجتمع. ويمكن للعقل معرفتها عن طريق الإلهام أو الحدس.
- طبيعة القيم: تؤمن المثالية بوجود قيم ثابتة لا تتغير، يتوصل إليها المفكرون عن طريق الإيحاء. ولا يجوز الشك في صحتها، وهي صالحة لكل زمان ومكان.
- طبيعة المجتمع: تنظر المثالية إلى المجتمع نظرة طبقية فهو مكون من الطبقة العاملة وطبقة المفكرين أو الفلاسفة.

أما أهم الأفكار التربوية للمثالية فهي:

- التربية في نظر المثاليين هي عملية تدريب للخلاق حتى ينمو لدى الأفراد شعور بروح الولاء للدولة والجماعة.
- وظيفة التربية هي تهذيب العقل وتنميته.
- من مهام التربية الأساسية تطوير المجتمع وتحسينه.
- إشراف الدولة على التربية مسألة أساسية.
- التعليم ليس لكل الناس، ولكن للأحرار والصفوة الذين سيتولون إدارة الدولة.
- للعلوم النظرية مكان الصدارة في برامج الدراسة وخصوصا الفلسفة والمنطق والبلاغة.
- الكتاب، وليس العمل والنشاط، هو مصدر الأفكار والمعارف. والآداب والإنسانيات هي التي تجعل الإنسان يفهم المجتمع، ومكان الإنسان فيه.
- المعلم مثال للتلميذ، وعلى الأخير أن يحتذي به.

- على المعلم أن يلتزم بالقواعد والأصول الموضوعية، ويلاحظ سلوك التلميذ، لأن مهمته هي تشكيل سلوك التلميذ وفقا للنموذج الموضوع له.
- التلقين والحفظ والتذكر والاسترجاع من أساسيات التربية المثالية. (فهيمى، 1980، ص 37-40).
- ولا تؤمن المثالية بالتغير سواء أكان على صعيد المجتمع أم على صعيد الحقائق المكتشفة. كما أنها لا تؤمن بالمشاركة الجماعية في رسم المشاكل التربوية وحلها. (الرشدان، وجعيني، 1997، ص 62).

ثانياً: الفلسفة الواقعية (Realism):

- يعتبر أرسطو أبا الفلسفة الواقعية لانه حول الفكر اليوناني من التفكير في عالم الخيال والمثل إلى العالم الذي نعيش فيه. واعتبر أن مصدر الحقائق هو العالم الحسي (أي عالم الواقع) فالحقائق لا تؤخذ من الإلهام أو الحدس كما عند المثالية، وإنما تكتشف في عالم التجربة والخبرات اليومية. تطورت هذه الفلسفة، وانبثقت عنها مذاهب واقعية متعددة مثل الواقعية الساذجة، والواقعية النقدية، والواقعية المعاصرة والواقعية الدينية وغيرها. كما أن من أبرز روادها توما الأكويني، وأوغست كونت، وجون لوك، وبرتراند رسل وسواهم. (الرشدان، وجعيني، 1997، ص 63).

- ويحدد صالح (1967) مجموعة المبادئ الأساسية التي ينطلق منها منظرو الفلسفة الواقعية، وهي:
- طبيعة العالم: إن عالم الواقع (العالم الفيزيقي) يشتمل على الحقائق جميعها، وهو عالم مستقر وثابت. وعن طريق التحليل العلمي الموضوعي نستطيع اكتشاف الحقائق الشاملة الموجودة فيه والمستقلة عن إدراكنا لها. وهذه الحقائق هي القوانين الطبيعية التي تتحكم في سير الكون والعالم والإنسان.
 - طبيعة الإنسان: لا تؤمن الواقعية بالنظرة الازدواجية للإنسان كالمثالية، وإنما هو كالموجودات يمكن معرفته وفهمه عن طريق دراسة مكوناته.

- طبيعة الحقيقة: تؤمن بأن الحقائق ومصادرها موجودة في عالمنا الحسي والتي يمكن التوصل إليها عن طريق التحليل الموضوعي والطرق العلمية، على عكس المثالية التي تتبع أساليب غير موضوعية، إلا أن الفلسفتين تفترضان الدرجة نفسها من الجمود بالنسبة للحقيقة، ولكن الاختلاف يكمن في مصدر لتوصل إلى الحقائق وأساليب ذلك.
 - طبيعة المجتمع: يرى أنصار الواقعية أن المجتمع يسير وفق قوانين طبيعية عامة وشاملة لا تتغير. وتؤمن أيضا بضرورة وجود تكيف ما بين الفرد ومجتمعه.
 - طبيعة القيم: يرى الواقعيون أن القيم ثابتة، وأن القيم الجماعية تكمن في النظام الطبيعي والمبادئ الشاملة التي تحكمه.
- ويمكن إيضاح الأفكار التربوية للفلسفة الواقعية كما يلي:
- مفهوم التربية: يرى الواقعيون أن التربية عملية تدريب للطفل لكي "يعيش وفقا لمعايير خلقية مطلقة، على أساس ما هو صحيح للإنسان بوجه عام، وليس لأعضاء جنس أو مجتمع بالذات" ويرى الواقعيون الدينيون أن التربية "عملية خلاص للنفوس" فينبغي تعليم الطفل كيف ينشد الخير ويتجنب الشر ليحظى بالنعمة الإلهية دون الخطيئة المميتة. (نيلر، 1977، ص66).
 - أهداف التربية:
 - تهدف التربية عند الواقعي الكلاسيكي إلى إتاحة الفرصة للتلميذ لكي يصبح شخصا متوازنا فكريا.. ومتوافقا مع بيئته الاجتماعية.
 - تهدف التربية عن الواقعي المتدين إلى "الخلاص الروحي"
 - تهدف التربية إلى تكوين الإنسان المهتم بالشؤون العالمية
 - تهدف التربية إلى تبصير المتعلم ومساعدته على اتخاذ قرارات صائبة في أن يحيا حياة سارة. (فرحان، 1989، ص36).

– الطالب: لا تقلل الواقعية من ابتكار الطالب الفرد، كما أنها تعتبر أن محورها المركزي هو جعل الطالب يتعرف على البناء الثقافي والفيزيائي للعالم الذي يعيش فيه. كما تسعى إلى تمكينه من أن يصبح شخصا متسامحا ومتوافقا، ومنسجما عقليا وجسديا مع البيئة المادية والثقافية. ويلاحظ أن الواقعية لا تعير أي اهتمام لرغبات الطالب إذ عليه أن يتعلم ما يقوله المختصون عن حقيقة العالم. (نيلر، 1977، ص64-65).

– المعلم:

- المعلم عند الواقعيين هو مفتاح التربية، باعتباره ناقلا للتراث الثقافي.
- المعلم الواقعي مزدوج الشخصية، فهو يتعرف بكل متطلبات الطالب الواقعي، ويشعر، في الوقت نفسه، أن كل مظاهر التدريس يجب أن تصطبغ بالواقعية.
- الهدف الوحيد أمام المعلم الواقعي هو أن يضع المعرفة الواضحة والمميزة أمام الطالب، وأن يعرض له المنهج العلمي بطريقة موضوعية. (نيلر، 1977، ص36).

– المنهاج الدراسي:

- المادة الدراسية هي المحور المركزي للتربية.
- المواد الدراسية المناسبة هي التي تعطي أفضل النتائج التربوية للطالب.
- يؤكد الواقعيون أهمية المنهج المتصل بوقائع الحياة. ويركزون على المواد المتصلة بالعلوم الطبيعية، ولا يكتثون بالعلوم السلوكية كعلم النفس وعلم الاجتماع والانثربولوجيا (علم الإنسان)، وكذلك الآداب والفنون بشكل عام لأنها "علوم ليست موضوعية، وتختلق انحيازات عند الطالب". (حسانين، 1978، ص39-40).

ثالثاً: الفلسفة البراجماتية (Pragmatism)

كلمة براجماتية مشتقة من الكلمة اليونانية (Pragma) وترجم إلى العربية بعدة ألفاظ ومصطلحات مثل: الذرائعية، أو الأدوات، أو الوسيلية أو العملية. فهي فلسفة عملية من فلسفات القرن العشرين طورها الأميركيون أساساً، وإن كانت جذورها تمتد إلى تقاليد فكرية أوروبية وبريطانية بشكل خاص. وهي تركز إلى النظرة الجديدة إلى العالم التي أوجدتها "الثورة العلمية" والأسلوب الجديد في التساؤل لـ "عصر التنوير" ونشوء اتجاهات إنسانية ذات نزعة طبيعية. ونجد أصول البراجماتية في أعمال علماء وفلاسفة مثل فرانسيس بيكون (1561-1626) وجون لوك (1632-1704) وروسو (1712-1778) وداروين (1809-1882)... إلا أن العناصر الفلسفية التي أعطت للبراجماتية فلسفتها ومنهجها تعود إلى شارل بيرس (1839-1914) وويليم جيمس (1842-1910) وجون ديوي (1859-1952) في الولايات المتحدة الأمريكية. (الجيوشي، 1988، ص112).

ويمكن إيجاز نظرة البراجماتية إلى الكون والإنسان والحياة كالتالي:

– طبيعة العالم: يتفق البراجماتيون مع الواقعيين على أن العالم قائم بذاته، وأنه ليس مجرد إسقاط من جانب العقل. لكنهم يرون أن العالم ليس دائماً، ولا مستقلاً عن الإنسان ويتوضح ذلك من خلال اعتقادهم أن التغيير هو جوهر الحقيقة التي يرونها نتيجة تفاعل بين الإنسان ومحيطه، وهي المجموع لكلي لخبرة الإنسان؛ لهذا علينا دراسة العالم من حيث أنه يؤثر فينا. (نيلر، 1977، ص70-71).

– طبيعة الإنسان: أولت البراجماتية اهتمام ملحوظاً للإنسان الفرد، وجعلته في اعتبارها الأول، فهو حامل الفكر المبدع وصانع العمل وصاحب تطبيقه. فالإنسان عند البراجماتيين ذو طبيعة مؤثرة ونفوذ قوي، قادر على أن يعمل لنفسه بيئة أفضل، وهو كائن بيولوجي اجتماعي يستجيب للمثيرات البيولوجية والاجتماعية. أما النفس فهي نوع من الحقائق، ورمز سلوكي أنتجه موقف اجتماعي. وتشجع البراجماتية على التفاعل بين الفرد والمجتمع وتدعو إلى التفكير المستقل، والابتكار والروح الإنسانية الحقة. والإنسان محايد وقابل لتعلم الخير والشر حسب تأثير المجتمع. (نيلر، مصدر سابق، ص76)، (صمويلسون، 1998، ص24).

— طبيعة الحقيقة (العقل والمعرفة): تعتمد البراجماتية على العقل في حل المشكلات، ويرى منظروها أن المعرفة تستمد من العمل، وفي العمل، وإن الذكاء هو جوهر نظرية الحق.. وأن العقل شكل من أشكال السلوك الاجتماعي الذي له هدف واتجاه محددان.. وأن اكتساب الخبرة جوهر المعرفة، وأن أهم عوامل اكتسابها هو توفر الديمقراطية باعتبارها أسلوباً للحياة.. وأن المعرفة عملية تفاعل بين الإنسان وبيئته، وأن الحقيقة مستقلة عن الأفكار التي يقترح الإنسان تفسيرها. وينظر البراجماتيون بشك إلى "النظم" المعرفية. وهم لا يؤمنون بالحواس كمصادر للمعرفة، ويهتمون أكثر بالفعل "الناجح". (حسانين، 1978، ص50) (جرادات، 1984، ص36).

— طبيعة القيم: يعتقد البراجماتيون أن القيم من صنع الإنسان ويتنكرون للمعيار الثابت للسلوك. ويرون أنه في عالم متغير لا يوجد شيء حقيقي أو خير نهائي إلى الأبد. "فالنظام القديم يتغير تاركا مكانه للجديد.. وما كان خير بالأمس قد لا يكون كذلك اليوم.. فالتغير هو قانون الطبيعة" لهذا ترى البراجماتية انه ليس هناك قيم مطلقة بل هي متغيرة بتغير الزمان والمكان.. وأن الإنسان يخلق قيمه الخاصة، من خلال التجربة وأن المعيار الوحيد لذلك هو القيم الأداة. (فرحان، 1989، ص124).

أما انعكاسات الفلسفة البراجماتية تربويا فيمكن تحديدها كما يلي:

— مفهوم التربية: يرى ديوي أن التربية الحقبة القادرة على "لإثارة قوى الطفل نتيجة شعوره بما تتطلبه المواقف الاجتماعية التي يواجهها" فالتربية بهذا تكون عملية اجتماعية وتتحول إلى مختبر تتحول فيه أفكار الفلاسفة إلى أمر واقع. (ديوي، ص102).

- أهداف التربية: ومهما كان الهدف الخاص للمؤسسة التربوية، فإن البراجماتيين يهتمون بشكل خاص بالأسلوب الذي يتم فيه بلوغ الأهداف. ويرى ديوي إن الأهداف يجب أن توضع بالاستناد إلى الظروف المحيطة، وأن تتسم بالمرونة وأن توجه نحو غاية منظورة. وهدف التربية الأساسي عند ديوي هو "النمو" لأنه خاصة من خصائص الحياة "فالتربية والنمو أمر واحد، لا غاية لها خارج ذاتها". والتربية من أجل النمو تتناسب مع التربية من أجل المجتمع الديمقراطي، والنمو التربوي يدعم أسس المجتمع الديمقراطي ومثله وينميها. غير أن كيلباتريك (تلميذ ديوي وزميله) يذهب إلى أن الهدف الأهم للتربية هو حق كل إنسان "بأحسن وأرقى حياة ممكنة" وبذلك يجب على المدرسة أن تربي عادات فكرية، وترعى الابتكار والمبادرة ليتسنى لها تربية الفرد في الاتجاه السليم. فالتربية هي الحياة وليست إعداداً للحياة. (الجيوشي، 1988، ص123).
- الطالب: تعنى البراجماتية باهتمامات الطالب، وتعمل على تنمية حب الاستطلاع لديه، لأنهما يحفزانه على التعلم بصفة أساسية. وتهتم بتعزيز ذكاء الطفل، وأن تنمو دراساته بدرجات إلى مستوى التجريد والدقة. وترفض البراجماتية بشدة استخدام الصرامة والقسوة في معاملة الطلاب، فلا يوجد فيها مكان للنظام الصارم القاسي. ويمكن للطالب أن يتعلم ويلعب في آن واحد، وعلى المرابي أن يشجع الطالب على النشاطات الهادفة، لأن النشاط هو أساس كل تدريس. (فرحان، 1989، ص118).
- المعلم: التربية عند البراجماتيين فن والمعلم يعبر عن أرقى مستوى لهذا الفن، لأن المعلم هو إنسان براجماتي أي يهتم أساساً بحل المشكلات التي تنشأ في البيئة الطبيعية والاجتماعية. ويهتم البراجماتيون بأن يكون المعلم صاحب اتجاه تجريبي، يتبع أسلوب المحاولة والخطأ، ويحل المشكلات جزءاً جزءاً، ويكيف نفسه للمواقف الناشئة، وهو يتبنى الاتجاه ذاته في الفصل الدراسي، ويحاول أن ينقله إلى طلابه. "ولعل من المناسب أن ينهج المعلم البراجماتي منهج سقراط الذي علم طلابه كيف يفكرون ويعملون بأنفسهم، وأن يعملوا أكثر مما يعرفون..". (حسانين، 1978، ص55).

– المنهاج: يبني المنهاج البراجماتي على الميول الطبيعية للطفل، ويراعي مراحل نموه المختلفة. ويبدأ الطفل بالتأكد على ما يريد من المنهاج لا على الكتاب أو المادة أو المعلم. ومنهج الدراسة الأولية لدى البراجماتية مطالب بأن يشمل القراءة والكتابة والعدّ ودراسة الطبيعة والأشغال اليدوية والرسم. ويهتم هذا المنهج بالحقائق المتعلقة بطبيعة الطفل والحياة، ولهذا ينبغي أن تكون محتويات المنهج مختارة من الأنشطة المختلفة في الحياة الواقعية. وهذه الأنشطة الاجتماعية في رأي البراجماتيين تعمل على تنمية الفضائل الأخلاقية، وضبط النفس والمبادأة والاستقلالية. وبناء عليه فإن منهج النشاط هو الطريق الأمثل لاكتساب المعرفة. وتذهب البراجماتية إلى أن إدراك الأشياء يكون على أحسن وجه عندما توضع المشكلات موضعها، ثم يجري العمل على حلها. وتؤكد على الخبرة أو تجديد الخبرة.. ولذلك وضعت البراجماتية التربية المهنية والعلوم الطبيعية في المقام الأول، واما الدراسات الإنسانية واللغات فلها أهمية ثانوية. ويدعو البراجماتيون إلى إدخال علم النفس وعلم الاجتماع ضمن المنهج الدراسي، لأنهما يعرّفان الطالب بالخبرة الإنسانية. (نيلر، 1977، ص73 و74).

رابعاً: الفلسفة الوجودية (Existentialism):

ليست الوجودية مذهباً فلسفياً وحداً، بل هناك فلسفات وجودية متعددة تجمعها صفات مشتركة. وهناك نزعات في الوجودية: الأولى: نزعة دينية أو مؤمنة يمثلها كل من كيركيغورد وكارل يبرز، والثانية: نزعة لا دينية أو ملحدة يمثلها مارتن هيدجر وجان بول سارتر. وقد جاءت الوجودية رداً على التيارات العقلية التي صبغت الفلسفات القديمة والتي جعلت الماهية سابقة على الوجود، ونظرت إلى الوجود من خلال النفس لعاقلة، وهي القضية التي عبر عنها ديكارت بقوله المشهور: "أنا أفكر، إذن أنا موجود". (غالبا، 1980، ص22).

وقد ردت الوجودية على ذلك بأن جعلت الوجود يسبق الماهية، وجاء الرد على لسان كيركيغورد: "كلما ازدادت تفكيراً قلّ وجودي". وقد نتج عن هذه النظرة الفلسفية الوجودية أن سقطت التفرقة بين الذات والموضوع التي شغل بها الفلاسفة التقليديون، بل أن كلمة فلسفة التي تعني عند القدامى "حب الحكمة" أصبحت لدى الوجوديين تعني "فن معرفة النفس عن طريق الألفة مع الأشياء الخارجة". (سارتر، 1987، ص46).

أما نظرة الفلسفة الوجودية إلى الكون والإنسان والحياة، فيمكن تحديدها بالتالي:

– طبيعة الإنسان: تعتبر الوجودية الإنسان حجر الزاوية في مذهبها الفلسفي وتعني به الإنسان الفرد المتفاعل مع الوجود والحياة بالتجربة الحية. والإنسان عند كير كيجورد يستطيع أن يؤكد ذاته ووجوده في الحياة من خلال مواقفه واختياره الحر. ويهتم هيدجر بالجانب الانفعالي في الطبيعة الإنسانية ليؤكد أن الوجودية تمجد الوجود الإنساني على حساب الوجود العام. ويرى سارتر أن الوجود مشروع لتجديد الماهية. وتهدف الوجودية من وراء ذلك كله وضع الإنسان في وجه حقيقته، وتحمله مسؤولية وجوده، بينما يرى سارتر أن الآخرين "وجدوني ليسلوبي حريتي فهم الحميم بعينه". (هويدي، 1985، ص234).

– طبيعة القيم: يرى الوجوديون أن كل فرد يبتكر قيمه الخاصة من خلال اختياراته وأفعاله. ولذلك فالقيم نسبية عاطفية وشخصية. والقيم الأكثر أهمية عند الوجودي هي تلك التي تدفع الفرد ليكون أصيلاً في فرديته وحرية، فحرية الاختيار تجعل الفرد يمنح الآخرين فرصة لاختيار ما يشاؤون، مما يؤدي إلى ابتكار أخلاق اجتماعية وعقد اجتماعي. (صمويلسون، 1998، ص22).

– طبيعة الحقيقة (المعرفة): يرى الوجوديون أن الحقيقة ليست وجوداً مطلقاً، لأنها تحدد من قبل الإنسان وتعتمد على المفاهيم الفردية والاختيارات والعلاقات الشخصية فالحقيقة هنا نسبية تتطلب قدرة على الاختيار وتحمل المسؤولية والعمل الشخصي. (المصدر نفسه، ص21).

أما التطبيقات التربوية للفكر الفلسفي الوجودي فيمكن عرضها بإيجاز ، كما يلي:

- مفهوم التربية: تسعى الوجودية من وراء التربية إلى تطوير الفرد وإزالة الغيوم عنه، وأحاطته بالموقف الذي يوجد فيه إحاطة كاملة. (فرحان، 1989، ص148).
- أهداف التربية: ترى الوجودية أن الغاية الوحيدة المقبولة للتربية أو المدرسة هي مساعدة الطفل ليصبح صادقاً مع نفسه، ويكون ذكياً، حساساً، قادراً على الاختيار، عاملاً، يلتزم بالحرية ويمارسها بإخلاص. ويتحدد هدف التربية في المنظار الوجودي بإكساب الطالب العادات العقلية المتمثلة بالنظام، والقدرة على النقد، والقدرة على الإنتاج والخصوبة. (حسانين، 1978، ص94).

- الطالب: تتطلع التربية الوجودية إلى إيجاد طلاب قادرين على المبادرة الشخصية وتقرير حياتهم، ولديهم الرغبة في فهم أنفسهم ونفوس الآخرين، والارتقاء بمستواهم الشخصي جسمانيا وعاطفيا وعقليا. والطالب الذي يستحق الثواب والمكافأة هو من لديه الرغبة والمبادرة الشخصية للتعلم عن كيفية البحث عن الذات وإجابة الأسئلة المتصلة بأحوال الإنسان. (صمويلسون، 1998، ص54).
- المعلم: ترفض الوجودية وظيفة المعلم في الفلسفات التقليدية. ويرون أن على المعلم أن يقدم المساعدة الشخصية للطالب في سعيه إلى تحقيق ذاته. والمعلم الصالح هو الذي يعمل بنفسه "فاعلا حرا" وأن يستمر تأثيره طويلا في حياة الراشدين وأن يبقى "ملهما" لتلاميذه. ومهمة المعلم الوجودي الرئيسية هي أن يثير ميول الطالب وذكائه ومشاعره، وهو مسؤول عن حرية طلابه وتعليمهم الشجاعة والاستقلال. (نيلر، 1977، ص94).
- المنهاج: يشير نيلر إلى عدم ضرورة تحديد المنهج، حيث أن الحقيقة لا نهاية لها. ولكنه يضيف أن العلوم الإنسانية كالآداب والفنون يجب أن تكون محور أي خطة دراسية، وأن التاريخ يجب أن يدرس كطريقة ومنهج. وكذلك يجب أن تدرس العلوم الطبيعية والاجتماعية بهدف توحيد المعرفة الموضوعية والذاتية على السواء. من أجل توضيح علاقة الفرد بالجماعة. (حسانين، 1978، ص93).

خامسا: الفلسفة الإسلامية:

انبثقت الفلسفة الإسلامية من العقيدة الإسلامية وأصولها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد تأثرت بالفلسفة اليونانية وهي فلسفة أصيلة في طابعها وظروفها ومشكلاتها ومساهماتها في التراث الفكري الإنساني. وأثرت هذه الفلسفة الإسلامية على الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، كما أثرت على الفلسفة الأوروبية الحديثة من خلال ما ترجم منها إلى اللغة اللاتينية، وعن طريق الفلاسفة المسيحيين. (الرشدان، 1997، ص83).

أما المبادئ الأساسية للفلسفة الإسلامية فهي كالتالي:

- طبيعة العالم: الله سبحانه وتعالى هو مصدر هذا العالم وخالقه، وهو لم يخلق لمجرد الخلق فقط، بل جعل الله هذا الخلق "آيات لأولي الأبواب". والعالم ليس ثابتا بل قابل للتغير والتبدل.

– طبيعة الإنسان: الإنسان كما صورته القرآن الكريم قوة مبدعة وروح متصاعدة تسمو في سيرها قدما من حالة وجودية إلى حالة أخرى. ويتكون الإنسان من نفس وجسد، وهو وحدة متكاملة، فالجسم ليس منفصلا عن النفس وإنما هما وجهان لشيء واحد هو شخصية الإنسان، وهذا يخالف الفهم المزدوج للطبيعة الإنسانية عند الفلسفة المثالية. والإنسان في الإسلام مخلوق مكرم وقد جعله الله مميذا ومختارا أي قادرا على التمييز بين الخير والشر ويستطيع بإرادته أن يختار بين طرق السعادة وطرق الشقاء. كما وهبه القدرة على التعلم والمعرفة وزوده بادوات القدرة على التعلم ومنها اسمع والبصر والفتؤاد وحمله مسؤولية تطبيق شريعة الله وتحقيق عبادته التي هي المهمة العليا لهذا الإنسان. (النحلاوي، 1995، ص24و25).

– طبيعة الحقيقة: يهدف الدين الإسلامي إلى غرض بعيد هو الوصول إلى الحقيقة والمعرفة، والله سبحانه وتعالى هو مصدر الحقيقة الأول، حيث تأتينا عن طريق رسوله الكريم، ويشجع الإسلام على استخدام العقل والملاحظة التأملية للكون للوصول إلى الحقيقة: ﴿سزيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾، ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ وإلى السماء كيف رفعت ﴿إلى الجبال كيف نصبت﴾ وإلى الأرض كيف سطحت ﴿وهذه الآيات توضح الاتجاه التجريبي في القرآن الكريم الذي يعتمد على الملاحظة وتدبر ما هو وواقع وملموس في هذا الكون الفسيح.

– طبيعة القيم: مثلما اختلفت نظرة المدرسة الإسلامية للمعرفة عن بقية الفلسفات الأخرى، فإنها تختلف أيضا عنها فيما يتعلق بالقيم. فالله سبحانه وتعالى بين لنا سبيل الخير وامرنا باتباعه، كما بين لنا سبيل الشر ونهانا عن اتباعه. وسبيل الخير في الفلسفة الإسلامية يشمل الخير في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وكذلك هو سبيل الشر. لذلك فإن قيمة الأشياء التي وضحها لنا الله في القرآن الكريم وبيئها رسوله في سنته النبوية تبدو واضحة في الأنظمة والقوانين والتشريعات الإسلامية. أما الأمور التي لم يرد فيها نص شرعي في القرآن أو الحديث فإن قيمتها تكمن في ما تحقق من خير للناس كافة وللمجتمع شريطة انسجامها التام مع العقيدة الإسلامية. (الحيارى، 1994، ص338).

أما أهم المبادئ التربوية للفلسفة الإسلامية، فيمكن إيجازها كالتالي:

- مفهوم التربية: التربية في المجتمع المسلم تعد الوسيلة المثلى لتوضيح دعائم العقيدة والمثل والقيم الإسلامية في نفوس أبناء المجتمع وفق الإطار الفكري العام للنهج الإسلامي، وما يرافق ذلك من إعداد جميع أفراد المجتمع أفراداً وجماعات وفقاً لقدراتهم والفردية والجماعية بما يتناسب مع معطيات العصر الحضارية، لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية التي ينشدها المجتمع المسلم. (الحياري، 2000، ص370).
- أهداف التربية: يرى النحلاوي (1995) أن هدف التربية الإسلامية العام هو "تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي" وهذا يعني أن الغاية النهائية للتربية الإسلامية هي تحقيق العبودية لله في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية" (ص108).
 - تمكين الإنسان من تحقيق الغاية الوجودية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله سبحانه والفوز برضاه.
 - تأهيل الإنسان وفق المعتقدات الفكرية، والأنماط السلوكية، والقوانين والأنظمة الإنسانية في شتى أمور الحياة ليفوز في الامتحان الشامل الذي أقره الحق سبحانه وتعالى على الإنسان في الحياة الدنيا.
 - توجيه الإنسان نحو مصدر الخير والهدى سواء في وجوده المؤقت في الحياة الدنيا أم في وجوده الخالد في الحياة الآخرة.
 - مساعدة الإنسان على مقاومة الشر.
 - مساعدة الإنسان على إرساء قواعد العدل وتثبيت دعائم المساواة بين الناس في مختلف قضاياهم الحياتية.
 - مساعدة الإنسان في الوصول إلى أعلى منزلة بين سائر المخلوقات.

- تحيري العقل الإنساني من ضغوط الشهوات والمحافظات على مكانته القيادية في ذات الإنسان.
 - تأهيل أفراد المجتمع بكافة العلوم والمعارف التي تساهم في تحقيق أهداف المجتمع المسلم بما يتفق مع النهج الإلهي وما ينسجم مع التطور الحضاري عبر العصور.
 - إعداد أفراد المجتمع بشكل علمي سليم يسمح لهم بدرء الشبهات عن الإسلام ومجتمعه. والمساهمة الفاعلة في عملية الغزو الفكري والصراع الأيديولوجي على المستوى العالمي في كافة المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية.
 - إعداد الدعاة وتأهيلهم بكافة العلوم والمعارف التي تسمح بتوصيل رسالة الحق سبحانه وتعالى للإنسان وتوضيح معالم الحق والهدى بما ينسجم مع تعليمات النهج الإلهي. وما يتفق مع المفاهيم العلمية الحديثة والأساليب الحضارية المتقدمة التي يشهدها العصر الحديث. (الحياري، 1994، ص348-349).
- الطالب: يميز علماء المسلمين وفلاسفتهم بين التربية والتعليم. ويرى ابن سينا أن التربية تبدأ منذ الولادة ويأتي التعليم في مرحلة لاحقة. ويهتم ابن سينا بتسمية الطفل وإرضاعه ويطالب الوالدين بأن يختاروا له أحسن الأسماء وأفضل المرضعات. ويركز على تجنب الطفل "مقايح الأخلاق" و"العادات السيئة". ويرى أن المعلم يجب أن يستخدم أساليب الترغيب والترهيب، ولا يعارض العقاب الجسدي من حيث المبدأ. ويطالب ابن سينا الطالب بأن تكون أخلاقه حسنة وعاداته مرضية. وأقر باختلاف ميول الطلاب وتفاوتها، فدعا إلى تعليمهم "الصناعة التي تناسب كلا منهم" وكذلك "تدريسه العلم الذي يميل إليه". (فرحان، 1989، ص198).

- المعلم: نظر الإسلام إلى المدرس نظرة تقديس وإجلال وتعظيم تظهر من خلال أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم- الكثيرة: "إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء". ويقول الغزالي: من علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه. وقد اشترط الإسلام في المعلم أن يكون متدينا صادقا في عمله وحليما يتحلى بالوقار والرفق والتواضع وعليه أن يقصد بتعليمه مرضاة الله تعالى قبل أي شيء آخر. (الرشدان، 1997، ص86).
- المنهاج: تنبثق أهمية المنهاج في التربية الإسلامية من انه يصل الإنسان بالله تعالى، ليصلح حاله على الأرض وينظم حياته فيها، فيغمرها ويرقيها عن طريق الكد والكدح المستمرين، وعن طريق التحليل فيها والترتيب واستغلال كل الطاقات والإمكانات المدركة التي منحها الله إياها وهو يعقل لكل هذا في الوقت الذي يكون متجها بعقله وقلبه إلى الله، وهنا يرتبط ملكوت الأرض بملكوت السماء. (مدكور، 1991، ص40). والمنهاج الإسلامي منهاج مميز في خصائصه الربانية من حيث المصدر والغاية، فهو من صنع الله الذي خلق كل شيء ووضع موازينه، ويقول سيد قطب "إنه نظام رباني صادر من الله للإنسان وليس من صنع الإنسان" (قطب، 1982، ص44). وتشير وجهة المعاني (2003) إلى أن خصائص المنهج التربوي الإسلامي تتمثل في: الربانية والنظام والثبات والشمول والتنظيم والعلم والتكامل والإبداع والجمال والتغيير والتطوير. (ص288).

سادسا: الفلسفة المادية:

تعتبر المادية بكل أشكالها وألوانها خروجاً عن الفلسفات المثالية ونقداً لمناهجها ومعاييرها وأهدافها، وترى المادية أن الوجود سابق للفكر، وأن المحسوس والتجربة الحسية هما المصدران الأساسيان لكل معرفة، وهي لا تؤمن بثنائيات الفلسفة المثالية في الطبيعة الإنسانية بل جاءت لتناقضها، والإنسان، في نظرها، جزء من الطبيعة ولكنه العضو الطبيعي الأكثر تعقيدا في سلم الموجودات الحية. وقد تعددت الفلسفات المادية ابتداءً من المادية الميكانيكية عند هوبس (1588-1679) الذي كان من دعاة الحتمية المتطرفة مرورا بـ كونت (1798-1857) الذي تدرج نظريته الوضعية في إطار عام للنظريات المادية، وصولاً إلى كارل ماركس وإنجلز فيلسوف المادية التاريخية التي هي عماد النظرية الماركسية - اللينينية (الاشتراكية العلمية). (الجيوشي، 1988، ص100).

ولكي نوضح التصورات الفكرية الخاصة بالفلسفة الشيوعية ونظرتها للكون والإنسان والحياة لا بد من الإشارة إلى أنها قامت على أربعة مبادئ أساسية: المادية التاريخية والمادية الجدلية والتطورية والاحتمية. وقد تخلت عن كل الادعاءات الأخلاقية والمثالية التي عرفتها الاشتراكيات المتقدمة عليها وقبلت التفسير التطوري للتاريخ الإنساني واعتبرته فلسفة ثورية متميزة ومجّدت فكرة الصراع الطبقي كمصدر لجميع الفضائل البروليتارية. ودعت إلى تحويل العالم نحو الاشتراكية العلمية سبيلا وحيدا لبقاء الحضارة الإنسانية وتحقيقها عن طريق وضع آليات التحول الجذري إلى النظام الشيوعي. (رضا، 1993، ص184).

ويمكن تلخيص نظرة الفلسفة الشيوعية إلى الكون والإنسان والحياة بما يلي:

- طبيعة العالم: ترى الفلسفة الشيوعية أن دينامية المادة هي التي تحدث الحياة وعلى أساسها تتطور الكائنات، وأن المظاهر غير المادية كالشعور مثلا ما هي إلا أشكال راقية متطورة للمادة. فالمادة هي كل شيء وهي الحياة.
- طبيعة الإنسان: الطبيعة الإنسانية طبيعة مادية، تخضع لما تخضع له المادة من تغير وتطور، وترفض الفلسفة الشيوعية (المادية التاريخية) أية ثنائية تحاول أن تفصل ما بين الجسم والروح، أو الفكر والعمل، فالطبيعة الإنسانية طبيعة حرة في أن تختار طريقها أو تحدد مستقبلها، ولكن في إطار القوانين العملية التي تحكم حركة المادة ونشاطها. ولا مجال للاختلاف في النوع بين الذكر والأنثى لأن لهما جوهرًا حقيقيًا واحدًا هو الجوهر المادي، أما الخلاف فهو في الشكل.
- طبيعة الحقيقة: بما أن الواقع ينمو ويتطور، فالحقيقة في نمو وتطور متزايد. وتكون الفكرة الواحدة خطأً وحقيقة في آن واحد، لأن الحقيقة والخطأ يمكن أن يجتمعا وليس هناك تعارض مطلق بينهما. والعقل الإنساني هو نتاج تطور مستمر للمادة وهو إحدى حالاتها وليس كلها، أي أنه نظام راق للمادة يأخذ شكل المخ الإنساني.

- طبيعة القيم: تؤمن الشيوعية بالقيم المادية التي يساندها العلم، باعتباره "أي العلم" من مستلزمات الحياة وضرورياتها، والقيم ليست ثابتة، بل متغيرة وفقا لتطور الوضع المادي والاقتصادي، فالحق والخير والعدل والفضيلة والصدق والأمانة كلمات يعبر عنها كل جيل بما يحلو له (فهي ليست ثابتة ولا محددة). إن مقياس كل شي هو ذاته، ووجود الشيء بالفعل هو مبرر وجوده، ثم يتغير كل شيء حين يتغير الوضع المادي والاقتصادي، عندما يصبح الوضع السابق خطأ بعد أن كان صوابا. فالقيم والمعايير والعقائد والأفكار والمشاعر هي انعكاس للوضع المادي والاقتصادي وليست شيئا قائما بذاته. (Hana, 1985, Pp. 67)

ويمكن إيجاز أبرز المبادئ التربوية للفلسفة الشيوعية بالتالي:

- مفهوم التربية: ينطلق مفهوم التربية الشيوعية من نظرة الماركسية اللينينية إلى مهمة الفلسفة ولما كانت هذه المهمة في نظر كارل ماركس هي تغير العالم، فإن هذا هو جوهر التربية الشيوعية التي تعتبر رد فعل على الفلسفات المثالية والفردية التي تمجد الفرد وتجعله محورها الأساسي.
- أهداف التربية: ترى الشيوعية أن أهم أهداف التربية هو الاهتمام بالتربية المادية وإنشاء الجيل الجديد على تربية اشتراكية وتشكيله أيديولوجيا وفقا للمعتقدات الحزبية ومن هنا تؤكد التربية الشيوعية على الاهتمام بكل ما يخدم المصلحة العامة وخدمة الجماعة ونكران الفردية، والتأكيد على نظام تربوي يهتم بالواجبات والحقوق التي يرضى عنها المجتمع والحزب.
- الطالب: تهتم التربية الشيوعية بتنشئة الأطفال منذ نعومة أظفارهم على الولاء الكامل للنظام والدولة والحزب، وتتولى الدولة الإشراف الكامل منذ ولادتهم
- المعلم: يحتل المعلم دورا أساسيا في التربية الشيوعية باعتباره ناقل الثقافة الاشتراكية العلمية إلى طلابه، ومطلوب منه تثبيت القيم والمعايير والأفكار المادية في أذهان الطلاب باستخدام مختلف وسائل التأثير الفكري عليهم.

- المنهاج: ينطلق النظام التعليمي الشيوعي من نظرية مؤسسة الدولة في خضع لتراتبية وظيفة ولمنهاج ومتطلبات مقررة سلفاً من قبل السلطة القائمة، ويركز المنهاج التربوي الشيوعي على التربية العقلية والتربية البدنية والتربية التقنية والتدريب العسكري، والمزاوجة بين النظرية والتطبيق بتطوير الممارسات السلوكية والتطبيقات العملية لإيجاد الحلول العلمية للمشكلات التي يواجهها الإنسان. ولا يولي هذا المنهاج أي اهتمام للدين، بل يتمسك بالقوانين الطبيعية بديلاً للدين. (رضا، 1993، ص 187-188).

سابعاً: فلسفات مادية معاصرة:

ثمة فلسفات تربوية أخرى تتصل بالفلسفات العامة التقليدية والتقدمية ومنها الفلسفة التجديدية، والفلسفة التواترية والجوهرية، ولكل منها جذورها من فكر الفلسفات العامة السابقة، خاصة المثالية والواقعية والبرجماتية.

وقد نمت هذه الفلسفات الجديدة لأنها اشتقت من التساؤل حول طبيعة التربية وطبيعة الفلسفة، وجميعها ترتبط بتاريخ التربية الأمريكية، وقد جاءت التواترية رد فعل على الجوهرية، كما كانت التقدمية والتجديدية انبثاقاً عن البرجماتية. (مرسي، 1982، ص 257).

3. الأحزاب السياسية

إذا كان من المعروف في العصور القديمة أن السياسة كانت تقتصر على الدولة أو السلطة السياسية، وكانت التربية وعلاقتها بالسياسة تفرعاً على ذلك. فإن العصر الراهن قد شهد تطورات كثيرة أدت إلى بروز قوى سياسية في المجتمع - خارج مؤسسات السلطة الحاكمة- أخذت دوراً مهماً في العملية التربوية. وأبرز هذه القوى كانت الأحزاب السياسية.

توجد الأحزاب السياسية في أغلب المجتمعات المعاصرة، الغربية والشرقية ودول العالم الثالث. وقد اختفت وجهات النظر التي كانت سائدة في الماضي والتي تعتبر الحزب مصدراً للانقسام والتفكك السياسي وحلت محلها وجهة نظر أخرى معاصرة مفادها أن السياسة عملية معقدة للغاية ولا يمكن تنظيمها من غير الأحزاب. وأن بناء الأحزاب وأهدافها من التنوع بحيث يستطيع أي نظام سياسي أن يختار ما يلائمه من التركيبات الحزبية. (المنوفي، 1987، ص 183).

وتشكل دراسة نشأة الأحزاب السياسية وفكرها وبرامجها أحد أهم متطلبات فهم أبعاد العملية السياسية ومتغيراتها في أي بلد. وتعود أهميتها إلى أن وجود الأحزاب يعد واحدة من خصائص النظم السياسية الحديثة بصرف النظر عن طبيعة النظام الحزبي. فالمجتمعات والأنظمة السياسية التي لم تعرف ظاهرة الأحزاب غالباً ما تكون في مرحلة بدائية من تطورها. و"هناك اتجاهات حديثة تربط بين الديمقراطية والأحزاب بحيث تعرف الديمقراطية بأنها حكومة تعدد الأحزاب وتعتبر انعدام وجود التعدد الحزبي في بلد ما مؤشراً على غياب الديمقراطية". (بركات، 2000، ص 45).

وتتعدد تعريفات الحزب السياسي بتعدد نظريات نشوء الأحزاب ومنطلقاتها. ويشير ديفرجيه (1977) إلى أبرز هذه التعريفات ومنها:

- المفهوم الليبرالي الذي ينظر إلى الحزب بوصفه جماعة عقائدية: "فالحزب هو اجتماع رجال يعتقدون العقيدة السياسية نفسها" حسب ما يقول بنيامين كوستان سنة 1816. وأشار "ديفيد هيوم" إلى أن البرنامج يلعب دوراً أساسياً في المرحلة البدائية، بحيث يعمل على تكتيل أفراد متفرقين، ويأتي التنظيم بعد ذلك في المرتبة الأولى. بعد أن تصبح الأفكار والمشاريع ثانوية بكل معنى الكلمة".
- المفهوم الماركسي للحزب الذي يرى ديفرجيه أنه "يقوم على الطبقة بعكس المفهوم الليبرالي للحزب الذي يقوم على العقيدة ويركز المفهوم الماركسي على مسائل تتعلق بمستوى المعيشة والمهنة، والثقافة، ثم الولاء السياسي".

وتعرف بعض المصادر الحزب السياسي بأنه تنظيم اجتماعي طوعي، أو تحالف بين أناس يعتقدون فكرة واحدة، وفي العادة يعمل أعضاء الحزب سوياً، ويخضعون تصرفاتهم للانضباط الحزبي، بخلاف المنظمات الاجتماعية غير السياسية، ويتطلع الحزب السياسي دائماً إلى بلوغ أهداف سياسية محددة طامحاً إلى النفوذ القيادي في الحياة السياسية وإلى المشاركة في تنظيم المجتمع، والاحتفاظ بالسلطة لتنفيذ برامجه. (نويهض، 1988، ص 130)

وهكذا فإن الحزب السياسي بالمعنى الغربي ليس سوى نمط من مجموعات عديدة تحاول - في ظل النظم السياسية المختلفة - أن تسيطر على جهاز الحكومة وسياستها. ولهذا لا يعترف دعاة هذا المفهوم بالتكوينات الحزبية الأخرى التي تحاول الوصول إلى الحكم بطرق أخرى غير طريق الانتخاب، كما لا يعترفون بنظام الحزب الواحد.

وقد سعى دارسو الأحزاب السياسية إلى البحث عن صيغة إطار نظري عام يمكن تطبيقه على الأحزاب كافة في أي وقت وعلى اختلاف البيئات السياسية، وقد تباينت الآراء حول هذه المسألة مما أدى إلى وجود تسع طرق لتصنيف الأحزاب.

غير أن ديفرجيه (1977) يشير في الإطار النظري العام إلى تصنيفين للأحزاب :-

(1) الأحزاب ذات النشأة الداخلية : وهي الأحزاب التي نشأت ضمن نشاط تكتلات نيابية وحافظت على علاقة دائمة مع اللجان الانتخابية.

(2) الأحزاب ذات النشأة الخارجية : وهي الأحزاب التي نشأت خارج إطار الهيئة التشريعية، وكانت ذات برامج مناوئة لأنظمة الحكم، القائمة وتهدف إلى الوصول إلى البرلمان.

فأحزاب الكتلة البرلمانية كانت تجمعات تهدف إلى تحقيق مصالحها المحدودة. وهكذا يكاد يكون نشوء اللجان الانتخابية مبادرة من اليسار. إذ بفضلها أمكن التعريف بالنخبة الجديدة القادمة لمنافسة المجموعة القديمة في أذهان الناخبين. وفي الوقت نفسه استطلت الجماعات البورجوازية ببعض شاغلي المقاعد البرلمانية فالتفوا حولهم لدعمهم في الانتخابات القادمة مقابل حماية الطرف الآخر لمصالحهم.

ويرتبط نمو الأحزاب بنمو الديمقراطية واتساع الاقتراع الشعبي. فكلما انتشر حق الاقتراع وتعددت دعت الحاجة إلى الإحاطة بالناخبين من قبل لجان قادرة على التعريف بالمرشحين وتوجيه الأصوات نحوهم. ومن هنا تبدو عملية تكوين الأحزاب بسيطة لأول وهلة، تبدأ بخلق الكتلة البرلمانية أولاً، وتظهر فيما بعد اللجان الانتخابية وأخيراً يقوم الاتصال الدائم بين هذين العنصرين، وبعد قيام الكتلة البرلمانية واللجان الانتخابية يكفي أن يقوم تنسيق دائم بين هذه الأخيرة وأن تربطها بالكتلة بروابط منتظمة حتى يتكون حزب سياسي حقيقي. (جميل، 1984، ص 103).

وهناك تقسيمات وتصنيفات أخرى للأحزاب السياسية جاءت نتيجة معايير معينة في التصنيف

كالمشروعية والعضوية والأهداف والسياسات، بموجب هذه التصنيفات تقسم الأحزاب إلى ما يلي:

- أحزاب عقيدة Ideological Parties

حيث تركز الأحزاب على عقيدة محددة سياسية أو اجتماعية أو دينية، تقدم تفسيراً للواقع الاجتماعي وتضع تصوراً للمجتمع المنشود.

- أحزاب برامج Pragmatic Parties وهي أحزاب تعتمد على المواقف وتغير سياستها بين فترة وأخرى وتكون قادرة على التكيف وفقاً للظروف المحيطة وتلعب نوعية قياداتها وتوجهاتها دوراً أساسياً في ذلك.

- أحزاب أشخاص Personal Parties ويعتمد وجود الحزب على شخصية قائدة أو زعيمه، ويكون الولاء للحزب من خلال الولاء لهذا الزعيم. وكثيراً ما ينتهي الحزب بوفاة الزعيم.

- أحزاب مصالح Interest Parties ويمثل الحزب مصالح محددة لمجموعة من الناس، وتكون في الغالب قليلة العدد محدودة التأثير (Lu palombara and weiner, 1972, Pp 7-21)

ويرى خضر ضرورة أن تتوافر ثلاثة عناصر أساسية لوجود حزب سياسي هي:

- (1) مجموعة منظمة من الأفراد قادرة على التعبير عن مطالب الجماعة.
- (2) وجود هدف لهذه الجماعة، هو الوصول إلى الحكم لتنفيذ برنامج سياسي معين سواء أكانت أغراضه اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك.
- (3) أن تسلك هذه الجماعة الطرق الديمقراطية لتحقيق أهدافها وبرنامجها.

ومن هنا تخرج الأحزاب أو القوى السياسية التي تستخدم العنف والقوة عن نطاق مفهوم (الحزب) الذي نتحدث عنه، كما تخرج منه تلك الأحزاب التي لا يكون من أهدافها الاشتراك في الحكم أو الوصول إليه. (خضر، 1986، ص44-45).

ويرى (ديفرجيه) أن هناك تجمعات سرية وتكتلات ممنوعة قانوناً وهي منظمات ذات هدف سياسي لا تعمل على الصعيد الانتخابي أو البرلماني، وهي تقع تحت طائلة المنع القانوني، ولا ترقى إلى مستوى الأحزاب فإذا زال عنها المنع القانوني تتحول التجمعات السرية الخفية إلى أحزاب (ديفرجيه، 1977، ص 15).

ويشير حرب (1987) إلى أن الأحزاب الديمقراطية (في صورتها الحديثة) بلغت ما هي عليه اليوم من جراء تطورين سياسيين هامين :-

الأول : الحد من السلطة المطلقة للملكية في أوروبا الحديثة.

الثاني : حق الانتخاب الذي يتمتع به جميع المواطنين ممن بلغوا سن الرشد.

ويمكن تحديد الوظائف والمهام التي تقوم بها الأحزاب السياسية بما يلي:-

(1) العمل على تكوين ثقافة سياسية لدى الأفراد تمكنهم من المشاركة في الحياة العامة، والحكم عليها حكماً سليماً.

(2) أن تكون همزة وصل بين الحاكمين والمحكومين، ففي رحابها يلتقي الشعب بنوابه وتتاح له الفرصة لمناقشة القضايا العامة، ويكون باستطاعة الأفراد التأثير في النواب عن طريق الحزب الذي ينتمون إليه.

(3) تمثل الأحزاب عنصراً من عناصر الاستقرار في الحياة السياسية للدولة.

(4) تعمل الأحزاب على تنوير الرأي العام وتكوينه، عن طريق الاجتماعات المختلفة ووسائل الإعلام. (خضر،

1986، ص 57 - 59)

وإذا كانت الأحزاب السياسية نتاجاً للتطور البرلماني والعمليات الانتخابية في الدول المتقدمة وخصوصاً

أميركا وأوروبا، فإن الأحزاب في العالم الثالث لم تأخذ هذا المسار. فهذه البلدان لم تشهد الظاهرة البرلمانية على حقيقتها، وإن شهدتها جزئياً، فهي ليست أكثر من مؤسسات تمثيلية أنتجت مشاركة محدودة. وبصرف النظر عن أية أحكام "قيمة" حول الظاهرة الحزبية فإن النظم السياسية الحديثة تظل - في الغالب - نظماً "حزبية" سواء أكانت ليبرالية أم شمولية تعددية أم أحادية.

لقد ظهرت الأحزاب في العالم الثالث لتتعامل مع جملة من المشكلات المستجدة مثل التحرر الوطني والتكامل القومي وبناء المؤسسات الاجتماعية في ظل غياب الديمقراطية. وهذا جعلها أدوات لحشد التأثير الشعبي وضرب المعارضة ومصدراً مهماً للشرعية وتثبيت الحكم ونشر أيديولوجيته. والظاهرة الحزبية، بهذا المعنى، تمثل "أحد الميادين الرئيسية لتفرد خبرة بلدان العالم الثالث واختلافها عن البلدان الأكثر تقدماً. ولهذا اهتمت الدراسات السياسية الحديثة وأدبيات " التنمية السياسية" على وجه الخصوص بالدور التحديثي للحزب السياسي، بل نظرت إليه بوصفه أكثر المؤسسات أهمية في هذا المضمار". (حرب، 1987، ص5). غير أن دور الأحزاب في التنمية السياسية يثير تساؤلات كثيرة عن مدى قدرتها على إحداث التنمية والتحديث في ظل ظروف التخلف القاسية التي يشهدها العالم الثالث.

3. 1. الأحزاب السياسية في المشرق العربي:

تعرض الباحث في هذا الجزء لنشأة الأحزاب السياسية العربية المشمولة بدراسته وتطور فكرها وأهدافها وغاياتها خلال فترة الدراسة.

3. 1. 1. الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي:

تعتبر الأحزاب الشيوعية من أقدم التنظيمات الحزبية في الوطن العربي، فمعظمها تأسست في مطلع العشرينات من القرن العشرين، و"بفعل مؤثرات خارجية أولاً وظروف داخلية ثانياً". (عبد الكريم، لات، ص3).

بدأت أولى المحاولات لتأسيس الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية بعد تأسيس الأممية الاشتراكية الثالثة "الكومنترن" بحوالي عام، في أعقاب مؤتمرها الثاني الذي عقدته في موسكو (تموز - آب 1920) وناقشت فيه قضية المستعمرات والقضايا الوطنية وأصدرت على أثره نداءات إلى فلاحي الأناضول وعمال إيران، وفلاحي أرمينيا للثورة ضد حكوماتهم "الخاضعة للرأسماليين والاستعماريين" ثم دعت الأممية الثالثة إلى عقد مؤتمر لشعوب الشرق في باكو عاصمة أذربيجان السوفياتية في أيلول من العام نفسه، حضره قليل من العرب وأعداد أكبر من اليهود، وقدر لهؤلاء اليهود أن "يلعبوا دوراً كبيراً في تأسيس الأحزاب الشيوعية العربية المشرقية" (موسوعة السياسة، ج2، 1986، ص259).

وفي ما يلي يعرض الباحث نشأة الأحزاب الشيوعية العربية وتطورها وفقاً لتاريخ ظهور كل منها في بلدانها معتمداً على وثائقها وأدبياتها بشكل أساسي.

- الحزب الشيوعي الفلسطيني:

بدأ النشاط الحزبي الشيوعي في فلسطين وقت مبكر من القرن العشرين. وهناك من يعيده إلى آذار - مارس 1919 حين تأسس في فلسطين "حزب العمل الاشتراكي" من أعضاء يهود؛ أغلبهم من الشيوعيين، والباقيون من يسار حزب يهودي أطلق عليه اختصاراً اسم "موبسي". واعتبر ذلك بدء النشاط الحزبي الشيوعي في فلسطين على أنه لم يكن "حزباً شيوعياً خالصاً". (موسوعة السياسة، 1981، ج1، ص410).

غير أن الحال بقي كذلك إلى خريف 1922، حين ولد الحزب الشيوعي الفلسطيني، باسمه وفكره وبرنامجه السياسي. وقد عقد الشيوعيون في فلسطين مؤتمراً لهذه الغاية فكان عليهم أن يختاروا بين الاندماج في الحركة الشيوعية الدولية (الأممية الثالثة) وبين الانضمام إلى المؤتمر الصهيوني العالمي. وقد اختارت غالبية أعضائه جانب الصهيونية، وبلغ عددهم 300 عضو، وشكلوا في ما بعد قيادة حزب (الماباي). بينما فضل الباقيون، وهم الأقلية البقاء ضمن الحركة الشيوعية ويقدر عددهم بمئة وخمسين عضواً، وأطلقوا على تنظيمهم اسم "الحزب الشيوعي الفلسطيني" وما لبث أن حصل على اعتراف الأممية الثالثة في شباط - فبراير 1924. (الشريف، 1986، ص130).

لقد عانى الحزب الشيوعي الفلسطيني بسبب هذه الصراعات بين العرب والصهاينة "مما أدى إلى اقتصار انتشار الشيوعية على اليهود لمدة عشر سنوات تقريباً. ولم يبدأ عرب فلسطين يستجيبون للنشاط الشيوعي إلا في أوائل الثلاثينات، عندما أخذ النشاط ينتشر في البلاد العربية الأخرى وخاصة سورية. وهكذا تعرب الحزب الشيوعي الفلسطيني تدريجياً بعد أن فصل ما بين الشيوعية والصهيونية، بانتقال القيادة إلى أيدي عربية. (خدوري، 1985، ص125-126).

بعد النكبة الفلسطينية في عام 1948 تبعثر الشيوعيون مع تبعثر الشعب الفلسطيني وتشتته. فالذين ظلوا في فلسطين انضموا إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي، أما من ظلوا في الضفة الغربية من أعضاء عصبة التحرر الوطني فقد واصلوا حمل اسمها حتى عام 1951، حيث اتحدوا مع خلايا ماركسية أخرى كانت تعمل على انفراد في الضفة الشرقية للأردن، وحملوا جميعاً اسم "الحزب الشيوعي الأردني" أي بعد سنتين من وحدة الضفتين عام 1949* .

وعلى الرغم من أن محاولات إنشاء حزب شيوعي في فلسطين كانت تنشط بين فترة وأخرى، منذ عام 1969 وحتى أواخر السبعينات، إلا أن ذلك لم يتم إلا مع أواخر عام 1980. حين تمكن المنشقون عن الحزب الشيوعي الأردني الذين أطلقوا على أنفسهم اسم: "الحزب الشيوعي الأردني - الكادر اللينيني" في الضفة الغربية المحتلة من تشكيل الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي مارس نشاطه الفعلي في أوائل الثمانينات وما يزال قائماً. (م. ش. 2003)

عقد الحزب الشيوعي الفلسطيني (الجديد) مؤتمره الأول الذي كان بمثابة مؤتمر تأسيسي في الربع الأخير من عام 1983 "في ظروف عمل سري صعبة للغاية، زاد من تعقيدها عمل الحزب في أكثر من موقع وتشتته الجغرافي الذي يعكس تشتت الشعب الفلسطيني نفسه، وصعوبة الاتصالات وتعقدتها بين المناطق المحتلة - الضفة الغربية وقطاع غزة - ومختلف مواقع الشتات الفلسطيني.

* مقابلة شخصية مع آمال نفاع عضو المكتب السياسي واللجنة المركزية السابق في الحزب الشيوعي الأردني بتاريخ 2004/7/4 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً كما يلي: م. ش. نفاع.

وجاء انعقاد المؤتمر بعد أكثر من عام واحد بقليل على إصدار البيان الذي أعلن (ميلاد) الحزب في العاشر من شباط 1982 "تجسيدياً لإرادة الشيوعيين الفلسطينيين الذين أجمعوا على ضرورة قيام حزبهم الشيوعي المستقل الشامل بعد أن كانوا يناضلون منذ مطلع الخمسينات في صفوف بعض الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية الشقيقة. (الحزب الشيوعي الفلسطيني: البرنامج، أعمال المؤتمر الأول، 1983، ص2)* .

- الحزب الشيوعي الأردني:

أشار الباحث إلى أن الحزب الشيوعي الفلسطيني انقسم على أسس قومية ودينية عام 1943 إلى حزبين شيوعيين: أحدهما يهودي وآخر عربي. وقد حمل الحزب العربي الفلسطيني اسم "عصبة التحرر الوطني" وبعد نكبة 1948 التقت عناصر من عصبة التحرر الوطني بمجموعات من الماركسيين في شرق الأردن ممن انضموا إلى أحزاب شيوعية عربية خلال دراستهم في دمشق وبيروت والقاهرة، أو تأثروا بأراء أساتذتهم الودية تجاه الفكر الماركسي وثورة أكتوبر السوفياتية، وكانت ثمرة هذه اللقاءات التي استمرت سنتين أن اتفق الجانبان على الاندماج معا وتأسيس الحزب الشيوعي الأردني في ربيع 1951. (نقرش، 1991، ص77). وانظر: (زيادين، لا ت، ص17).

وكانت الخلايا الماركسية قد أخذت تتشكل في الأردن خلال الأربعينات من الطلبة الأردنيين الدراسين في الدول العربية المجاورة وبعض ناشطي طلبة المدارس الثانوية في إربد والسلط ومادبا والكرك والمفرق. واختارت قيادة مركزية من : نبيه ارشيدات وعيسى مدانات وفريد العكشة وإبراهيم الطوال وحنا حتر وحنا هلسة وفريد القسوس. وقد كلف الأخير ببدء المفاوضات مع عصبة التحرر الوطني التي انتهت إلى التوحيد وتشكيل الحزب الجديد. وانتخب فؤاد نصار أميناً أول للحزب وكان من أبرز نشطاء عصبة التحرر الوطني. (م. ش. نفاع، 2004).

* سيشار إلى هذه الوثيقة بعد الآن كما يلي: (ش. ف1/1983).

ولغايات البحث يمكن أن نتحدث عن نشأة الحزب وسيرته وتطوره من خلال المراحل التالية:

المرحلة الأولى: (1951-1967)

وضع الحزب أول برنامج سياسي له بعد تأسيسه وصدر في أيار 1951 وحدد فيه الأهداف التي يسعى

إلى تحقيقها وهي:

1. الدفاع عن السلم العالمي ومقاومة الاستعمار والحروب.
 2. النضال من أجل إجلاء الجيوش الأجنبية عن الأردن وإلغاء المعاهدة البريطانية وتعزيز الاستقلال الوطني.
 3. النضال لتنفيذ قرار تقسيم فلسطين 1947، وعودة المشردين.
 4. النضال لتوزيع أراضي الإقطاعيين وكبار الملاكين على الفلاحين.
 5. النضال لتأمين حقوق العمال و حمايتهم من البطالة.
 6. إباحة الحريات العامة وخاصة حرية الرأي والتعبير والعمل السياسي.
 7. إنعاش الاقتصاد انطلاقاً من كون المرحلة مرحلة تحرر وطني ديمقراطي.
 8. تحديد ساعات العمل بثمانى ساعات والمطالبة بحقوق متساوية للمرأة.
- وفي الانتخابات التي جرت في العام نفسه شارك الحزب بخمسة مرشحين باسم لائحة "الكتلة الشعبية" وهم: أحمد عريقات، د. عبد الرحيم بدر، رشدي شاهين، د. عبد المجيد أبو حجلة، المحامي محمود المطلق. (موسوعة السياسة، ج2، 1981، ص322).

وجرت انتخابات نيابية في تشرين الأول عام 1956، نجح فيها عدد من مرشحي الحزب الشيوعي والجهة الوطنية المساندة له منهم عن الحزب: يعقوب زيادين (القدس) فائق وراذ (رام الله)، وعن الجبهة الوطنية عبد القادر الصالح (نابلس)، وقد شارك الحزب الشيوعي في حكومة سليمان النابلسي التي شكلت اثر هذه الانتخابات واتخذت قرار إلغاء المعاهدة الأردنية - البريطانية وأدت خلافاتها مع القصر الملكي إلى إقالتها وحل الأحزاب السياسية في أيار 1957. (Cohen, 1982, Pp. 65-66)

اشتدت حملة الاعتقالات والمطاردات بين عامي 1957-1958، ورفعت الحكومة الحصانة عن النواب حيث اعتقل يعقوب زيادين وفائق وراذ وحكم عليهما بالسجن لمدة طويلة تراوحت بين 15-18 سنة. وأُجبرت كوادر الحزب على العودة إلى العمل السري والبحث عن ملاجئ في القرى البعيدة، أو استئجار غرف تحت هويات منتحلة، أو استخدام هويات وجوازات سفر مزورة لمغادرة البلاد إلى سورية أو قطاع غزة. وفي شباط 1959 عقدت محكمة أمن دولة (عسكرية) لمحاكمة الشيوعيين الذين واجهوا تهمة إنشاء خلايا إرهابية وإقامة مخابئ للأسلحة. كذلك عقدت محاكم أخرى في القدس، وبيت لحم وأريحا، وصدرت أحكامها بالسجن لمدة طويلة على المتهمين (عدة منها غيابية). وكان في هذا ضربة شديدة للحزب الذي وجد نفسه مع أواخر الخمسينات في وضع أشد اضطراباً مما كان عليه قبل ذلك بسنوات. (Cohen, 1982, Pp. 34-36).

المرحلة الثانية (1967-1990)

تردد الحزب الشيوعي في هذه المرحلة في المشاركة في العمل الفدائي الذي جاء رداً شعبياً على هزيمة حزيران وفشل الأنظمة السياسية العربية في التصدي للعدوان. وفي الوقت الذي انضمت فيه معظم الأحزاب القومية والدينية العربية إلى حركة المقاومة الفلسطينية، وشكلت تنظيماتها المسلحة، كان الحزب الشيوعي متحفظاً على ذلك بدعوى أن الظروف لم تنضج بعد لخوض الكفاح المسلح الذي كان يرى أنه يعرقل التوصل إلى تسوية سلمية. وكان يرفع شعار "حكومة الوحدة الوطنية". وظل على موقفه هذا حتى آذار - مارس 1969 حين أصدر بياناً أكد فيه دعمه للعمل الفدائي وطالب بحماية "المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها". وبعد ذلك بعام واحد (1970) شكلت الأحزاب الشيوعية في الأردن وسورية ولبنان والعراق أول تنظيم فدائي مسلح باسم "قوات الأنصار" لعب الحزب الشيوعي الأردني دوراً محورياً فيه، ولكن هذا التنظيم لم يكن مؤثراً في حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة. وتلا ذلك انعقاد مؤتمر للحزب أدان الخط السابق، وانتهج خطاً سياسياً جديداً، أكد فيه اعتماد الكفاح المسلح ضمن أساليب عمل الحزب. (نقرش، 1991، ص78).

ومنذ العام 1975 حمل فرع الحزب الشيوعي الأردني في الضفة الغربية اسم: "التنظيم الشيوعي الفلسطيني" واستمرت صحيفته السرية الشهرية في الصدور تحت اسم "الوطن". كما قررت اللجنة المركزية للحزب في دورتها المنعقدة في أيار 1980 تشكيل تنظيم شيوعي فلسطيني في لبنان. بينما أعاد تنظيماً الضفة الغربية وقطاع غزة اتصالهما وشكلاً تنظيمياً واحداً منذ عام 1980، قبل أن ينشأ الحزب الشيوعي الفلسطيني عام 1982، ثم حزب الشعب الفلسطيني بعد ذلك. (الموسوعة الفلسطينية، ج2، 1984، ص 225-226).

في أواخر كانون الأول 1986 عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني اجتماعها الأول الموحد وأعلنت فيه قرارها بوحدة الحزب من جديد. وقد وصف تقرير المكتب السياسي المقدم إلى الاجتماع هذا القرار بأنه "تاريخي وهام" مؤكداً أن هذه الوحدة ذات نتائج عملية إيجابية، لأن وحدة الحزب هي الطريق الوحيد والأمثل نحو حزب شيوعي طليعي قوي. (نشرة خاصة للحزب الشيوعي الأردني، كانون الثاني 1987، ص1).

المرحلة الثالثة: 1990 - 2000

لقد أدت الأحداث التي شهدتها الأردن في نيسان 1989 والتي تطلق عليها قوى المعارضة اسم "هبة نيسان" والتطورات العالمية المتسارعة إلى هبوب رياح الديمقراطية من جديد وبدء حالة من الانفراج الديمقراطي، وألغيت الأحكام العرفية والعديد من القوانين المحددة للحريات، ومن بينها قانون مقاومة الشيوعية، وتعليمات حظر النشاط الحزبي، واستعاد العديد من الأحزاب الممنوعة والسرية حرية العمل العلني. وحصل الحزب الشيوعي على علانيته وشرعيته القانونية عام 1993، وعقد مؤتمره العلني الأول عام 1993 والثاني عام 1997.

أ. المؤتمر العلني الأول:

تضمنت (نشرة أعمال المؤتمر الوطني العلني، 1993، ص 140 وما بعدها)* القرارات التالية التي اتخذها

المؤتمر في ختام أعماله:

1. حق الأقلية في التعبير عن رأيها داخل صفوف الحزب.
2. دعوة جميع الشيوعيين الأردنيين الذين ما زالوا خارج صفوف الحزب إلى العودة إلى حزبهم.
3. أكد المؤتمر موقف الحزب "التاريخي" بضرورة منح المرأة كامل حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
4. توجه المؤتمر بنداء إلى القوى الوطنية والديموقراطية كافة من أجل الحفاظ على الوحدة الوطنية والعمل على تعزيز استقلال البلاد والدفاع عن مصالح الجماهير وتحقيق التنمية المستدامة.
5. أعلن المؤتمر عن تضامنه غير المحدود مع مطالب جماهير العمال الأردنيين، وتعميق النضال من أجل حماية الأجور من التآكل في ظروف التضخم وارتفاع الأسعار، وتعميق الحريات النقابية وصيانة أموال الضمان الاجتماعي، وأكد تأييده لمطالب العمال العادلة في إيجاد قانون عمل عصري.
6. وجه المؤتمر نداء إلى المثقفين الأردنيين يهيب بهم لتوظيف طاقاتهم الإبداعية لمواجهة ثقافة التخدير والتزييف الإمبريالي وأثرها المدمر على أخلاق شعبنا وروحه المعنوية.
7. أكد المؤتمر شجب التعصب الطائفي والعنصرية الذي يتنامى في العالم العربي، مشيراً إلى أن اجتثاث هذه الظاهرة جزء لا يتجزأ من المهام الديمقراطية لحركة التحرر الوطني والوحدة القومية.

ب. المؤتمر العلني الثاني:

عقد المؤتمر في أواخر عام 1997 واستمر ثلاثة أيام. اتخذ جملة من القرارات أهمها اعتماد "برنامج الحزب الشيوعي الأردني" للمرحلة المقبلة. وتقول ديباجة وثيقة أعمال المؤتمر أن انعقاده جاء بعد الزلازل الكبيرين اللذين حصلا في بداية التسعينات وهما: انهيار المنظومة الاشتراكية وحرب الخليج الثانية، وفي ظروف بالغة التعقيد سادت الأردن بعد توقيع اتفاقية وادي عربة عام 1994.

*سيشار إلى هذا المصدر لاحقاً هكذا (ح. ش. أ.، 1993/2).

غير أن الانقسامات والخلافات عصفت بالمؤتمر على الرغم من محاولة القيادة إطفاء بعضها و"لملمة" الموقف والانتهاء إلى مؤتمر "ناجح" وعلى الرغم من اعتقاد القيادة بأنها "نجحت في تجاوز المحنة" إلا أن ذلك لم يمنع خروج الانقسامات إلى العلن.

- الحزب الشيوعي اللبناني
يصعب الفصل في مراحل التكوين الأولى بين الحزب الشيوعي اللبناني ونظيره الشيوعي السوري. فبداية تكوينهما واحدة، بل إنهما اتخذتا اسما واحداً: الحزب الشيوعي السوري - اللبناني. على أنهما لم يلبثا أن انفصلا في وقت لاحق بعد حصول البلدين على الاستقلال، وبروز كيانين سياسيين مستقلين هما: الجمهورية السورية الجمهورية اللبنانية في الأربعينات.

المرحلة الأولى: 1924 - 1931

تجمع المصادر على أن فؤاد الشمالي ويوسف يزبك هما مؤسسا الحزب الشيوعي في لبنان، ثم تختلف حول أيهما كان الأسبق في ذلك. و"فؤاد الشمالي هو عامل ماروني في شركة دخان في بكفيا أصله من قرية سهيلة في كسروان. أما يوسف يزبك فهو مثقف ماروني من بيروت". (بركات، 2000، ص611).

وعندما اندلعت الثورة العربية السورية ضد الانتداب الفرنسي عام 1925 أيد الحزب الشيوعي الناشئ تلك الثورة بقوة. ويقول أرتين مادويان: "لم يكن حزبنا في تلك الفترة يملك الإمكانيات للمشاركة في الثورة، لكنه اتخذ موقفا مؤيدا لها، من خلال تحركه السياسي وعمله للتعبئة وللتحريض في داخل البلاد وفي الساحة الدولية. وكان هذا عملا أعطى نتائج مثمرة. ويشير إلى أن علي ناصر الدين أحد أبرز قادة "عصبة العمل القومي" كان في تلك الأيام صلة الوصل بين حزبنا والثورة العربية الوطنية المندلعة في سورية". (مادويان، 1986، ص74 و75).

عقد أول اجتماع موسع للحزب الشيوعي السوري - اللبناني في أوائل شهر كانون الأول من عام 1925 في بيروت، وحضره فؤاد الشمالي، أرتين مادويان، ايلي تير، فريد طعمه، نسيم الشمالي، مارديروس أفاريان، وجميعهم من عمال التبغ والمطابع في بكفيا وحلب وبيروت. وانتهى الاجتماع الموسع باتخاذ عدة قرارات منها:

- الموافقة على سياسة اللجنة المركزية وموقفها المؤيد للثورة الوطنية العربية السورية والممتدة إلى أجزاء من لبنان.

- استمرار النضال ضد الاستعمار للوصول إلى الاستقلال الوطني وإقامة الدولة الديمقراطية.
- النضال من أجل الحريات الديمقراطية وتحقيق مطالب العمال والمطالبة بوضع الأرض بتصرف الفلاحين العاملين فيها.
- جدد الاجتماع انتخاب أعضاء اللجنة المركزية للحزب.

عاودت اللجنة المركزية نشاطها وعملت على إعادة بناء الحزب، وفي أواخر عام 1928 وخلال عام 1929 انضم إلى الحزب أعضاء جدد من العرب من سورية ولبنان، وكان بين هؤلاء خالد بكداش الذي انتسب إلى منظمة الحزب في دمشق. كما توسع نشاط الحزب وانشئت منظمات جديدة له في طرابلس وزحلة وبعبك وبكفيا وبيروت. وبذلك جابه الحزب مرحلة جديدة تماما في حياته النضالية، وفي حياة البلاد، ولكنه لجأ إلى النشاط السري بشكل عام. (دكروب، 1984، ص 320-328).

المرحلة الثانية: 1932-1950

إن انضمام خالد بكداش إلى الحزب كانت له دلالة خاصة. فقد كان بكداش شابا متحمسا شارك خلال دراسته الجامعية في نشاط الكتلة الوطنية السورية ضد الانتداب الفرنسي على سورية، لكن أفكاره اليسارية جعلت وجوده في الأوساط الوطنية (الليبرالية) مستحيلا، فقرر الانضمام إلى الحزب الشيوعي عقب تخرجه من الجامعة. ودفعت حياسته الشيوعية إلى زيارة موسكو حيث قضى سنتين تدرّب خلالهما على أساليب التنظيم الشيوعي وأصول القيادة. وما أن عاد إلى دمشق عام 1932 حتى تمكن من إبعاد فؤاد الشمالي عن قيادة الحزب، وتولاها هو. ثم انضم إلى الحزب من لبنان نقولا الشاوي* وفرج الله الحلو الذي أصبح نائب رئيس الحزب في بيروت.

* نقولا الشاوي (1912 - 1983) من طرابلس، انضم إلى الحزب عام 1933، وانتخب عضوا في اللجنة المركزية، ثم سكرتيرا للحزب عام 1937، اعتقل عام 1939 وسجن خمس سنوات، خاض الانتخابات غير مرة، ظل أميناً عاماً للحزب حتى وفاته انظر، (موسوعة السياسة، ج6، ص608).

كما انضم إليه قدري قلعجي عام 1935، وهو كاتب قدير من حلب كان عضواً في الكتلة الوطنية. وقد تولى قيادة فرع الحزب في طرابلس حيث التحق به توفيق رضا أيضاً من طرابلس .. وجمع أرتين مادويان الأرمن وراء الحزب، وما لبث هؤلاء أن شكلوا لجنة الحزب المركزية وبذلك انتقل مركز الثقل في الحزب من بيروت إلى دمشق. (خدوري، 1985، ص128).

وبذلك استقرت القيادة التاريخية للحزب الشيوعي السوري - اللبناني الموحد منذ عام 1935 على خمسة أعضاء بقيادة خالد بكداش وهم: أرتين مادويان، رفيق رضا، نقولا الشاوي، فرج الله الحلو. (موسوعة السياسة، 1981، ص456).

وفي عام 1943، إثر استقلال لبنان، عقد الحزب الشيوعي السوري - اللبناني مؤتمره الأول في بيروت. وقرر المؤتمر تشكيل حزب شيوعي في سورية بقيادة خالد بكداش، وحزب شيوعي في لبنان بقيادة فرج الله الحلو. (فرجاني، 1990، ص152 و206).

ولم يستمر الانقسام طويلاً، فعاد الحزبان موحدين بقيادة خالد بكداش في عام 1947. وإثر صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين، أيد الحزب هذا القرار، فتعرض إلى حملة شعبية ساهمت في إضعافه وتراجع نفوذه (اتخذ الحزب قرار تأييد التقسيم متأخراً، في عام 1949) وفي هذه السنة (1947)، أيضاً، أقصي فرج الله الحلو عن رئاسة الحزب ليحل محله نقولا الشاوي. (شورو، 1981، ص101).

المرحلة الثالثة: 1951 - 1968

تمكن الحزب من استعادة دوره واعتباره، في هذه المرحلة من خلال نشاطه في مواجهة المشاريع والأحلاف الاستعمارية في مطلع الخمسينات، ومساهمته في إقامة تحالفات وطنية واسعة كانت الأساس في المعارضة الشعبية الواسعة والانتفاضة المسلحة ضد حكم كميل شمعون عام 1958. وفي مراجعة نقدية لمواقف الحزب يقول أمينه العام: "إن العامل السياسي (النضال ضد مشاريع الاستعمار) الذي حجب عنا رؤية الجانب القومي أو التقليل من شأنه، هو نفسه، في ظروف 1951 - 1953، جعلنا نرى بعض جوانب القضية القومية" (الشاوي، 304).

اتخذ الحزب مواقف مترددة من الوحدة السورية - المصرية، عام 1958 ثم ناصبها العدا. وساهمت تلك الخطوة إلى جانب التطورات التي حدثت في العراق بعد حركة 14 تموز 1958، في إعادة الانقسام والتوتر بين التيار الشيوعي والتيار القومي العربي، واستمر ذلك بضع سنوات أخرى على خلفية تأييد الانفصال بين سورية ومصر عام 1961. وما لبث الحزب أن استعاد علاقاته بالأحزاب والقوى الوطنية والقومية في لبنان عام 1964، حين بادر الاتحاد السوفياتي إلى إصلاح العلاقة مع الرئيس عبد الناصر، فإذا بالحزب الشيوعي يعدل من سياسته ويؤيد المواقف التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة (مصر، بعد الانفصال). (موسوعة السياسة، 1981، ج2، ص456).

كانت "أزمة الحزب" تتفاقم منذ بداية الستينات، إلى درجة أن المكتب السياسي عقد اجتماعا خاصا لبحثها في نيسان 1967، وقد مرت بعدة مراحل كما أشرنا، وكانت أسبابها فكرية وتنظيمية وسياسية.

دارت داخل الحزب مداولات ومناقشات وأزمات عدة تناولت موقف الشيوعيين اللبنانيين من القضايا القومية الأساسية: الوحدة، والمقاومة الفلسطينية، ومن القضايا المحلية (العلاقة مع الحكم في لبنان). وأدى كل ذلك إلى انعقاد المؤتمر العام الثاني في تشرين الأول 1968. وجرت خلاله مراجعة نقدية لمواقف الحزب السابقة من القضايا التي كانت محور النقاش. وانتقد المؤتمر تجميد المؤتمرات الحزبية منذ 25 سنة، حيث عقد المؤتمر الأول عام 1944، وابتعاد الحزب عن أصول المركزية الديمقراطية وتقاليدها، ونحى الحزب مجموعة من القياديين ليحملهم مسؤولية المرحلة السابقة. (نضال الحزب، 1971، ج1، ص35).

سجل الحزب بعد استقلاله تنظيميا عن نظيره الحزب الشيوعي السوري وقيادته، وبعد عزله لكتلة قريطم - صوايا في مؤتمره الثاني، نقلة نوعية في طريقة فهمه للقضايا العربية، فلاحظ الحزب أن "الأفكار القومية في الوطن العربي قد نشأت في ظروف خضوع الشعوب العربية للنير الأجنبي واضطهاده، وبذلك اكتسبت منذ نشأتها طابعا تقدما، وأصبحت الراية التي يناضل الوطنيون العرب، في ظلها، من أجل حرية أوطانهم واستقلالها"، وشدد على أهمية الوحدة العربية وعلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على "أنقاض الكيان الصهيوني" واتخذ المؤتمر موقفا نقديا من تاريخ الحزب ومواقفه السابقة تجاه: تقسيم فلسطين وحرب 1948، ووحدة 1958 والانفصال، وسياسة المحاور التي اتخذها إلى جانب عبد الكريم قاسم. (نضال الحزب، ج1، ص54).

المرحلة الرابعة: 1970 - 1985

وفي عام 1970 حصل الحزب على ترخيص رسمي بمزاولة العمل، وقد كرس الحزب كل هذه التحولات التي جرت سابقا، في مؤتمره العام الثالث الذي عقد في 7-10 كانون ثاني عام 1972. كما لعب دورا مهما في الحرب الأهلية اللبنانية. وتمكن خلالها من توسيع قاعدته وكسب عناصر جديدة إلى صفوفه. لقد رجّح الحزب في مؤتمره الثالث "الخط السلمي" في نضاله فقد جاء في مقررات المؤتمر ما يلي:

" - يعلق الشيوعيون أهمية كبيرة على الانتخابات النيابية والبلدية، ويناضلون مع الجماهير الشعبية من أجل استخدام المجلس النيابي، قدر الإمكان. وسيلة لطرح المطالب الشعبية والعمل على تحقيقها ..."

"- إن الحزب الشيوعي اللبناني مع إشارته الدائمة إلى النواقص والأخطاء التي ترتكبها فصائل حركة المقاومة الفلسطينية، كان ينطلق في نظره وممارساته العملية من أنها يجب ألا تحجب الجوهر التقدمي والمعادي للإمبريالية الذي تمثله المقاومة الفلسطينية .. وعلى هذا الأساس عمل الحزب مع الأحزاب الشيوعية الشقيقة في الأردن وسورية والعراق على تشديد التضامن مع حركة المقاومة، وزيادة المساندة لها والمساهمة في صفوفها، بما في ذلك إنشاء قوات "الأنصار" ... " (من مقررات المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني)

ثم انعقد المؤتمر العام الرابع في 9 تموز 1979 في ظروف سياسية وأمنية معقدة أوجبت اتخاذ إجراءات استثنائية. وقوم المرحلة السابقة وأكد على تماسكه ووحدته الأيديولوجية منطلقا من البرنامج السياسي المقر في المؤتمر الثاني للحزب، ومن الموضوعات السياسية المقررة في المؤتمر الثالث، متسلحا بهذه القرارات والتوجهات، ومرتكزا إلى نظامه الداخلي ومستفيدا من الإجراءات الاستثنائية المتخذة بعين الاعتبار في النظام الداخلي والتي بلورها المؤتمر الثالث. (مادويان، 1986، ص 392).

أما المؤتمر العام الخامس للحزب فقد عقد في حزيران 1987. وفيه ربط الحزب بوضوح، بين التحرير والعروبة والإصلاح الديمقراطي، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وأكد الشعارات التي تركزت في برنامج جبهة الاتحاد الوطني، وشملت الأهداف التالية: التحرير، ووحدة لبنان، وعروبة لبنان، والعلاقة المصرية المميزة مع سورية، والعلاقة الكفاحية مع الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية. (وثائق المؤتمر العام الخامس، 1987، ص 88-92).

ودعا الحزب في تفاصيل برنامجه إلى الحكم الوطني الديمقراطي المرتكز إلى مبادئ التحرير ووحدة لبنان، وعروبته، والإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، إلى تحقيق المطالب الاجتماعية للطبقة العاملة وسائر الكادحين والفئات الشعبية، وحل مشكلات الإسكان والتعليم، وإجراء إصلاح جذري للنظام التربوي يحقق ديمقراطية التعليم. (ص 118-119).

المرحلة الخامسة: (1985 - 2000)

سبق الحزب الشيوعي اللبناني غيره من الأحزاب الشيوعية - منذ عام 1968 - في نقد مواقفه السابقة من القضايا القومية العربية وتجديدها وتطويرها، فكان "أكثر استجابة للتغيير، لولا ظروف الحرب الأهلية في لبنان" (الكيلاني، 1998، ص136). وعلى الرغم من تركة هذه الحرب وأثقالها فإن الحزب طوّر ما بدأه من تجديد لفهم المسألة القومية العربية والديموقراطية والوحدة والاشتراكية. وأدرك الحزب عمق تشابك هذه المسائل بأبعادها المصرية. ثم على ضوء تعقيد المسألة الطائفية في المشرق العربي وبرز الحركات الأصولية الدينية حاول الحزب إعادة قراءة المسألة الدينية، والمادية والمثالية، والتراث والتاريخ والحضارة، وعلاقة السياسي بالديني (مرودة، 1990، ص23-26). وقد عكس الحزب هذه المواقف النقدية في مؤتمراته التالية: السادس عام 1992 والسابع الاستثنائي عام 1993.

وعصفت بالحزب الشيوعي، كما بسواه من الأحزاب الشيوعية واليسارية في الوطن العربي وفي العالم، التطورات المتسارعة التي شهدتها الاتحاد السوفياتي بدءا بالبيروسترويكا والغلانوسوت "إعادة البناء والعلنية والشفافية" وانتهاء بالانهيار الكبير للدولة السوفياتية وما لحقه من انهيارات امتدت إلى مجموع الكتلة الاشتراكية (الشرقية) أو المنظومة التابعة له. وانتهت تلك التطورات إلى أزمة مستحكمة عكست نفسها داخل الحزب وتنظيماته ومؤتمراته. ويعيد (هوارى، 2004، www.rezgar.com) هذه الأزمة إلى أسباب موضوعية كثيرة، يركز على اثنين منها:

الأول: الانهيار الذي أصاب لبنان خلال حربه الأهلية الأخيرة وما نتج عن هذا الانهيار من تحولات أدت إلى اتفاق الطائف الذي استحدث نظاما سياسيا يكرّس الأزمة اللبنانية من غير أن يقدم حلا تاريخيا يسمح بتطور المجتمع والنظام اللبناني ديمقراطيا.

الثاني: الانهيار البنيوي للمعسكر الاشتراكي مما أدى إلى أزمة في الهوية الفكرية ثم بالسياسة التي تنتج عنها، وفي البرنامج الذي سعى اليسار إلى انجازه.

ويقول هوراي "إن هذه الأسباب تؤشر إلى عبث الوصول إلى حلول لأزمة اليسار اللبناني، خارج نقاش الهوية الفكرية والسياسة والبرنامجية".

لهذا كله طرح الحزب الشيوعي اللبناني برنامجا جديدا في العقد الأخير من القرن العشرين بهدف مواجهة المستجدات والمتغيرات وتحديات المستقبل التي يحملها القرن الحادي والعشرون. وجاء ذلك خلال المؤتمرات الثلاث الأخيرة التي اختتمت بها مسيرته الطويلة الممتدة أكثر من خمسة وسبعين عاما. وينقسم البرنامج المقترح إلى التالي:

أولاً: مهمات وطنية عامة: وتتلخص في ما يلي:

(أ) مقاومة الاحتلال وتحرير الأرض.

(ب) العمل على تعزيز الانتماء العربي للبنان، وتأكيد هوية شعبه العربية باعتبارها خيارا طوعيا تمليه مصالح وتفرضه تحديات مصيرية أخطرها المشروع الصهيوني،

(ج) السعي إلى تنظيم العلاقة المميزة مع الشقيقة سورية وتكاملها في إطار السيادة اللبنانية الكاملة مع ضرورة تحاشي أمرين:

أولهما: رفض استمرار الحذر لدى البعض من سورية الذي يتناقض مع موجبات الانتماء القومي والمتعارض مع عوامل التاريخ والجغرافيا، والمتجاهل لخصوصية العلاقة بين الشعبين والبلدين، وتاريخيتها.

وثانيهما: رفض الموافقة على تغييب التعبير عن الشخصية اللبنانية والمصلحة اللبنانية الوطنية بذريعة إن ذلك يتعارض مع دور سورية في لبنان أو المصلحة القومية.

ثانياً: في مجال الإصلاح السياسي: وفي هذا الإطار يعمل الحزب على ما يلي:

(أ) إقامة نظام ديمقراطي مدني يعتمد على مبدأ التمثيل الحقيقي للمواطنين والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص ويزيل الأساس الطائفي للنظام السياسي القائم. ويفصل ما بين الدولة وما بين الدين.

(ب) اعتماد الديمقراطية أساساً لهذا النظام السياسي الذي ينبغي أن يتجسد في مؤسسات عصرية تتكسر فيها صحة التمثيل، وحدثة التشريعات، وفصل السلطات، واستقلالية القضاء، وصيانة الحريات العامة والخاصة، واحترام حقوق الإنسان. وفي هذا المجال يكتسب وضع نظام جديد للانتخابات أهمية قصوى، لتأمين تمثيل شعبي حقيقي.

ثالثاً: في المجال الاقتصادي - الاجتماعي:

يرى الحزب الشيوعي اللبناني ما يلي:

(أ) إعادة تحديد وظيفة الدولة في المجال الاقتصادي والاجتماعي انطلاقاً من ظروف لبنان الملموسة وليس من الوصفات التي تعمل المؤسسات الدولية على تسويقها.

(ب) فتح ملف الإصلاح الإداري الذي هو في جانب أساسي منه إصلاح سياسي، وخصوصاً وقف "الإفساد السياسي للإدارة وتطبيقها وعدم التهافت وراء أشكال الخصخصة المختلفة التي يجري الترويج لها، لأن الخصخصة في ظروف لبنان تحمل أخطاراً كبيرة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي.

(ج) تنويع البنية الاقتصادية وإعادة الاعتبار لقطاعي الصناعة والزراعة وتعزيز علاقات التداخل بينهما، وتطوير فروع الخدمات بشكل أكثر توازناً.

(د) التعاطي مع المسألة الاجتماعية كقضية قائمة بذاتها، سواء ما يتعلق منها بالأجور وعلاقات العمل أو بتحديث التشريعات الاجتماعية وأنظمة الضمان الاجتماعي، أو قضايا التعليم الرسمي والإسكان والنقل العام، وتحقيق توازن أفضل بين المدن والأرياف.

(هـ) إن لبنان صاحب مصلحة كبرى في قيام سوق عربية نشيطة توفر التكامل والفعاليات للنشاطات الاقتصادية العربية، مع تنامي التحديات المقبلة، وازدياد التكتلات القارية.

رابعاً: في مجال التربية والتعليم والثقافة العامة

يبدو البعد الثقافي شديد الأهمية في بلورة البديل المنشود السياسي - الاقتصادي - الاجتماعي -

الحضاري. وهو عنصر مرتبط بالعمل الدؤوب لرفع مستوى وعي اللبنانيين المدني على حساب الانشداد إلى الغرائز الطائفية والمذهبية والعشائرية وكل الأشكال المتدنية من الوعي، ويستدعي ذلك عملاً جريئاً ومثابراً يبدأ في المدرسة والجامعة، وتتابعه وتطوره النخب الفكرية والسياسية ومؤسسات المجتمع الأهلي.

ويحتل التعليم الرسمي دورا يكاد يكون حاسما في كل ذلك: فيجب أن يكون التعليم الثانوي الرسمي والجامعة اللبنانية بمستوى لائق من حيث النوعية، وقادر من حيث الاتساع على استقبال كل أبناء اللبنانيين الراغبين في الالتحاق بالمؤسسات التعليمية الرسمية، وفي كل المراحل من الروضة وحتى الجامعة.

خامسا: قوى التغيير وآلياته:

يعترف الحزب أن برنامج التغيير الديمقراطي الذي يطرحه يواجه صعوبات كبيرة وعميقة. ولكنه يلاحظ ازدياد وزن القوى الطامحة إلى التغيير والعاملة على تحقيقه، ولهذا سيعمل على تطوير التحركات الشعبية المعارضة على السياسات المعتمدة والأوضاع السائدة، وتحويلها إلى حركة ديمقراطية أكثر انتظاما وتنسيقا وتعاونًا. ويدعو إلى دعم عملية التغيير وتسريعها عبر ما يلي:

- تعبئة القوى الشعبية وتشجيع الانتظام في الأطر النقابية والمهنية والهيئات المحلية، والأحزاب السياسية الديمقراطية.
- المشاركة النشطة في الانتخابات النيابية والمحلية في كافة المؤسسات التمثيلية.
- بناء تيار ديمقراطي شعبي ضاغط من أجل تحقيق الإصلاحات المنشودة على مختلف الصعد. وهذا لا ينشأ من فراغ، وإنما يمر عبر عملية تطوير سياسي - اجتماعي - فكري متنوع ومعقد. ولذلك فهو يستدعي بناء تحالف وطني ديمقراطي شعبي واسع. (وثائق الحزب، ص 12، 14، 18، 20).

- الحزب الشيوعي السوري

أعلن الحزب الشيوعي السوري عن نفسه للمرة الأولى في بيان موجه إلى العمال والفلاحين وأرباب الحرف والمفكرين السوريين في 1930/7/7 وكان البيان يحمل شعار "يا عمال العالم اتحدوا!" وذيل بتوقيع: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري - فرع الانتزاسيونال الشيوعي". (الطريق، 2 و3 / 1984، ص 278)*

* نقلا عن "الأهرام" القاهرية التي نشرت البيان في 1930/7/12.

ومنذ بداية الثلاثينات حتى أواسط الأربعينات أخذ الحزب الشيوعي السوري ينهض بدور مهم في نشر الأفكار الشيوعية وتعزيز الحركة الشيوعية في سورية والبلاد العربية، ومن أمثلة ذلك ما يشير إليه (خدوري، 1986، ص128).

عقد الحزب، مؤتمره الوطني الأول في أواخر عام 1943 وبداية عام 1944، وهو أول مؤتمر علني منذ إنشائه، وقد حضره "190 مندوبا انتخبوا 50 منظمة فرعية في الحزب، وهم يمثلون سبعة آلاف شيوعي منظم"* وافتتح المؤتمر نقولا الشاوي، في حين عرض بكداش تقريرا عن سياسة الحزب وأهدافه وميثاقه، وقدم فرج الله الحلو تقريرا آخر عن تنظيم الحزب الداخلي. وأقر المؤتمر الميثاق الوطني للحزب ونظامه الداخلي الجديد، وانتخب لجنة مركزية وقرارات أخرى.

كان من أهم قرارات المؤتمر فصل الحزب إلى حزبين لكل منهما أمينه العام، على أن يظلا تحت إدارة لجنة مركزية واحدة برئاسة خالد بكداش. وقد ضمت اللجنة: نقولا الشاوي، فرج الله الحلو، مصطفى العريس، يوسف خطار الحلو، ورشاد عيسى وعبد القادر إسماعيل وسواهم. وتميز الميثاق الوطني "بخطه الإصلاحية البورجوازي، متجاهلا قضية بناء الاشتراكية بوصفه موجها إلى جميع المواطنين: العمال والفلاحين والطلبة والتجار والصناعيين الوطنيين.. أي ميثاق الأمة كلها". وفي تموز 1944 اجتمعت اللجنة المركزية للحزب وقررت تحقيق استقلالية كل حزب تنظيميا وماليا على أن يستمر تعاونهما في الشأن السياسي. (جزماتي، 1990، ص150).

ويقتضي الإنصاف الإشارة إلى أن مواقف الحزب ونشاطاته قد اختلفت مع مطالع الخمسينات، بوفاة ستالين عام 1953، وسلوك القيادة السوفياتية الجديدة خطأ مؤيدا لنضال حركة التحرر العربي ومعاديا للصهيونية. ثم بسقوط أديب الشيشكلي في شباط 1954، حيث استعاد الحزب نشاطه وخاض الانتخابات النيابية على أساس برنامج وطني ديمقراطي معتدل .. دعا إلى إنهاء القطيعة بين سورية ولبنان، والسعي إلى "حل قضية فلسطين بمعزل عن المستعمرين" وفاز خالد بكداش بعضوية مجلس النواب عن دمشق،

* يذكر نقولا الشاوي أن عدد الشيوعيين في لبنان أثناء انعقاد المؤتمر أواخر عام 1943 وأوائل عام 1944 بلغ ثلاثة آلاف

عضو!!

فكان الشيوعي الوحيد في برلمان 1954. وفي منتصف الخمسينات كادت سورية "تسقط في أيدي الشيوعيين مما دفع زعماء الأحزاب السياسية الأخرى إلى حث الرئيس عبد الناصر على توحيد سورية ومصر لأسباب قومية في الظاهر، بينما هي في الواقع لإضعاف النفوذ الشيوعي"، وبعد الوحدة (شباط 1958) غادر بكداش سورية دون أن يشارك في جلسات المجلس النيابي الذي صوّت على تأييد قرار الوحدة، ولم يعد إليها إلا في عام 1966. (خدوري، 1986، ص134).

ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى قامت حركة (ثورة) 8 آذار 1963، وأنهت حكم الانفصال، وتولى حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة في سورية. وظل الحزب الشيوعي السوري يمارس نشاطاته السرية، حتى جاءت حركة 23 شباط 1966 التي تولى فيها السلطة جناح يساري متشدد لحزب البعث (سمي جناح صلاح جديد) فسمح للحزب الشيوعي بمزاولة نشاطه "ضمنا" أي دون تصريح رسمي، وعاد بكداش إلى دمشق بعد ثماني سنوات في المنفى وانضم إلى الحكومة وزير شيوعي للمرة الأولى في تاريخ سورية هو سميح عطية وزيراً للمواصلات. غير أن هذا الحضور تكرر بشكل أوضح وأكثر فعالية بعد الحركة التصحيحية التي قادها الفريق حافظ الأسد في تشرين الثاني من عام 1970. فانضم الحزب الشيوعي السوري إلى الجبهة الوطنية التقدمية ممثلاً بعضوين في لجنتها المركزية، وبوزيرين في الحكومة. لكنه ظل محظوراً عليه ممارسة نشاطه بين الطلاب وفي صفوف الجيش السوري. (سيل، 1992، ص180).

انعقد المؤتمر الوطني الثالث للحزب في عام 1969، بعد انقطاع دام خمسة وعشرين عاماً. واشترك في أعماله ما يقرب من مائة مندوب، وأعاد انتخاب خالد بكداش أميناً عاماً، وانتخب مكتباً سياسياً جديداً، ضم إلى جانب بكداش كلا من ابراهيم بكري، دانيال نعمة، رياض الترك، يوسف فيصل، ظهير عبد الصمد، عمر قشاش.

* هذا تفسير (خدوري)، ونحن لا نتفق معه، فقد كانت الوحدة العربية هدفاً جماهيرياً أساسياً وما تزال حتى الآن والأحزاب القومية ومنها حزب البعث كانت متجهة بكل إمكانياتها لتحقيق هذا الهدف القومي، في حينه. على الرغم من أن مؤشرات السيطرة الشيوعية على الحكم كانت تتزايد!

جاء انعقاد المؤتمر في ظروف أزمة كانت تعصف به وتفاقت قبل أشهر من انعقاده. وأصدرت القيادة الجديدة بيانا (رسالة داخلية) إلى قواعد الحزب ولجانه "المنطقية" لخصت فيه أعمال المؤتمر. وانتقدت غياب انعقاد المؤتمر طيلة خمس وعشرين سنة، بوصفه "خرقا لمبادئ المركزية الديمقراطية والعمل الجماعي" .. كما أشارت إلى "تبني الحزب مواقف فكرية وسياسية غير صحيحة، كموافقه من التأميم، والوحدة، والانفصال" وشددت على انتقاد موقف الحزب من قضية الوحدة العربية قائلة "إن الحزب تأخر كثيرا في طرح شعار الوحدة العربية كشعار استراتيجي" إلى جانب "عدم اهتمامه الكافي بالقضايا الداخلية والعربية". وبعد مناقشات مستفيضة أقر المؤتمر عددا من الوثائق الهامة منها: النظام الداخلي، والبرنامج الاقتصادي والزراعي، وأجل إقرار البرنامج السياسي الذي أثار انقساما شديدا بين أعضاء المؤتمر من أنصار بكداش وخصومه. وأحيل الأمر إلى اللجنة المركزية لإعداد مشروع برنامج سياسي جديد يطرح أمام مجلس وطني للحزب يعقد خلال عام واحد. (قضايا الخلاف ...، 1974، ص 140 وما بعدها).

لم يتفق أعضاء الحزب على مشروع البرنامج الجديد، وظل الاجتماع المقترح على مستوى المجلس الوطني معلقا حتى تشرين الثاني 1970، حيث بدأت بوادر الخلاف تخرج إلى العلن، وتبادل الطرفان الاتهامات. وتركز الخلاف على قضايا الوحدة العربية وفلسطين والعمل الفدائي والحزب الشيوعي العربي الموحد. وهكذا انقسم الحزب إلى جناحين بل تنظيمين متصارعين: الأول يقوده بكداش ويوسف فيصل. والثاني يضم رياض الترك ونظير عبد الصمد ودانيال نعمه ويوسف الطويل ويوسف نمر وغيرهم، وعرف فيما بعد بـ "جناح رياض الترك". ولم تفلح تدخلات موسكو والأحزاب الشيوعية العربية لرأب الصدع والمصالحة بين الطرفين. (قضايا الخلاف ..، ص 155).

عقد الحزب الشيوعي السوري (جناح بكداش) عددا من المؤتمرات الوطنية خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ظل يؤكد فيها على وحدة الحزب ووحدة الشيوعيين السوريين الكفاحية، رغم الظروف السياسية الصعبة والتحديات التي مرت بها سورية والمنطقة والمنظومة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني العربية والعالمية. فانعقد المؤتمر الوطني السادس أوائل 1987. ثم المؤتمر الوطني السابع الموحد في تشرين الأول عام 1991. ثم المجلس الحزبي الأول في أيار عام 1995.

عقد المؤتمر الوطني السادس في ظروف دولية وعربية معقدة، وفي ظل انقسامات حادة داخل الحزب. وأعيد انتخاب خالد بكداش أميناً عاماً للحزب، كما انتخب المؤتمر لجنة مركزية، ومكتباً سياسياً جديدين. وأكد سياسة الحزب في تطوير التعاون مع حزب البعث، ومواقف الحزب المستقلة في القضايا المبدئية والسياسية الكبرى والدفاع عن مطالب العمال والفلاحين وسائر الكادحين بسواعدهم وأدمغتهم. وطالب بتوسيع الديمقراطية للجماهير الشعبية وقواها الوطنية التقدمية. (وثائق المؤتمر السادس، شباط 1987، ص4-5).

وافتح المؤتمر الوطني السابع في الفترة ما بين 23 و27 أيار 1991 تحت شعار "الدفاع عن الوطن والدفاع عن لقمة الشعب". وترأس المؤتمر خالد بكداش الأمين العام للحزب الذي ألقى كلمة مطولة في الجلسة الافتتاحية، ولاحظ بشكل خاص أنه لم يتحقق "شيء ملموس منذ المؤتمر السادس في مجال الدفاع عن لقمة الشعب؛ فالغلاء الفاحش تفاقم ولم يتحقق شيء من شعار ربط الأجور بالأسعار، ولم ترتفع الأجور بما يتناسب مع غلاء الأسعار رغم الوعود المستمرة. ولهذا طالب بـ "ضرب مواقع (البورجوازية) الطفيلية و(البورجوازية) البيروقراطية" وانتقد بكداش أداء الحزب وتقصير هيئاته في هذا الخصوص قائلاً إنه "لم يكن بالمستوى المطلوب".

وأكد المؤتمر في قراراته التمسك بمبادئ الماركسية - اللينينية في الفكر والسياسة ومبادئ المركزية الديمقراطية في التنظيم مشدداً على "الوطنية الحقة والديموقراطية الحقة". كما دعا إلى تشديد النضال من أجل تعزيز النهج الوطني الذي سارت عليه سورية منذ الجلاء، وتعزيز التعاون مع حزب البعث وسائر القوى الوطنية والتقدمية، واستقلالية الحزب الشيوعي والدفاع عن مطالب العمال والفلاحين والكادحين جميعاً. وما تجدر ملاحظته أن بكداش وصف المؤتمر في كلمته الختامية لأعماله بأنه "مؤتمر الانتصار الكامل للماركسية - اللينينية، ومعنى ذلك أن الماركسية - اللينينية لم تنته، ما شاخت، ولن تشيخ، إلا بعد أن تنتصر الاشتراكية والشيوعية في العالم بأسره". (وثائق المؤتمر السابع، 1991، ص4-7، 18-19، 225-231).

الوثيقة البرنامجية:

وتنفيذا لمقررات المؤتمر السابع عقد المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري اجتماعا هو الأول من نوعه، في دمشق بتاريخ 12-13-14/7/1995، وناقش فيه مشروع الوثيقة البرنامجية وأقره، ودعا جميع الأعضاء إلى دراسة الوثيقة ونشرها على نطاق واسع، والاستناد إليها في نشاطهم السياسي والتنظيمي، باعتبارها دليل عمل ونضال، وستوقف قليلا عند هذه الوثيقة في ما يلي (وثائق المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري، 1995، ص12-14):

أ- الحزب:

تعرف الوثيقة الحزب الشيوعي السوري بأنه "اتحاد كفاحي تطوعي لمواطنين سوريين متفقيين في الفكر. يعبر في سياسته عن مصالح الوطن والشعب، ويناضل من أجل تحرير الأرض والتقدم والديموقراطية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية ويؤكد هويته الطبقية".

- إن العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين والكادحين جميعا هم عماد الحزب الأساسي.
- يعمل الحزب من أجل وحدة الشيوعيين السوريين.
- يعلن الحزب أن خياره هو الاشتراكية وتحقيق الوحدة العربية. ويناضل في سبيلها مسترشدا بالماركسية اللينينية، ومنهجها المادي الجدلي التاريخي، مستلهما كل ما هو تقدمي في التراث العربي والعالمي.

ب- الأهداف المرحلية الداخلية:

يناضل الحزب من أجل تحقيق الأهداف المرحلية التالية:

1. في المجال السياسي:

- صيانة النهج الوطني وتعزيزه، وتوطيد صمود البلاد أمام الضغوط الإمبريالية والصهيونية لحماية الاستقلال واستعادة الجولان والأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل.
- تقوية الجبهة الداخلية، وتعزيز الوحدة الوطنية.
- دعم نضالات الشعوب في سبيل حريتها واستقلالها والتضامن معها وتقوية دور حركة عدم الانحياز.

2. في المجال الاقتصادي:

- متابعة النهج الاقتصادي القائم على التنمية الشاملة والمتوازنة بشقيها الاقتصادي والاجتماعي.
- دعم القطاع العام وتعزيز دوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.
- تشجيع القطاعات التي تساهم في عملية التنمية وخاصة في مجال الإنتاج والخدمات الضرورية.

3. في المجال الاجتماعي:

- الاهتمام بالمنح الاجتماعي للإنتاج، وحماية الجماهير الكادحة من التأثيرات السلبية التي تلحقها بها عملية التنمية وتطبيقاتها، بإعادة التوازن بين الأسعار والأجور ووضع سلم متحرك لذلك، ورفع سقف الرواتب، ومن ضمنها الرواتب التقاعدية والتعويضات، وزيادة الاهتمام بالسكن العمالي والشعبي ومسائل الصحة الشعبية ومكافحة البطالة ووضع سياسة تكفل العمل للعاطلين.
- متابعة الجهود الرامية إلى رعاية الشباب والطلاب وحمايتهم من الفساد والجريمة وتطوير ظاهرة البطالة.
- تعزيز المكاسب التي حققتها المرأة السورية في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية، ومتابعة الجهود لإنهاء كل أشكال التمييز ضد المرأة في الأسرة والمجتمع.
- تعزيز رعاية العلم والثقافة والفنون بمختلف أنواعها وتعبيراتها، واحتضان الأدباء والفنانين ومساعدتهم على الإبداع في جو من الديمقراطية والتفتح الإنساني والحضاري، وحماية الآثار والعناية بها.
- رفع سوية التعليم والمعلمين، وضمان التكافؤ في فرص التعليم، والعمل على تطوير المناهج والبحث العلمي.
- استكمال برامج محو الأمية، وتجديد الحملات الوطنية العامة للقضاء عليها سريعا.

4. في المجال الديمقراطي:

- تأكيد الاحترام الكامل للمبادئ والحقوق المنصوص عليها في الدستور.
- دعم المؤسسة القضائية.
- إصدار قانون للأحزاب ، وآخر للصحافة، استناداً إلى مبادئ الدستور، واعتماد الحوار الديمقراطي وتعميق الوحدة الوطنية.

- الحزب الشيوعي العراقي

يعتبر الشيوعيون العراقيون يوم 31 آذار 1934 تاريخاً لتأسيس حزبهم. وتشير المصادر إلى أن الحركة الشيوعية المنظمة في العراق نشأت متأخرة عن نظيراتها في دول المشرق الأخرى: سورية ولبنان وفلسطين.

مرحلة البدايات

ويرى عبد الكريم أن الحزب الشيوعي العراقي "نشأ وترعرع بتأثيرات خارجية وبضغوطات أملت لها مصلحة ذات طبيعة وأهداف عدوانية" وفي التدليل على هذا يشير إلى أن موسكو استقبلت عدداً من مواطني الأقطار العربية للدراسة في جامعة كادحي الشرق. وكان أول من غادر العراق إلى موسكو لهذه الغاية الخياط البغدادي عاصم فليح.

وبعد عودة فليح إلى بغداد اجتمع ممثلو العديد من "الحلقات الماركسية" في بغداد في 31/3/1934 وأعلنوا عن تشكيل "لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار" وانتخبوا فليح أميناً عاماً لها. وما لبثت أن غيرت اسمها عام 1935 إلى "الحزب الشيوعي العراقي". (عبد الكريم، ص 8).

وقد تعرض الحزب الوليد لحملة اعتقال واسعة شملت قياداته كلها، باستثناء يوسف سلمان يوسف الذي سافر سرا إلى باريس، ثم إلى موسكو للدراسة في جامعة كادحي الشرق حيث زامل فيها خالد بكداش، وعاد إلى بغداد عام 1938 ليعيد بناء الحزب الشيوعي العراقي وليشكل لجنة مركزية جديدة برئاسته تحت اسم "فهد". وغلب على القيادة الجديدة الشيوعيون من الأقليات اليهودية والأشورية. كما غابت عنها عناصر (البروليتاريا) لمصلحة هيمنة النخب المثقفة. (الكاظمي، 1991، ص 156-161).

وفي عام 1945 عقد الحزب مؤتمره الوطني الأول وحضره 27 مندوبا وطرح برنامجا اتسم بالإصلاحية، وناشد بريطانيا الكف عن التدخل في الشؤون العراقية، وأقر نظاما داخليا للحزب، أبرز ما فيه رفض الإيمان والمعتقدات الدينية وتكريس دور الأمين العام وإعطائه صلاحيات اتخاذ مواقف باسم اللجنة المركزية. (عبد الكريم، ج1، ص15).

تلقي الحزب ضربة مؤلمة عندما وقع (فهد) في فخ التحقيقات الجنائية، في كانون الثاني 1947، وتبعه آخرون نتيجة وجود عناصر مندسة في صفوفه. وخلال وجود فهد في السجن دخلت إلى الحزب عناصر يهودية متطرفة استخدمته لأهدافها؛ فأيدت قرار تقسيم فلسطين، واعترفت بإسرائيل ودعت إلى المصالحة معها. ومن هؤلاء مالك سيف، ويهوذا الصديق، وساسون وجالاك. كما شهد الحزب انشقاقات، وتولت قيادته شخصيات ضعيفة مثل جاسم الطعان وحמיד عثمان وزكي وطبان. وانتهت هذه المرحلة بالحكم على فهد واثنين من رفاقه هما زكي بسيم وحسين الشيببي بالإعدام فنفذ بهم في 14 و15 شباط 1949. ويذكر عجينة (1998)* أنه كان طالبا في جامعة الإسكندرية في تلك السنة، وقد تلقى رسالة من فرنسا تحمل إليه صورة تحتها سطر يقول: إعدام الرفاق فهد وحازم وصارم. وكانت تلك ألقابهم الحركية.

لم يلبث الحزب أن أعاد تشكيل خلاياه. وتولى قيادته مطلع الخمسينات بهاء الدين نوري وهو كردي، وركز نشاطه على الشمال والبصرة. ثم قبض عليه فألت القيادة إلى عبد الكريم الداوود. وكان هو الآخر كرديا، وعاونه في القيادة حامد عثمان. وهما قائدان متهوران استخدمتا أسلوب الإضرابات العامة والكفاح المسلح، وربما كانا متأثرين بماو تسي تونغ. واستمرت هيمنة هذه القيادة الكردية حتى عام 1955. (Batatu, 1978, p701)

* د. رحيم عجينة (1925-1996) قائد شيوعي عراقي، طبيب، ولد في النجف، وتوفي في لندن لاجئا سياسيا، ونشرت مذكراته عام 1998 بعنوان "الاختيار المتجدد" عن دار الكنوز الأدبية في بيروت.

وتعد فترة 1955-1957 مرحلة مهمة في حياة الحزب إذ انتقلت قيادته إلى حسين الرضي (سلام عادل) ومعه عامر عبد الله وجمال الحيدري، وتضاءل عدد الأكراد في القيادة الحزبية. ولهذا تحالف الحزب مع القوميين العرب والقوى الوطنية والديموقراطية في وقت كان الخط السياسي السوفيائي الجديد قد أخذ يتبلور ويتضح في الانفتاح على الحركات التحررية والوطنية في العالم الثالث ويدعو إلى إقامة جبهات وطنية عريضة لمقاومة الإمبريالية. وتواكب ذلك عام 1956 مع العدوان الثلاثي على مصر، ودور موسكو في كبحه وتأييد الموقف المصري والعربي. وهنا أخذت الأحزاب الشيوعية العربية، ومنها الحزب في العراق، تستعيد بعض قوتها الجماهيرية التي فقدتها بسبب تأييدها لقرار تقسيم فلسطين. (عبد الكريم، ج1، ص18-19).

عمل سلام عادل بعد أن أصبح سكرتير الحزب الشيوعي على توحيد الحزب وإعادة التنظيمات الشيوعية المنشقة عنه، وقد نجح في مسعاه هذا عام 1956. كما أن الحزب عقد المجلس الحزبي الثاني (كونفرنس) في أيلول من العام نفسه أكد فيه أن إنهاء الحكم الملكي والديكتاتورية يجب أن يتم بالطرق السلمية. وفي عام 1957 تشكلت جبهة اتحاد وطني ضمت الحزب الشيوعي وحزب البعث وحزب الاستقلال والحزب الوطني الديموقراطي، وطالبت بإسقاط حكومة نوري السعيد وانسحاب العراق من حلف بغداد والتزام سياسة الحياد الإيجابي وإطلاق الحريات العامة، ورفض مبدأ أيزنهاور (عجينة، 1998، ص39 و51).

مرحلة 1958-1963

هذه مرحلة حافلة بالأحداث والتطورات المتلاحقة والمتناقضة على الصعيدين العراقي والعربي. فقد شهدت قيام الوحدة المصرية - السورية في الجمهورية العربية المتحدة عام 1958، وإعلان الاتحاد الهاشمي بين النظامين الملكيين في العراق والأردن في العام نفسه، ثم اندلاع (ثورة) 14 تموز العراقية. كان الشيوعيون العرب يتحفظون على الوحدة المصرية - السورية، ولم يؤيدوها بقوة. ولكن وجود الحزب الشيوعي العراقي في جبهة "اتحاد وطني" مع الأحزاب القومية والوطنية قد يكون خفف من تحفظاته على الوحدة.

وانشغل الشيوعيون في دعم النظام الجديد، وكسب التأييد الشعبي له، وانصرفوا إلى تشكيل "لجان صيانة الجمهورية" و"المقاومة الشعبية" وسمح لصحيفتهم "اتحاد الشعب" بالصدور العلني. وأنشأوا التنظيم النقابي الموحد ليشكل القاعدة الجماهيرية للثورة. (عجينة، ص60).

اتسمت هذه المرحلة بالفردية والتسلط وخرق الشرعية الحزبية، وسيطرة الارتباطات الشخصية على الأنظمة الحزبية واتساع الفجوة بين منظمات القاعدة في الحزب وقيادته. واستبعدت القيادة فكرة عقد مؤتمر ثانٍ للحزب، رغم توافر الظروف وعلنية العمل لأن قيادة (سلام عادل - جمال الحيدري) أصرت على البقاء على رأس الحزب، وواجهت عداء كتلة الأربعة لها، وأقصتهم من مراكزهم في أيلول 1962، وهم: عامر عبد الله وبهاء الدين نوري، وزكي خيرى، ومحمد حسين أبو العيس، وكلهم من أعضاء المكتب السياسي. (عبد الكريم، ج2، ص31).

مرحلة 1963-1968

هناك اختلافات جوهرية في تقييم هذه المرحلة من تاريخ العراق بين التيار القومي والتيار الشيوعي. وقد وقعت فيها أحداث مهمة حيث استولى حزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة وأطاح بحكم قاسم في 8 شباط - فبراير 1963 بالتعاون مع بعض الضباط الناصريين واللواء عبد السلام عارف. وما لبث الأخير أن انقلب على الثورة وأخرج البعثيين من السلطة بعد ذلك بأشهر قليلة (في تشرين الثاني 1963).
تصدّر قيادة الحزب في هذه الفترة عامر عبد الله وبهاء الدين النوري واتخذوا خطأ مغامرا يدعو إلى إعلان المقاومة المسلحة. مما أدى إلى المزيد من التصفيات الانشقاقات في صفوفه، فانكفأ التنظيم إلى خارج بغداد، وتوجه بعضهم إلى الشمال، والتحقوا بالحركة الكردية المتمردة، في حين كانت القيادة، في معظمها، موجودة في الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية، وكانت تتصل ببقايا الحزب عن طريق إذاعة "صوت الشعب العراقي" التي كانت تبث من لايبزغ في ألمانيا الديمقراطية. ومع هذا فقد انقسم الحزب إلى مجموعتين ظلت كل منهما تحمل اسمه، وميزت الأولى نفسها باسم اللجنة المركزية، بينما حملت الأخرى اسم القيادة المركزية (جماعة عزيز الحاج)*.

* يمكن الرجوع إلى ما كتبه عزيز الحاج نفسه عن هذه الانشقاقات تحت عنوان "صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق" في مجلة آفاق عربية الصادرة في بغداد عن وزارة الإعلام، أعداد أيار وحزيران وتموز 1980.

ولكن الأمر تغير كثيرا في ظل حكم عبد السلام عارف حيث لجأ الحزب الشيوعي إلى مهادنته في البداية، وبناء على نواحي سوفياتية. وثم اختيار عزيز محمد سكرتيرا أول للحزب وأيد سياسة عبد السلام عارف "المعادية للاستعمار" مرحبا بتوجهه إلى وقف القتال في الشمال وإطلاق حرية الأحزاب، وأكد أن الحزب لا يرفع شعار إسقاط السلطة، ولكنه يناضل من أجل تطهيرها من الداخل من العناصر الرجعية. (عبد الكريم، ج4، ص14-20، 36-39).

وفي أواخر عهد عبد الرحمن عارف عاد الحزب الشيوعي إلى المعارضة وأخذ يسعى إلى قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة. وطرح عزيز الحاج وزكي خيري من جديد مواقف متطرفة تدعو إلى المقاومة المسلحة، وساهمت أجواء نكسة الخامس من حزيران 1967 في ذلك، وأعلن عزيز الحاج الانفصال عن الحزب الشيوعي داعيا إلى تسليح الجماهير، ومنددا بمواقف الاتحاد السوفياتي من القضايا العربية وخاصة قرار تقسيم فلسطين، ومطالباً بالقضاء على الكيان الصهيوني وإقامة دولة ديمقراطية فلسطينية، ودعم المقاومة الفلسطينية.. (الموسوعة السياسية، 1981، ج2، ص400).

مرحلة 1968 - 1980

وفي ظل تلك المواقف المتذبذبة والمتردة والانقسامات والتشرذم الذي كان يعيشه الحزب الشيوعي، تقدم حزب البعث للاستيلاء على السلطة من جديد مسقطا نظام عبد الرحمن عارف في 17 تموز 1968. واستهل البعث عهده بدعوة جميع القوى الوطنية والتقدمية إلى الاتحاد والمشاركة في الحكم الجديد. كما أفرج عن جميع المعتقلين السياسيين، وسمح للشيوعيين الموجودين في الخارج بالعودة. فرفض الحزب الشيوعي - القيادة المركزية التعاون مع حزب البعث، وأعلن العصيان المسلح، وسرعان ما أُلقت الأجهزة الأمنية القبض على زعيمه عزيز الحاج في شباط 1969 الذي أعلن انتهاء حركته، وانضم إلى الحكم الجديد فعينه سفيرا للعراق في باريس.

أما الحزب الرسمي "اللجنة المركزية" فقد رفض "لأنه لا يثق بالبعث، ولا يرغب في التعامل معه". على الرغم من أن الشيوعيين العراقيين، مثل سائر رفاقهم العرب، بعد 1967، كانوا قد باشروا مصالحتهم مع القومية العربية. فقد خرجوا من الكونغرس الثالث (المجلس الوطني للحزب) الذي عقدوه في كانون الأول من ذلك العام بلغة منفتحة عليها، وعلى قضية فلسطين. ومنذ خريف 1968، جعلوا يعزفون تكرارا على وتر "حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير". وقد انعقد المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي في كردستان وخرج بقرارات أيد فيها مبدأ التعاون مع البعث، مرفقا بتحفظات على الشروط السابقة، ثم التقى قائد الحزب عامر عبد الله بالبكر وصادم حسين، بينما كانت مجلة الحزب "الثقافة الجديدة" التي سمح البعث لها بالصدور تنشر مقالات انتقادية لما طرحه البعث. ولكن الحوار استمر، لأن الشيوعيين لم يملكوا قطعه بحكم رغبة موسكو في استمراره وفي "ضرورة التفاهم مع النظام اليساري القائم" التي حملها أمين عام الحزب الشيوعي عزيز محمد العائد إلى بغداد من الاتحاد السوفياتي. وهكذا وقّع الحزبان ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في 17 تموز 1973. وبموجبه أصبح للشيوعيين ثلاث وزراء في الحكومة العراقية وتولوا وزارات الدولة والري والعدل. وكسبوا مشروعية قانونية، وسمح لصحيفتهم "طريق الشعب" بالصدور العلني .. لكنهم ظلوا بعيدين عن العمل داخل الجيش. وقد اعترف الشيوعيون للبعث بأنه "الحزب القائد". (صاغية، 2003، ص 82-88).

على أن العلاقة عادت إلى التدهور بعد توقيع بغداد اتفاقا مع شاه إيران في شط العرب، مقابل تخلي إيران عن دعم التمرد الكردي الأمر الذي فتح المجال للقوات العراقية لإنهاء الحركة الكردية. واتهمت جريدة "الجبهة" الحزب الشيوعي بانتهاك الميثاق الوطني وقواعد العمل الجبهوي. (عبد الكريم، ج 5، ص 64).

عقد الحزب الشيوعي العراقي مؤتمر الوطني الثالث في بغداد في 4-6 أيار 1976. وأعاد انتخاب عزيز محمد أمينا عاما أول للحزب، وشكل مكتبا سياسيا. وتبنى المؤتمر تقريرا يشتمل على أبرز المقولات الشيوعية العالمية التي تعتبر موسكو "قاعدة الاشتراكية العالمية" فأدان الخط الصيني، ومقولة الشيوعية الأوروبية، وأيد قرارات مجلس الأمن ومؤتمر جنيف. وكانت هذه المواقف تتعارض مع مواقف حزب البعث الراض لكل هذه القرارات والحلول. (محمد، 2002، ص 17).

واشتدت الخلافات الأمر الذي أدى بالشيوعيين إلى الاستقالة من الحكومة والخروج من الجبهة الوطنية التقدمية والعودة إلى العمل السري. وهنا شنت السلطة البعثية ضدهم حملة مطاردات واعتقالات واسعة، وما لبثت أن كشفت النقاب عن تنظيم "شيوعي" داخل الجيش فاعتقلت ثمانية وثلاثين ضابطاً وحكمتهم بالإعدام ونفذ الحكم، وغادر مئات الشيوعيين العراق إلى الخارج سرا. (صاغية، 2003، ص90).

مرحلة 1980-2000

وبينما اندلعت الحرب العراقية - الإيرانية منذ 1980، وفي ظل ظروف عمل سري صعبة وقاسية عقد الحزب مؤتمره الوطني الرابع في 10-15 تشرين الثاني 1985 بصورة سرية فوق الأرض العراقية. ويقول عزيز محمد الأمين العام للحزب "إن انعقاد هذا المؤتمر كان مجسّ اختبار لقدرة الشيوعيين العراقيين على إحياء تقاليد حزبهم، في التكيف مع متطلبات العمل الثوري"، ويشير إلى أن أبرز إنجازات المؤتمر كانت:

- إقرار برنامج الحزب.
- تقييم تجربة التحالف مع حزب البعث لحاكم في العراق: 1968-1979.
- إقرار التقرير السياسي والوثيقة البرنامجية الجديدة.
- تقييم سياسة الحزب ونشاطه منذ 1980
- إقرار توسيع نطاق الكفاح المسلح ضد النظام الديكتاتوري الحاكم.
- درس الحزب بروح نقدية جريئة الأخطاء التي اقترفتها قيادة الحزب ومختلف هيئاته ونشاطه. وجرى التأكيد بقوة على تربية الشيوعيين الشبان وتثقيفهم. (الحقيقة، 1987، ص1-6)*.

* انظر أيضاً: الثقافة الجديدة، حديث شامل للرفيق عزيز محمد، العدد 179، تشرين الثاني 1986، ص4-30.

شهدت مرحلة ما بعد المؤتمر الرابع اشتداد الحرب العراقية - الإيرانية، ثم انتهاءها في أواخر العام 1988، وما لبث العراق أن غزا الأراضي الكويتية في آب 1990 وأدت تداعيات الحدث إلى نشوب حرب الخليج الثانية (1991) التي انتهت بإخراج القوات العراقية من الكويت. وفي هذه الظروف جاء انعقاد المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي العراقي في تشرين الأول 1993. حيث حدد المؤتمر كما تقول وثائق الحزب "سبل الخروج ببلادنا من أزمته وإنقاذ شعبنا من محنته". ودعا إلى حشد طاقات الشعب واستنهاضها من أجل "رفع الحصار الاقتصادي عنه، وإسقاط الدكتاتورية، وإقامة العراق الفيدرالي الديمقراطي الموحد". (وثائق المؤتمر الخامس، ص 25).

وعقد الحزب مؤتمره الوطني السادس في الفترة من 27 - 30 تموز 1997. وأقر المؤتمر الوثيقة البرنامجية التي ركزت على الدعوة إلى حشد الطاقات من أجل: رفع الحصار عن الشعب العراقي، والخلص من النظام الديكتاتوري وإقامة العراق الديمقراطي الفيدرالي الموحد.

ومن بين أهداف الحزب المرحلية حسب الوثيقة البرنامجية إعادة النظر في نظام التعليم بما يتفق وتأمين مستلزمات التقدم المادي والتقني، وإرساء قاعدة تعليمية متطورة، ووضع خطة عملية لاستكمال جهود مكافحة الأمية، وضمان التعليم المجاني في المراحل الدراسية المختلفة، وإزالة سياسة "التبعيث" في المناهج التربوية، وفي الانتساب للهيئة التعليمية ونقابتها، وفي النشاط المدرسي، والتنظيم الطلابي. والعمل على حماية المعلم وحقوقه، والممارسة الديمقراطية في الحياة الدراسية. (الوثيقة البرنامجية للمؤتمر الوطني السادس، تموز 1997، ص 5-7).

* عقد المؤتمر في المناطق الكردية التي تمتعت بحكم ذاتي وحمية أميركية منذ عام 1991.

** المقصود بـ"التبعيث" جعل كل شيء في التعليم متوافقا مع الأيديولوجية البعثية، نسبة إلى حزب البعث الحاكم.

وقبل أن يقفل القرن العشرون صفحاته، كان الحزب يعقد مجلسه الحزبي العام الخامس في 26-28 تموز 1999 ليناقدش تطورات البلاد الداخلية والشأن العراقي عربيا وإقليميا ودوليا والأوضاع العربية والعالمية عامة. ويؤشر التقرير السياسي عن أعمال المجلس على القضايا التي حظيت بتركيز الاجتماع ومنها الأزمة الشاملة في البلاد بسبب النهج الديكتاتوري للنظام الحاكم وسقوط البلاد في أزمة عميقة سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، والمعاناة المعيشية المتزايدة للشعب وتزايد الرسوم والضرائب على الخدمات العامة، واستمرار الحصار الاقتصادي وآثاره المدمرة على الشعب، وخصوصا الفئات الكادحة. وينتقد التقرير السياسة الأميركية المعتمدة إزاء العراق منذ 1991 والمسماة بـ "الاحتواء المزدوج" التي شملت إيران كذلك. ويدعو التقرير إلى "تعاون قوى المعارضة وتوحيد جهودها وتنسيق عملها لتعزيز المقاومة الشعبية المتصاعدة ضد النظام الحاكم. والتوصل إلى خطاب سياسي موحد انطلاقا من المشروع الوطني الديمقراطي الصادر عن المؤتمر الوطني السادس للحزب". (وثائق المجلس الحزبي العام الخامس للحزب الشيوعي العراقي، 26-28 تموز 1999).

3. 1. 2. جماعة الإخوان المسلمين:

يرتبط تأسيس جماعة الإخوان المسلمين بالرد على "إسقاط الخلافة وتقدم العلمانية". فالشيخ حسن البنا (1906 - 1949) مؤسس "الإخوان المسلمين" في مصر يمثل امتدادا حركيا للإصلاحية السلفية المشرقية في شروط مواجهتها الحادة للنموذج العلماني ومحاولة تطويق آثاره وامتداداته في العالم الإسلامي. إن فكرة الإخوان المسلمين كانت فكرة الشيخ حسن البنا نشأت معه في صباه، فكانت ثورة على كل مظاهر الفسق والتحلل التي يراها حوله، واستمرت معه في شبابه فاستطاع أن يبلورها ثورة على الإيمان الخامل الذي لا يدفع صاحبه إلى العمل لكي تكون عقيدته مطبقة قولا وعملا مهيمنة على سلوك الناس في حياتهم الخاصة والعامة. وليكون لقومه "مرشدا ومعلما" كما كان يتمنى في صباه، ولتصبح من بعد "فكرة جامعة، ودعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشراكة اقتصادية، وفكرة اجتماعية، كما أرادها، وكما وصفها". (زكي، ص16).

ولا شك أن مشاركة الإخوان المسلمين في حرب فلسطين عام 1948، وعلاقتهم الوطيدة بالقضية الفلسطينية منذ ثورة 1936، كان لها الدور الأبرز في انتشار دعوتهم في مصر وامتدادها إلى بقية الأقطار العربية وخصوصا بلاد الشام. ولكن النكسة الأكبر التي أصابتهم هي اغتيال زعيمهم حسن البنا عام 1949، وحلّ الجماعة في مصر وتشرد كثير من أعضائها الذين تطالهم حملة الاعتقالات إلى الخارج وهؤلاء هم الذين ساعدوا في نشر الفكرة لاحقا في الدول التي سافروا إليها. (ميتشيل، 1978، ص 149).

- الإخوان المسلمون في سورية

يعتمد الباحث في هذه النبذة التاريخية على مرجع أساسي بعنوان "موجز تاريخ جماعة الإخوان في سورية" من إعداد لجنة التاريخ المنبثقة عن الجماعة نفسها، وقد قدم له علي صدر الدين البيانوني المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية وصدر في أيار 1999 ويقع في 222 صفحة.

تأسيس الجماعة

في شهر آب 1935، ارسل حسن البنا أخاه عبد الرحمن البنا الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم إلى سورية ولبنان وفلسطين وبرفقتهما الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي فقابلا رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين المفتي الحاج أمين الحسيني، ثم غادرا بيت المقدس إلى دمشق، فوصلها يوم الأربعاء، ويوم الجمعة خطبا في المسجد الأموي، وحثا على قيام الإخوان المسلمين، ثم قابلا قادة الحركة الإسلامية في دمشق.

وبعد زيارة الساعاتي، حمل دعوة الإخوان في سورية الشيخ محمد الحامد، لكن يبقى الشيخ مصطفى السباعي هو المؤسس الحقيقي للإخوان المسلمين في سورية، وكان الرجلان يقيمان في القاهرة معا. ولما عاد الشيخ السباعي إلى سورية من مصر عام 1941، وجه دعوة إلى الجمعيات المذكورة للوحدة، فالتقى مندوبو هذه الجمعيات سنة 1942 في حلب بحضور مندوب الشيخ البنا سعيد رمضان البوطي وكانت هذه الجمعيات تلتقي تحت اسم جمعيات "شباب محمد" فاعتبر مؤتمرها الدوري الخامس المؤتمر التأسيسي الأول لجماعة الإخوان المسلمين في سورية. (موجز تاريخ جماعة الإخوان في سورية، ص 40).

وفي عام 1945 عقد اجتماع في حلب، للجمعيات الإسلامية آنفة الذكر، في سورية، واتفق المجتمعون على قيام الجمعية الجديدة الموحدة باسم " الإخوان المسلمون" على أن تكون جزءا من تنظيم جماعة الإخوان المسلمين في مصر. وشكلت لجنة مركزية عليا للجمعية مركزها دمشق واختير الشيخ مصطفى السباعي رئيسا لها، وبويع في نهاية المؤتمر مراقبا عاما للجماعة مدى لحياة. (ص41). وتشكل الهيكل التنظيمي للجماعة، على النحو التالي: الهيئة التأسيسية - المراقب العام - المكتب العام - إدارات المراكز والفروع. (ص43).

العهد السري الأول

جاءت هذه المرحلة بعد اغتصاب اليهود لفلسطين ونكبة 1948 وامتازت بالتوتر والغليان. وشهدت عدة انقلابات عسكرية (بدءا من آذار 1949 وانتهاء بشباط 1954). كان عمل الجماعة في بداية هذه المرحلة علنيا ثم اتجهت الحركة إلى السرية بعد قرار حلها في 17 / 1 / 1952 بدعوى اشتغالها بالسياسية. (الحسيني، 1952، ص128). فعلى الصعيد التنظيمي وخلال المرحلة العلنية افتتحت الجماعة مراكز في دمشق ودرعا. وعقدت عددا من المؤتمرات في دمشق وحلب وحمص. وخرجت من نطاق العمل الشعبي العام إلى نطاق الحركة المنظمة بجهود الدكتور السباعي. (ص83).

وكان للجماعة دور كبير في السياسة السورية من خلال مشاركتها في الانتخابات النيابية، وتشكيل الجبهة الإسلامية الاشتراكية (1949) التي تقدمت إلى الناخبين بأول برنامج شامل ومتكامل للإخوان المسلمين في سورية* وفازت بموجبه بأربعة نواب، واتسمت علاقة ممثليها في الجمعية التأسيسية بالخصومة والعداء لحزب البعث والحزب الشيوعي، في حين كانت عادية هادئة مع حزب الشعب والحزب الوطني. (ص85-86).

* أبرز نقاط البرنامج: الدفاع عن الجمهورية ضد مشروع سوريا الكبرى، معارضة مشروع الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط، تبني الحياد الإيجابي، المطالبة بإصلاح زراعي جذري، طرح الاشتراكية الإسلامية كبديل عن الشيوعية. (انظر: مصطفى السباعي: اشتراكية الإسلام، ط2، 1960، ص11) وكتابه (دروس في دعوة الإخوان، 1955، ص159).

مرحلة التجميع والانتشار (شباط 1954 - شباط 1958)

سبقت هذه المرحلة قيام الوحدة بين سورية ومصر. وكانت مرحلة قلق واضطراب، وجليان شعبي واسع. وشهدت تحالفا للقوى اليسارية والقومية، وصراعا بين القوى العلمانية والقوى الإسلامية والمحافظة. وقام الإخوان المسلمون خلال هذه المرحلة بمجموعة من النشاطات والفعاليات السياسية والتنظيمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حسب (موجز تاريخ الجماعة، ص 91-95).

مرحلة الحل ثم العودة العلنية (1958 - 1963)

شهدت هذه المرحلة أبرز حدثين عربيين في النصف الثاني من القرن العشرين هما الوحدة بين مصر وسورية، ثم الانفصال. لجأ الإخوان، كغيرهم من الأحزاب، إلى العمل السري. وكانوا يعارضون حكم عبد الناصر وإن لم يعترضوا على قيام دولة الوحدة برئاسته. واستفادوا من تجربة الإخوان السرية في مصر.

كما تذكر الوثيقة "أن الإخوان سيطروا على نقابة المعلمين وانتخب عمر عودة الخطيب لمنصب نقيب المعلمين في سورية فنفذت النقابة إضرابا عاما دعمه الإخوان المسلمون، وكان الخطيب نقيبا للمعلمين ووزيرا للتموين أيضا فقال له رئيس الوزراء خالد العظم: أريد أن أفهم أنت وزير أم معلم؟ فقال له أنا معلم قبل أن أكون وزيرا، وسوف أبقى كذلك". (موجز تاريخ الجماعة، ص 113).

مرحلة الصراع مع حزب البعث الحاكم (1963-2000)

هذه مرحلة طويلة امتدت سبعا وثلاثين سنة، وهي ما تزال مستمرة. ولهذا لجأ الباحث إلى تقسيمها لغايات الدراسة إلى عدة فترات كما يلي:

أ- فترة البناء الهادئ (1963-1970)

بدأت هذه الفترة بنجاح انقلاب (ناصرى - بعثي) ضد الانفصال، في 8 آذار 1963، ثم سيطرة "البعث" على الحكم منذ 18 تموز 1963 بشكل نهائي والبطش بالقوى الناصرية واليسارية المعارضة. (فان دوم، 1989، ص 49 - 50).

وشهدت أحداث حماة الأولى التي يسميها الإخوان في أدبياتهم "ثورة حماة - ثورة جامع السلطان" سنة 1964م. كما وقعت فيها اضطرابات واحتجاجات دامية في عدد من المدن السورية الكبرى بسبب مقال نشره "إبراهيم خلاص" واتهمه "الإخوان" بأنه يتناول على الذات الإلهية والأديان. كما وقعت مصادمات في دمشق عام 1965 بين (كتائب محمد) وهي تنظيم إسلامي جديد (حينها) وغير إخواني، وبين الحرس القومي امتدت إلى ساحة المسجد الأموي حيث اعتصم به الكتائبيون (وثيقة موجز تاريخ الجماعة، ص119).

وكان من الطبيعي أن يلجأ الإخوان إلى العمل السري. وقد تعرض التنظيم إلى حملة اعتقالات واسعة في عام 1964، ولم يفرج عن المعتقلين إلا بعد انتهاء حرب حزيران الخاسرة. ووسعت الجماعة عملها في صفوف الطلبة والمدارس والجامعات وركزت على المدن الكبيرة وخت الأرياف من نشاط الإخوان. وراحت تبني نفسها تحت شعار "علنية الدعوة وسرية التنظيم"، وتضخم قسم المعلمين والطلاب على حساب الأقسام الأخرى، وتركز النشاط في المساجد: دعوة وتوعية. (ص121-124).

ب- فترة الانقسام (1968-1973)

استمر تنظيم الإخوان المسلمين السري لكن بوادر الانقسام بدأت تظهر على الساحة في مؤسسات الجماعة وقواعدها. وأصبح التنظيم الواحد تنظيمين، حيث خرج أمين يكن نائب المراقب العام من السجن، ليتخذ خطا مغايرا لقيادة الجماعة التي كان العطار يتولاها منذ رحيل السباعي عام 1964. وكالعادة بدأ الانشقاق بالحديث عن التجاوزات في العمل، والفردية في اتخاذ القرارات. وفي ظل هذه الظروف، في عام 1973 أصدر الأسد دستورا جديدا تقول "الوثيقة الإخوانية" إنه كان دستورا علمانيا يتجاهل دين الدولة ودين رئيس الدولة " فنشطت حركة احتجاجات واسعة "إسلامية التوجهات" ضد الدستور، لا سيما في الجامعات، مما أدى إلى اعتقالات شملت المئات من قيادات الجماعة وعناصرها البارزة بين طلاب المدارس والجامعات.

* لم أتمكن من العثور على نص المقال أو الصحيفة التي نشرته.

وتعمق الانشقاق الداخلي إلى حد أدى إلى تدخل التنظيم العالمي للإخوان المسلمين ولكن الخلاف انتهى إلى خروج جماعة "عصام العطار" من التنظيم العالمي، وازداد ارتباط الفريق الآخر الذي ظل يشكل الجماعة الأم، بالتنظيم العالمي، بينما شكل العطار تنظيماً جديداً باسم "الطلائع الإسلامية". (ص 135).

ج- فترة الانطلاقة الجديدة (1973-1980)

يقول القائد الإخواني عدنان سعيد الدين: "كانت الجماعة في تلك الفترة منقسمة إلى ثلاث اتجاهات: الأول: وهو الرئيسي، من "إخوان حلب" وما حولها وتم انتخاب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة مراقباً عاماً له. والثاني: من "جماعة دمشق" ويتبعهم عدة محافظات، وكان على رأسهم عصام العطار الذي كان في الخارج، وكان نائبه آنذاك الدكتور حسن الهويدي. والاتجاه الثالث: أطلق عليه "فريق الحيادة" وكان مكوناً من أعضاء ثلاث محافظات هي دير الزور وحماة وإدلب، ولاحقاً انضمت دير الزور إلى دمشق. واستمر الحال هكذا حتى عام 1974. وجرت محاولات للوفاق دامت طويلاً وتدخلت فيها شخصيات إسلامية من خارج سورية، مثل أبي الأعلى المودودي (باكستان) وأبي الحسن الهضيبي (مصر) وتجمعات إسلامية عربية، وانتهت إلى قرار من ثماني نقاط أصدره التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، وأبرز ما فيه الدعوة إلى انتخابات جديدة بإشراف لجنة مؤلفة من ممثلي الإخوان في عدة أقطار. وجرت الانتخابات فعلاً في المحافظات السورية، وقاطعتها مجموعة العطار برئاسة الهويدي. واختار المشاركون مراقباً عاماً جديداً، وكلفوني (أي عدنان سعد الدين) القيام بمهامه على أن يكون مقره داخل سورية، وذلك في تموز 1975. واستمر الانشقاق، ولكنه ضعف كثيراً. وظلت في منصب الأمين العام ثلاث سنوات، ثم جرى تمديد فترة الولاية أربع سنوات أخرى حتى عام 1982. (البرازي، 1994، ص 97).

وخلال هذه الفترة أيضاً، فوجئت قيادة الإخوان، كما تقول وراثتهم، بعملية مدرسة المدفعية التي قادها عدنان عقلة وإبراهيم يوسف التي ذهب ضحيتها أكثر من ثمانين شخصاً، والتي دفعت السلطة إلى إعلان الحرب على الجماعة في بيان لوزير الداخلية السوري عدنان دباغ في 22 حزيران 1979، مما اضطر الجماعة إلى اتخاذ قرار بخوض كفاح مسلح ضد النظام دفاعاً عن وجودها في أيلول 1979، في الوقت الذي أصدرت محكمة عرفية ميدانية حكماً بالإعدام على خمسة عشر إخوانياً من أبرز أعضاء التنظيم، والذين لا علاقة لهم بحادث مدرسة المدفعية. ثم أصدرت الجماعة كتيباً بعنوان "بيان الثورة الإسلامية ومنهجها" في 9/ 11/ 1980 وألقت بمسؤولية ما حدث في مدرسة المدفعية لاحقاً على جماعة عدنان عقلة غير المنضبطة. (موجز تاريخ الجماعة، ص 138).

د- فترة الصراع المسلح (1980-2000):

اتسمت العلاقة بين الجماعة والنظام الحاكم في سورية في هذه الفترة بالتوتر والعداء والصراع المسلح. فقد فجرت هذا الصراع مع البعث الحاكم أحداث خطيرة في حماة أدت إلى قصف المدينة بالمدفعية والطائرات وتدمير كثير من أحيائها. وقبل ذلك توالت الاعدامات والاغتيالات في صفوف الإخوان خلال عامي 1979/1980.

وأبرز التطورات التي وقعت في هذه الفترة الطويلة نسيباً هي اتحاد فصائل الجماعة الثلاث: الجماعة الشرعية - جماعة العطار - الطليعة المقاتلة، لبضعة شهور في آذار 1981 ثم وقوع انشقاقات جديدة. ففي عام 1982، وبعد أحداث حماة الدامية، جرت انتخابات جديدة فاز بها الدكتور حسن الهويدي مراقباً عاماً، وعدنان سعد الدين نائباً له. واستمر الوضع حتى عام 1985، حيث وقعت اضطرابات وسادت التنظيم حالة من القلق والضعف، وجرت انتخابات جديدة فانتخب محمد ذيب الجاجة مراقباً عاماً، وهو من محافظة إدلب ومن بلدة المعرة. وكانت اجتماعات مجلس الشورى تعقد خارج سورية، إما في العراق أو الأردن. ولم يدم ذلك طويلاً. إذ استمرت النزاعات. وكان مجلس الشورى متشدداً لصالح مواجهة النظام والعمل على إسقاطه. (انظر: البرازي، 1989، ص 105-107).

أهداف الإخوان المسلمين في سورية:

واستكمالاً للصورة يضع الباحث تالياً أهداف الإخوان المسلمين، كما أوجزها الدكتور السباعي بلغته وأسلوبه. (موجز تاريخ الجماعة، ص 31-32)

أولاً: إصلاح الفرد وصلاحه: إما يتم على الوجه الأكمل، بتطهير عقيدته من الفساد، وقلبه من الزيغ، ونفسه من الشهوة، وخلق من الضعف، وروحه من العزلة، حتى يكون في المجتمع بناءً، يعمل بروح الأبرار، ويكافح بعزيمة المناضلين، ويفكر بعقل العلماء والحكماء.

ثانياً: إصلاح الأسرة: إذ هي الخلية الأساسية في المجتمع، واستقامة شؤونها وتماسك بنائها هو وحده السبيل إلى تماسك بنيان المجتمع على الأسس التالية:

1. التحرر من الجهل والخوف والرذيلة والجوع والمرض والمهانة.
2. النظام المحكم الذي يجمع بين القوة والرحمة والعدالة والتسامح، وينتفي فيه طغيان الفرد وميوعة الجماعة.
3. القوة التي تحفظ الأمة في داخل المجتمع، وتصد العدوان عن حدوده وسيادته وتحارب الظلم والطغيان أينما كان.

ثالثاً: إصلاح المجتمع: (لم يذكر السباعي شيئاً عن تفاصيل ذلك).

رابعاً: كفاح الاستعمار: الإخوان المسلمون لا يرون لكفاح الاستعمار حداً يقفون عنده حتى تتحرر أمتهم من كل آثاره العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية. وهم لا يرون استعماراً أولى بالمحادثة من استعمار. فكل عدوان على بلادهم وعلى عقائدهم وعلى كرامتهم، وأموالهم يعتبر استعماراً يجب محاربهته بكل وسيلة.. ويرى الإخوان أن كفاح أعوان الاستعمار من طغاة ومستبدين ومستثمرين، هو كفاح للاستعمار ذاته، لا يهادنون فيه أحداً.

خامساً: توحيد العرب والمسلمين: من أجل ذلك نادى الإخوان المسلمون بوجود تكتل العالم الإسلامي، في اتحاد سياسي واقتصادي، كالاتحاد السوفياتي أو الأميركي. وفي ظل هذا الاتحاد يستطيع العرب وكل شعب من شعوب العالم الإسلامي أن يعملوا لبلادهم ولكياناتهم الخاصة، في إطار من التعاون العملي، الذي يجعل منهم أمة مرهوبة الجانب محترمة الكيان، تلعب دوراً خطيراً في صيانة السلام في العالم، وتوفير الرغد والأمن لشعوبه.

- الإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين

تبدو نشأة جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وفلسطين متشابهة، نظراً لطبيعة العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتميزة بين البلدين منذ الأربعينات حتى الآن. ولهذا يصعب الفصل في الحديث عن التنظيمين خصوصاً في المرحلة التي تمتد من ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام 1967.

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس والتكوين (1945-1952)

سعى مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر الشيخ حسن البنا منذ البداية إلى أن تتسم حركته بالعالمية. واهتم بأن تكتمل في مصر ثم تنطلق إلى البلدان العربية والإسلامية، لأن أوضاع بلدان المسلمين متشابهة، فأرسل دعاته للتبشير بمبادئها إلى معظم البلدان العربية والإسلامية، فكانت فلسطين والأردن من البلدان العربية الأولى التي تأثرت بهذه الدعوة واستجابت لها.

لقد وصل هؤلاء الدعاة وفي فترات متباعدة إلى يافا والخليل وعمان في مطلع عام 1945، غير أن الأحداث الدامية التي كانت تجتاح فلسطين آنذاك لم تحدد معالم هذه الدعوة هناك، ولكنها برزت في شرق الأردن، عندما صادفت هوى في نفوس مجموعة من علماء الدين وعلى رأسهم الشيخ عبد اللطيف أبو قورة الذي أصبح أول مسؤول لهذه الجماعة في الأردن. (الحسن، 1990، ص56).

ويشير كوهن إلى أن أول فرع أقيم للإخوان في الضفة الغربية كان في القدس في أيار عام 1946 تحت الانتداب البريطاني. ويرى أن نائب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس جمال الحسيني، والذي كان يرأس المجلس بالنيابة بعد نفي الحاج أمين الحسيني، قد قام بدور رئيسي في إنشاء فرع الإخوان المسلمين في القدس، وسجل اسمه على رأس قائمة أعضاء الفرع الأوائل. ويذكر أنه تم تأسيس فروع أخرى في العام نفسه في كل من يافا وحيفا ونابلس وطولكرم. (Cohen, 1982, Pp 203)

وهذا ما كان قد أشار إليه الحسيني (1952، 130) من أن فروع فلسطين تأسست سنة 1946، أي بعد فروع سورية بنحو عشر سنوات، في أثناء ازدهار الدعوة في مصر. ولكنه يذكر أن "البواعث كانت خارجية"، إذ كانت فلسطين تعاني اضطرابا سياسيا عنيفا يصرها عن التفكير في أية شؤون دينية. غير أن جريدة الإخوان كانت تصل إلى فلسطين كل صباح بانتظام، وفيها مقالات في الدفاع عن حقوق العرب السياسية. ونتج عن ذلك أن انتشرت الدعوة أولا على الألسنة، ثم صار لها أنصار ومؤيدون. ثم جاء مندوب من قبل الإخوان هو (عبد العزيز عبد الستار) واحتفل بافتتاح فرع في القدس في 1946/5/5 حضره ما يزيد عن ألفي شخص. وفي أواخر 1946 عقد مؤتمر عام في حيفا حضره ممثلون عن الإخوان المسلمين في لبنان والأردن وفلسطين.

ويعلق الحسيني (1952، ص133) على ذلك بقوله "وهذا الاتجاه السياسي المحض متفق والاتجاه الذي سار عليه الإخوان في مصر فقد اتجه الإخوان في هذه المرحلة كليا إلى السياسة وأضحى الهدف الديني ثانويا".

ويذكر غرايبة أن إنشاء الجماعة في الأردن كان في 19/11/1945، وأن الترخيص بها صدر في أوائل عام 1946 ونشرته صحيفة الجزيرة في عددها رقم 1074 حيث جاء فيه "قرر مجلس الوزراء العالي في جلسته المنعقدة بتاريخ 9 كانون الثاني السماح للوجيه إسماعيل البيليبيسي وإخوانه السادة عبد اللطيف أبو قورة، وإبراهيم جاموس، وراشد دروزة، وقاسم الأمعري، وغيرهم بتأسيس جمعية في شرق الأردن تدعى جمعية الإخوان المسلمين، وافتتح المركز العام للجماعة برعاية الملك عبد الله" ولا ندري ما سبب هذا الاختلاف بين تاريخ الإنشاء وتاريخ منح الترخيص الذي جاء بعده. إلا أن غرايبة يعود فيؤكد أن تأسيس الجماعة كان بمبادرة من الحاج أبو قورة الذي اتصل بالمرشد العام في مصر (حسن البنا) وتعرف على الجماعة، وكان عضواً في الهيئة التأسيسية (مجلس الشورى) الذي كان يضم قيادات الإخوان في الدول العربية مثل الشيخ مصطفى السباعي في سورية، والشيخ محمد أحمد الصواف في العراق. (غرايبة، 1997، ص 47)

وقد انتخبت الجماعة هيئتها الإدارية أو المكتب العام في عام 1947 من عبد اللطيف أبو قورة، نائب الشعبة، وأحمد الطراونة وكيل نائب الشعبة، وبيديع دروزة أمين الصندوق، وممدوح الصرايرة، سكرتيراً، ومسلم النابلسي مدير القلم، وممدوح سبتي كركر مراقباً، ويوسف البرقاوي ورياض الجقة وعبدو صبحا أعضاء. (العبيدي، 1991، ص 42).

المرحلة الثانية (1953-1967)

شهد عام 1953 انتخاب أول مراقب عام لجماعة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها. لكن الحسن (1991، ص 57) يقول "إن الجماعة انتخبت في 26/12/1953 الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المولود في السلط سنة 1919 مراقباً عاماً لها، وهو يحمل ثلاث شهادات علمية في الحقوق والزراعة والتربية". وهذا يتفق مع ما يذكره كوهن من أن عبد اللطيف أبو قورة هو زعيم حركة الإخوان المسلمين في الأردن حتى سنة 1953. وكانت السلطات شديدة المراقبة له، لأنه كان متطرفاً في آرائه المعادية للغرب. وبعد سنة 1953 خلفه محمد عبد الرحمن خليفة في زعامة الحركة الذي وصل إلى منصب الأمين العام بعد انتخاب المكتب الإداري له، وتحت زعامته أصبحت نشاطات الحركة أكثر تنظيماً وامتدت إلى كل مناطق الأردن. (العبيدي، 1991، ص 109).

وفي هذه المرحلة كانت الجماعة تمر بأزمة داخلية. فقد أخذت تواجه مجموعة من التفاعلات الاجتماعية والتنظيمية، بعد وحدة الضفتين وانتساب أعداد كبيرة إليها من الشباب وأبناء الطبقة الوسطى إضافة إلى تأثرها بأوضاع الحركة الأم في مصر فبدأت تتحول من هيئة نفع عام وجمعية إسلامية للدعوة والإصلاح إلى جماعة سياسية ذات برنامج إصلاحي اجتماعي وعام. (غرايبة، 1997، ص61). وفي العام نفسه وضع للجماعة نظام أساسي مستمد من النظام الأساسي للجماعة في مصر نص على إنشاء هيئة عامة لكل شعبة، وهيئة إدارية منتخبة لإدارة الشعبة، ولكل شعبة أن تنتخب ممثلها لمجلس الشورى والمكتب التنفيذي للجماعة. وبموجب هذا النظام حصلت الجماعة على موافقة مجلس الوزراء على أن تكون الجماعة "هيئة إسلامية عامة شاملة، وليس حزبا سياسيا ولا جمعية خيرية. وسمح لها بنشر دعوتها في المساجد ودور الجماعة والأماكن العامة، وبفتح فروع لها في كافة أنحاء المملكة." (نفسه، ص115-116).

ويشير كوهن Cohen إلى أن الجماعة كانت تضم بعض الشخصيات المؤثرة في الحياة الاقتصادية إلى جانب مخاتير القرى ووجهائها وأعداد من المثقفين والمحامين والأطباء والصيادلة والطلاب. لكنها لم تهتم كثيرا في هذه المرحلة بالقطاع الطلابي حيث تفوق عليها الشيوعيون والبعثيون في انتخابات اتحاد الطلبة، ولم يحصل الإخوان على شيء. ولم يكن للإخوان جمعيات فلاحية أو حركة نسائية أو اتحاد للعمال، في تلك الفترة مما يدل على أنهم لم يولوا اهتماما لتلك القطاعات. (ص217-221).

وفي مقارنته بين الإخوان المسلمين في الأردن وفي مصر، وهو يتحدث عن تنظيم الضفة الغربية وحده، يقول كوهن Cohen إن هناك تشابها بين مواقف الإخوان الأردنيين في الخمسينات والستينات ومواقف الإخوان المصريين في الأربعينات والخمسينات. فقد حافظ الإخوان في البلدين على علاقة طيبة مع الملك وأيدوه في صراعاته مع خصومه في الداخل. وكانوا في البلدين يشكلون "حزبا سياسيا" مع أنهم في مصر أصروا على أنهم "جمعية دينية" ولم يشاركوا في الانتخابات. بينما اشتركوا في الأردن في الانتخابات النيابية بكل نشاط. لكنه يضيف أن الإخوان في الأردن لم يستخدموا "العنف السياسي" الذي لجأ إليه الإخوان في مصر في الأربعينات والخمسينات. (ص214).

إن الإخوان في الضفة الغربية، لكونهم جزءاً من الجماعة الأردنية انتهجوا سياسة مهادنة للملك وموالية له غالباً. بينما كانوا معادين للشيوعيين وللتيار القومي (البعث والناصرية) وقد استفاد النظام السياسي الأردني من هذه السياسة فأتاح لهم فرص النمو والنشاط العلني وإقامة الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية، وكان يرى فيهم قوة رديفة له. (درّاج وباروت، 2000، ص380).

وهناك من يعزو تلك السياسة إلى تبادل مصالح بين الطرفين، فقد وجدت الجماعة أن خير معين لها في مقاومة التيارات اليسارية والقومية والوطنية يكمن في الوقوف إلى جانب نظام الحكم في الأردن. كما وجد النظام الحاكم تياراً قوياً ضمن التيارات الإسلامية يتفق معه في كثير من وجهات النظر حول الأحداث السياسية التي مرت بها البلاد واستطاع توظيف هذا التيار لاحتواء التيارات الأخرى المعارضة، لكن دون أن يتخلى أي من الطرفين عن استراتيجيته الرئيسية. فقد اعتقلت السلطات الأمنية الأردنية كثيراً من أعضاء الجماعة بسبب معارضتها لحلف بغداد ومشروع ايزنهاور، لكن الإخوان وقفوا إلى جانب الملك في أزمة 1957. (مصالح، 1999، ص53).

المرحلة الثالثة (1967-1989)

وفي هذه المرحلة لم يعد تنظيم الإخوان المسلمين موحداً في الأردن وفلسطين، عملياً على الأقل، لاحتلال الضفة الغربية. وظهور حركة المقاومة الإسلامية "حماس" منذ أواخر الثمانينات على أن هذا ينطبق على الممارسات، وليس على المبادئ والأهداف والغايات التي ظلت واحدة.

شهدت هذه الفترة تغيراً كاملاً على قيادة الجماعة باستثناء المراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة. فانضم إليها أعداد كبيرة من الشباب، وخصوصاً طلبة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات. وفي هذا الوقت دخل الفكر الحركي الإسلامي بعامة مرحلة جديدة بعد الثورة الإيرانية الإسلامية، وبسبب تأثيراتها الأيديولوجية. وقد نما فكر إصلاحي متطرف ينتمي إلى مدرسة سيد قطب وأبي الأعلى المودودي فيما عرف من بعد بـ "الصحة الإسلامية". وهذا حدا بالجماعة إلى توسيع نشاطاتها وتزايد زخمها، في حين بدأ المد القومي العربي واليساري بالتراجع وانشغلت القوى والأحزاب القومية واليسارية في صراعات دامية في الأردن ولبنان ومواقع أخرى. وخلال هذه الفترة ظهرت حركة المقاومة الفلسطينية وتعددت تنظيماتها ومنذ عام 1967 أقامت لها معسكرات ومكاتب إدارية في الأردن.

وكان الإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين ومصر وسورية والسودان مترددون في إنشاء منظمة فدائية خاصة بهم، ولكنهم اكتفوا بإلحاق مجموعات مقاتلة من الإخوان بمعسكرات فتح" وشاركوا في عمليات عديدة ضد إسرائيل. (غرايبة، 1997، ص78).

وفي عام 1978 انتخبت الجماعة مجلسا للشورى ومكتبا تنفيذيا جديدين كان من أعضائهما: د. محمد أبو فارس، د. همام سعيد، أحمد الأزايد، إبراهيم خريسات. وركزت الجماعة على نشر الدعوة في المساجد والمدارس والكلية والمشاركة في الحياة العامة والمهرجانات. وبدأت مرحلة مراجعة عملية لمنهج سيد قطب الذي تبناه عبد الله عزام في السنوات السابقة إثر انتقال أعداد من أعضاء التنظيم وعزام نفسه إلى مواقع "الجهاد الأفغاني". ووضعت مناهج تربوية جديدة للجماعة خففت كثيرا من الحدة والمنهجية السابقة. وما لبث أن تبلور فيها تياران أحدهما معتدل والآخر متطرف. (الحسن، 1995، ص80-85).

المرحلة الرابعة (1989-2000)

مارست جماعة الإخوان المسلمين في هذه المرحلة رؤيتها للمشاركة السياسية والتعددية السياسية، فشاركت في الانتخابات النيابية لعام 1989 وفاز مرشحوها باثنين وعشرين مقعدا، في حين فاز إسلاميون مستقلون حلفاء لها بعشرة مقاعد. وفي ما يلي أهم نقاط البرنامج الانتخابي لمرشحي جماعة الإخوان المسلمين في تلك الانتخابات:

- كان الشعار الأساسي للحملة الانتخابية: الإسلام هو الحل.
- أكدت الجماعة أن الإسلام وحده مصدر التشريع والتقنين.
- وجود الجماعة في المجلس يعتبر إحدى وسائل تحقيق رسالة الأمة في القوة والمنعة وتحكيم شرع الله لإحقاق الحق ونشر العدل والمساواة بين الناس.
- سياسة الجماعة الداخلية تركز على شرع الله وتنفيذ أحكامه وجماهير شعبنا تتوق إلى أن ترى المادة الثانية من الدستور الأردني (الإسلام دين الدولة) مطبقة تطبيقا كاملا شاملا في كل شؤون حياتنا.

- غيبة الإسلام عن التوجيه والتشريع هي سبب ما تعانيه الأمة من أزمات وهزائم.
 - توفير الحريات العامة من واجبات الدولة ومنها حرية العبادة والعقيدة، والحرية السياسية، وحرية الرأي والصحافة والتنقل والسفر ... الخ
 - كرامة المواطن حق رباني تنبغي صيانتها ويشمل ذلك حرمة دمه وعرضه وماله.
 - العمل على توفير فرص الكسب الحلال لجميع المواطنين.
 - إن جواز السفر حق لكل مواطن ومواطنة، فلا يجوز احتجازه أو عرقلة الحصول عليه.
 - محاربة الرشوة والمحسوبية وتقرير مبدأ العدل في التوظيف والترقية.
 - الصحافة لها رسالة، ولن تقوم رسالتها ما لم تكن حرة ومحصنة ضد أي ضغط أو تأثير خارجي ولهذا تدعو الجماعة إلى إعادة النظر في قانون الصحافة، وإلغاء القيود التي تحد من حرية الصحافة، وخصوصا المادة التي تعطي الحكومة حق سحب ترخيص الصحيفة دون إبداء الأسباب مع تحسين القرار ضد الطعن.
 - تدعو الجماعة إلى حرية تشكيل النقابات والتنظيمات الشبابية والطلابية.
 - عالج البرنامج الوضع الاقتصادي من حيث المديونية الهائلة، وهبوط سعر الدينار، والتضخم، وارتفاع الأسعار، والبطالة، والفساد المالي وغيرها.
 - لاحظ البرنامج أن الوضع التربوي والتعليمي يعاني أزمات كثيرة في المناهج والمعلمين والأجهزة التعليمية والإدارية. ولذلك أكد على إلزامية التعليم في كافة مستوياته. ودعا إلى ارتكاز السياسة التربوية إلى قاعدة الإيمان بالله والولاء له سبحانه، وتربية الأجيال على عقيدة الأمة، والحفاظ على لغتها العربية. وطالب بتكافؤ الفرص في الميدان التربوي والتوسع في التعليم الجامعي، وتوجيه لتلبية حاجات المجتمع، وتنميته مع التركيز على بناء الشخصية العربية الإسلامية بناء متكامل، والبعد عن أساليب التلقين واعتماد الأساليب التربوية الحديثة القائمة على تعليم التفكير وتشجيع البحث العلمي وتنمية شخصية الطالب القيادية ومبدأ حرية التعليم وربط التعليم بالمجتمع وحاجاته وإبراز أخلاقيات مهنة التعليم، وتقدير المعلم وتحسين أوضاعه المادية والمعيشية.
- (الحسن، 1995، ص 97-130)

ومن ثم شاركت الجماعة في وزارة مضر بدران في 1/1/1991 بخمسة وزراء هم: يوسف العظم (التنمية الاجتماعية)، وإبراهيم زيد الكيلاني (الأوقاف والشؤون الإسلامية) ود. عبد الله العكايلة (التربية والتعليم) ود. ماجد خليفة (العدل) وكل هؤلاء كانوا أعضاء في المجلس النيابي الحادي عشر في حينه، إلى جانب الدكتور عدنان الجلبوي (الصحة). وقد أثارت هذه المشاركة مناقشات واسعة على الساحة السياسية والإعلامية الأردنية. كما أنها أحدثت خلافات داخل الجماعة نفسها بين مؤيد ومعارض.

وفي هذا يرى د. محمد أبو فارس أن "مشاركة الحركة الإسلامية في الحكومة أدت إلى تحجيم دورها في العمل السياسي، لأن مشاركة النائب في الوزارة تقلل من فاعليته وتضعف دوره الأساسي في مراقبة الحكومة ومحاسبتها. وقرار الحركة الإسلامية بالمشاركة كان إخلالا بالبرنامج الذي تقدموا به إلى الناس وانتخبوا نوابا على أساسه. فقد انتخبهم الشعب ليكونوا نوابا لا وزراء." ويقول يوسف العظم "إن تجربة الوزارة، كانت محدودة تقل عن ستة أشهر، ولا تكفي للحكم أو التقويم. فقد كان الوزراء منشغلين بإفراقات حرب الخليج ودعم العراق والتفكير في محنته، كما انشغلوا بتأمين الاحتياجات التموينية للبلاد، فلم يكن الوزير منصرفا كلية إلى مهام وزارته ومتابعة أوضاعها". أما د. عبد الله العكايلة فيفسر اشتراك جماعة الإخوان المسلمين في الحكومة بقوله: "لقد أعطى نواب الحركة الإسلامية الثقة لحكومة السيد مضر بدران بناء على شروط ومطالب تم الاتفاق عليها. ووجدت الحركة الإسلامية بعد مرور سنة أن الحكومة لم تف بتعهداتها بتنفيذ تلك الشروط التي منحت بموجبها الثقة. والحقيقة التي يؤكد بها الواقع العملي هي أن لا تتوقع ممن لا يملك الرغبة أو المؤهلات لتنفيذ شروطك أو تلبية طلباتك، القيام بمبادرة جادة في ذلك الاتجاه. أضف إلى ذلك أن الحكومة نفسها ظلت ضعيفة ومهزوزة بعد أن فشلت في أن تضم إليها عضوا واحدا من أعضاء الكتلة البرلمانية الرئيسية. ولذلك وجد رئيس الوزراء نفسه مضطرا إلى فتح قنوات الاتصال مع الكتلة البرلمانية الإسلامية من جديد، عارضا عليها للمرة الثانية الاشتراك في الحكومة، وهكذا كان. فقد قبلت الحركة عرضه هذه المرة بعد أن أعطيت خمس حقائب وزارية." (مقابلات شخصية مع كل منهم).

على أن هذه التجربة انعكست لاحقا في مواقف الحركة الإسلامية أو جماعة الإخوان المسلمين بشأن المشاركة في الحكومات والانتخابات النيابية، ومن ثم في العمل الحزبي المرخص. فقد شاركت في انتخابات 1993، ولم تشارك في انتخابات في انتخابات 1997، مبدية أسبابا مختلفة للمشاركة والامتناع ظلت موضع اختلاف وأخذ ورد.

أما على الصعيد الحزبي فقد آثرت جماعة الإخوان المسلمين أن تبقى على وجودها "كهيئة عامة" ولا تتحول إلى حزب سياسي، واختارت إنشاء حزب سياسي جديد باسم حزب جبهة العمل الإسلامي الذي حصل على الترخيص والتسجيل الرسمي في 1992/12/8، وكان عموده الفقري التنظيمي من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين لكنه ضم عددا من الإسلاميين المستقلين. وما لبث هؤلاء أن استقالوا بعد أيام قليلة إثر إجراء الانتخابات الأولى لمجلس الشورى الحزبي في 1992/12/25 مبررين استقالتهم بسيطرة المتشددين من الإخوان المسلمين على الحزب وإبعادهم الإسلاميين المستقلين عن قيادته. (الدباس، 1995، ص 26).

على أن وجود هذا الحزب لم يؤثر على نشاطات جماعة الإخوان المسلمين السياسية والاجتماعية والثقافية بل استمرت في أدائها المعتاد، فهي لا تطرح نفسها منذ البداية باعتبارها حزبا سياسيا، ومنذ عام 1994 انتخب عبد المجيد ذنيبات مراقبا عاما للجماعة، في حين يتولى د. عبد اللطيف عربيات رئاسة مجلس الشورى منذ سنوات. (الصباح، 1998، ص 14-15).

وعودة إلى جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، فإن من الصعب فصل نشاطها عن الجماعة في الأردن، ولم يكن لها أي اختلاف أيديولوجي أو فكري أو سياسي أو تنظيمي عن الجماعة في الأردن، بل انهما بمثابة تنظيم واحد أو موحد. غير أن العقد الأخير من القرن العشرين شهد إعلان تنظيم "حركة المقاومة الإسلامية" في فلسطين "حماس" وهو تنظيم عسكري لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة، ويعرف بأنه الجناح العسكري للإخوان المسلمين في الأردن وفلسطين. أما برنامج الإخوان في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين منذ عام 1967، فيدور حول الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي من خلال العودة إلى القيم الإسلامية. ولم يتخذ الإخوان المسلمون موقفا مؤيدا من الكفاح المسلح ضد الاحتلال في بداياته. لكنهم انضموا إلى المقاومة بعد انتفاضة عام 1987، ومنذ ذلك الوقت ومنظمتهم "حماس" تحظى بشعبية واسعة بسبب مواجهتها للاحتلال من جهة، وبسبب إقامتها عدة مؤسسات اجتماعية لخدمة الناس، علاوة على تشدها في مطالبها ورفضها نهج السلام الذي اتخذته منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية منذ اتفاق أوسلو 1993. (الموصللي، 2004، ص 277).

غايات الجماعة وأهدافها:

يعرف النظام الأساسي الإخوان المسلمين بأنهم "هيئة إسلامية جامعة تعمل على إقامة حكم الله في

الأرض لاستئناف الحياة الإسلامية من جديد، وذلك ضمن الأغراض التالية:

1. تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة نقية متصلة بالعصر ومشكلات الحاضر ومتطلباته.
2. إعادة صلة المسلمين بالإسلام فهما وإيمانا وعملا.
3. إحياء روح الجهاد الإسلامي، وتجديد الثقة به على أنه سبيل الخلاص لنا ولكل البشر.
4. جمع الذين استجابوا للدعوة على الإسلام، وتثقيفهم به، وتربيتهم عليه أفرادا وجماعة، وتأهيلهم لحمله، وتنظيم جهودهم في العمل به والجهاد من أجله.
5. مواجهة التحدي الحضاري الحديث، وإثبات وجود الإسلام في حياتنا وفي العالم على مستوى العصر وحاجاته.
6. التعاون مع الحركات الإسلامية الأصيلة والعاملين المخلصين للإسلام في الوطن الإسلامي والعالم أجمع، من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، وإقامة حكم الله عز وجل، وتحرير الوطن الإسلامي، والسير به إلى الوحدة، وحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا.

ومن الوثائق المهمة التي يرى الباحث ضرورة ملاحظتها بيان صادر عن الجماعة في 15/6/1985

بعنوان: الإخوان المسلمون ماذا يريدون؟. فقد حدد تعريف الجماعة وأهدافها ومنهاجها كما يلي:

1. الإخوان المسلمون حركة إسلامية جامعة قامت بعد سقوط الخلافة الإسلامية للعمل على استئناف الحياة الإسلامية بجميع جوانبها. تعتمد منهاج الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة. والإخوان المسلمون في الأردن فرع من هذه الشجرة الباسقة فكرا ومنهاجا وموقفا.
2. يدعو الإخوان المسلمون إلى أن تتضافر الجهود الخيرة والمخلصة من أجل تحقيق ما يلي:
 - أ- تحكيم شريعة الإسلام لأن هذه البلاد بلاد المسلمين، حررها الصحابة رضوان الله عليهم، ورفعوا راية التوحيد عليها، وحكموها بالشريعة قرونا طويلة، حتى غزاها أعداء الإسلام عسكريا وفكريا، فاستبعدوا شرع الله وحكموها بقوانين غريبة، وغير إسلامية.
 - ب- القضية الفلسطينية قضية إسلامية. لأن أرض فلسطين أرض إسلامية وملك للمسلمين جميعا، ووقف إسلامي لا يجوز لحاكم أو غيره أن يفرط بذرة من ترابها الطهور. ولا يتم تحرير فلسطين بالجري وراء سراب الحلول الاستسلامية، وإنما بالجهاد والعمل الجاد وقوة الإعداد وتحت راية الإسلام.

3. وأما مطالب الإخوان المسلمون فهي:

- أ- إطلاق الحريات العامة، ووقف مطاردة الدعاة والتضييق عليهم في أرزاقهم، واحترام حقهم الإنساني في العمل والعيش والأمن، وتطهير وسائل الإعلام من كل ما يتعارض مع الإسلام، وتطهير جميع الأجهزة من الرشوة والمحسوبية، ومحاربة الفساد وإنكاره.
- ب- إعادة النظر في مناهج التربية في جميع مراحلها، وصياغتها صياغة تخدم أهداف الأمة الإسلامية. وبناء جيل مسلم يعمل على تحرير البلاد والعباد من كل سيطرة أجنبية.
- ج- دعم الصحة الإسلامية وتعميقها وتعميمها.

وفي عام 1986/8/7، أصدرت جماعة الإخوان المسلمين في الأردن مذكرة جاء فيها: إن الجماعة تجد

نفسها في حاجة إلى إعادة تحديد أهدافها بالتالي:

1. العمل على تحقيق مبادئ الإسلام فكرا وسلوكا.
2. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
3. الإسهام في توعية الأمة لمواجهة الأطماع الصهيونية.
4. إقامة المؤسسات الخيرية النافعة.
5. التصدي لمحاولات التغريب، والوقوف أمام الغزو الفكري الوافد.

وأوضحت المذكرة بعض مواقف الجماعة في التصدي للأخطار المحدقة بالأمة مثل:

- الإسهام في مواجهة الخطر الصهيوني بالجهاد بالمال والسلاح والرجال.
- مواجهة الحزبية الوافدة ودحرها.
- في عام 1970، وقف الإخوان موقفا حاسما من الفتنة، فلم يقفوا مع فريق ضد فريق، بل قالوا إننا جميعا حملنا السلاح لنقاتل اليهود، ولم نحمله لنوجهه إلى صدور المسلمين، سواء أكانوا في الجيش أو المنظمات.
- عمل الإخوان على صيانة العمل الإسلامي من الجنوح والتطرف، وتوجيهه نحو الاعتدال.
- مقاومة فكرة الوطن البديل.

وأكدت المذكرة أن الإخوان دعاة وحدة، ويؤيدون كل دعوة صادقة للوحدة. (انظر: الحسن، 1990، ص84).

- الإخوان المسلمون في لبنان

دلت الدراسة على أنه ليس في لبنان -حاليا - جماعة بهذا الاسم. لكن هناك بعض التنظيمات ذات الصلة الوطيدة بجماعة الإخوان المسلمين في سورية ومصر.

ويعيد اسحق الحسيني وجود الإخوان المسلمين في لبنان إلى عام 1946. ويذكر أن المؤتمر السادس لمراكز الإخوان المسلمين في سورية ولبنان، عقد في بيروت، ذلك العام بعد أن توحدت الجماعة اسما وأهدافا مع الإخوان في مصر. وحدد المؤتمر أهداف الجماعة بما يلي:

- أ. تحرير الأمة وتوحيدها وحفظ عقيدتها وبناء نظمها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على أساس الإسلام.
 - ب. الإخوان المسلمون ليسوا حزبا كسائر الأحزاب، وهدفهم إصلاح المجتمع، لا الوعظ فحسب، إصلاحا منبعثا من ذاتية الأمة وعقائدها المقدسة.
 - ج. دعوة الإخوان المسلمين شاملة تتناول الاقتصاد والأخلاق والسياسة والتربية والثقافة والرياضة وشتى نواحي الإصلاح، إذ أن ذلك كله هو مفهوم الإسلام في معناه الصحيح الواسع.
 - د. يدعو الإخوان المسلمون إلى التعاون بين أبناء الأمة كلها لا فرق بين مذهب ومذهب.
- (الحسيني، 1952، ص125-127).

الجماعة الإسلامية في لبنان:

تأسست هذه الجماعة في طرابلس عام 1964. ولها فروع منظمة في بيروت وصيدا، والعشرات من الشعب في مختلف مناطق الشمال والجنوب، كما كان لها أعداد من المؤيدين في البقاع. والأمين العام للجماعة هو الكاتب الإسلامي فتحي يكن. بينما يتولى المحامي محمد علي ضناوي مسؤولية الدائرة السياسية فيها، وهناك رئيس لكل فرع في طرابلس وصيدا وبيروت والبقاع. (ذبيان، 1977، ص337-338).

وهذه الجماعة "حركة إسلامية، رسالتها الإسلام وغايتها إقامة المجتمع الإسلامي الذي يستمد أحكامه وتعاليمه من كتاب الله وسنة رسوله (ص). وهي تنظيم حركي شامل يضم إلى عضويته الرجال والنساء، ويدعو الجميع إلى الإسلام، وإلى تبني منهجه في الحياة. وهو يعتمد لتحقيق هذه الغاية على تبليغ مبادئ الإسلام، ودعوة الناس إليها، ومطابقتهم بتبنيها والعمل لها والجهاد في سبيلها. ومن مقتضيات هذه الدعوة كذلك مكافحة الاستعمار ومخلفاته وأفكاره ونظمه وتشريعاته، سواء أكان غريبا أو شرقيا، حتى تعود للأمة شخصيتها المستقلة". وتهدف الجماعة أيضا إلى "بناء مجتمع جديد يكون فيه الإسلام هو الميزان الوحيد لتصرفات الفرد، والسعي لجمع شمل المذاهب والفرق الإسلامية بالرجوع إلى أصول الإسلام. والعمل على محاربة الطائفية الذميمة". (الجماعة الإسلامية، 1971، ص 6 و7).

عام 1976 أسست الجماعة جناحا عسكريا لها تحت اسم "المجاهدون" بهدف "استيعاب طاقات الشباب المؤمن بالبلد وتوجيه هذه الطاقات بعد صقلها وتدريبها، على طريق الجهاد الصحيح". (شورو، 1981، ص 433).

ويرى بعض الباحثين أن "الجماعة الإسلامية" هي "صيغة إخوانية قطرية محكومة واقعيا بمواضع الدولة القطرية وصيغة التقاسم الطائفي للثروة والسلطة"، على الرغم من خطابها "الإسلامي" الذي يتعدى حدود الدولة القطرية، وحدود الأمة العربية نظريا. ولهذا الخطاب في الوضع اللبناني "وظيفة سياسية أساسية هي ربط المسلمين السنة في لبنان بمحيطهم الإسلامي الواسع والاستقواء به في مواجهة خصومهم السياسيين". (درّاج وباروت، 2000، ص 549 و551).

- الإخوان المسلمون في العراق

لم تدل الدراسة على وجود تنظيم باسم "الإخوان المسلمين" في العراق، في الوقت الحاضر (حتى عام 2003). ولكن العراق عرف تنظيما باسم مشابه منذ أواخر الثلاثينات وحتى منتصف الخمسينات حسب أغلب المصادر. على أن المعلومات حول هذا الموضوع تكاد أن تكون نادرة.

جمعية الأخوة الإسلامية:

ويشير عبد الجبار الجبوري إلى أن الإخوان المسلمين أسسوا لهم فرعا في العراق في الثلاثينات من القرن العشرين، وأنشأوا مكتبة في بغداد باسم "الإخوان المسلمين" كان يتردد عليها بعض أعضاء الجماعة ومؤيديها. وفي عام 1949 حصلوا على إجازة من وزارة الداخلية بتأسيس جمعية الأخوة الإسلامية" التي استمرت في نشاطها حتى إلغائها بصدور مرسوم رقم 19 القاضي بحل الجمعيات والأحزاب السياسية في أيلول عام 1954. (الجبوري، 1977، ص199).

بينما يذكر الشيخ فليح السامرائي سكرتير الحزب الإسلامي العراقي أن بدايات العمل الإسلامي المنظم في العراق كانت في الأربعينات. ويضيف أن تأسيس حركة الإخوان المسلمين في العراق كان عام 1946. حين عاد الشيخ محمد محمود الصواف من مصر بعد أن استكمل دراسته في جامعة الأزهر، وعين مدرسا للعلوم الشرعية في كلية الشريعة بالأعظمية في بغداد. وفي تلك الكلية بدأت النواة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين. وفي عام 1946 تقدم عدد من العلماء والمحامين ورجال الفكر إلى الحكومة العراقية يطلب تأسيس جمعية باسم "الإخوان المسلمين" وكان بينهم الشيخ محمد محمود الصواف والشيخ أمجد الزهاوي، وعبد الرحيم خضر، والمحامي محمد سالم زيدان، والمحامي عبد القادر الجنابي، والمهندس عبد الغني شنداله وغيرهم كثير. ولكن الحكومة طلبت تغيير اسم الجمعية وأجازتها باسم جمعية الأخوة الإسلامية. وبدأت الجمعية بممارسة نشاطها فانتخب الشيخ الصواف مراقبا عاما للجمعية، وفتحت لها فروع عديدة. (العجلي، 2000، ص90-92).

أما الشيخ محمد محمود الصواف فله رواية أخرى لتلك الأحداث. فيذكر أنه خلال وجوده في مصر كان قد تعرف إلى الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين وأسهم في نشاطاتهم هناك. وحين عاد إلى العراق اختار العمل في التدريس على العمل بالقضاء، على الرغم من الفارق المادي بين الوظيفتين، لرغبته في العمل للدعوة الإسلامية بين الشباب. فعين مدرسا في كلية الشريعة عام 1946، ومن خلالها راح يتصل بالجمعيات الإسلامية التي كانت قائمة آنذاك. ويضيف الصواف: بعد اتصالي بالشيخ الزهاوي انطلقنا إلى العالم الإسلامي في كل ميدان، حيث قررنا إنشاء جمعية "الأخوة الإسلامية" التي هي "الإخوان المسلمون". (الصواف، 1987، ص109-110).

كان لجمعية "الأخوة الإسلامية" نظام أساسي، واجتماعات سنوية لأعضاء الهيئة التأسيسية في مطلع كل عام هجري، يجري فيها تدارس أوضاع الدعوة الإسلامية ومعوقاتهما، ثم تنتخب الهيئة المراقب العام وأعضاء مجلس الشورى واللجان الثقافية ولجنة الطلبة، وغيرها من اللجان، واستمر ذلك إلى أن حلت الجمعية، بموجب المرسوم رقم 19 القاضي بحل كل الجمعيات والأحزاب السياسية عام 1954. (خليل، 1984، ص276).

الحزب الإسلامي العراقي:

بعد انقلاب 14 تموز 1958 لجأ الإخوان المسلمون إلى العمل السري، واتخذوا موقفا معارضا من حكم عبد الكريم قاسم، بسبب فرديته وإطلاقه أيدي الشيوعيين في العمل دون الأحزاب الأخرى. وفي هذا يقول الصواف "إن الشيوعية سرقت الثورة وتبنتها بفكرها، فأفسدت ما أفسدت وهدمت ما هدمت". (الصواف، 1987، ص142).

وفي أوائل عام 1960 قررت الحكومة العراقية السماح بالعمل الحزبي العلني. فتقدمت عدة أحزاب ذات اتجاهات مختلفة بطلبات ترخيص إلى وزارة الداخلية منها الحزب الشيوعي العراقي بجناحيه، والحزب الوطني الديمقراطي، والحزب الديمقراطي الكردستاني، والحزب الجمهوري، والحزب الإسلامي العراقي، وحزب التحرير. وقد وافقت وزارة الداخلية على الترخيص لأربعة أحزاب هي: الحزب الشيوعي (جناح داوود الصايغ)، والحزب الوطني الديمقراطي، والحزب الديمقراطي (لكردستان العراق) والحزب الوطني التقدمي، أما الحزب الإسلامي العراقي وحزب التحرير فقد رفضت الوزارة طلبيهما، لأن مناهج الحزبين رجعية ولا تتوافق مع خط الثورة؛ ولأن مؤسسيها لا يؤمنون بالديموقراطية". (عليوي، 2001، ص178).

إلا أن الهيئة التأسيسية للحزب الإسلامي طعنت في قرار وزير الداخلية أمام محكمة التمييز التي رأت أن الرفض غير قانوني. وأن الحزب سجل على نفسه في مناهجه العمل بتعاليم الإسلام. "والإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولذلك فإنه يمكن إنشاء حزب على أساس الإسلام" وبذلك اتخذت المحكمة برئاسة القاضي شفيق العاني قرارا بإجازة الحزب، فباشر نشاطه. وفتح أول مركز له في الأعظمية. وفي أول اجتماع لأعضاء الحزب الذين قبلوا بموجب النظام الأساسي انتخب الحزب لجنته المركزية بالاقتراع السري. (العجلي، 2000، ص96-98).

وما لبثت الحكومة العراقية أن ضيقت الخناق على أعضاء الحزب وراحت تطاردتهم. وفي 17 تشرين الأول عام 1960 اعتقل الشيخ عبد الجليل إبراهيم، والشاعر وليد الأعظمي، وفاضل عز الدين القاضي، ونظام الدين عبد الحميد، من أعضاء اللجنة المركزية للحزب. وتم اغلاق مقر الحزب الإسلامي الكائن في منطقة الفاروق في 21 تشرين الأول 1960. ثم قرر الحاكم العسكري العام حل الحزب في 16 آذار 1961. (عليوي، 2001، ص179).

كان الحزب الإسلامي قد رفع شعار "الإسلام هو الحل لجميع مشاكل المجتمع". ودعا إلى إشاعة روح التسامح بين أبناء الوطن الواحد؛ لأن الإسلام هو البديل عن الأفكار الوافدة، ولا يجمع العرب والأكراد والقوميات الأخرى سواه. وقد شارك في هذا الحزب منذ تأسيسه أكراد وعرب وتركمان وشيعة وسنة وشيوخ عشائر ورجال فكر وعلماء دين. وبعد أن تولى حزب البعث العربي الاشتراكي الحكم في 17 تموز 1968؛ وقعت صدامات بين أنصار الحزب الإسلامي وقوى الأمن، واعتقل العشرات وحوكموا، وأعدم عدد من علماء الدين وضباط الجيش المنتمين سرا إلى الحزب الإسلامي، بينهم الشيخ عبد العزيز البدري وشقيقه، والمهندس عبد الغني شنداله، والزعيم محمد فرج الجاسم، والعميد المهندس عبد الستار العبوس. ولما اشتدت الحملة على الحزب غادرت مجموعة كبيرة من قياداته العراق سرا. وأوقف الحزب تنظيمه رسميا في 5 نيسان 1971، نظرا لأن التنظيم يعني التصفية، واكتفى أعضاء الحزب بالنشاط الدعوي. لكن الحزب أعاد تنظيم نفسه عام 1991، ولم يعد له علاقة بالداخل. (العجالي، 2000، ص 102-107).

3. 1. 3. الحزب السوري القومي الاجتماعي

دلت الدراسة على أن منطقة المشرق العربي شهدت بعد الحرب العالمية الأولى وحتى الحرب العالمية الثانية جملة من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أدت إلى ظهور عدد من الأحزاب القومية. وبينما شدد بعض هذه الأحزاب على الدعوة إلى وحدة عربية شاملة، كحزب عصبة العمل القومي بقيادة علي ناصر الدين وزكي الأرسوزي وجمال السيد، فإن أحزابا أخرى اقتصرت دعوتها على وحدة إقليمية كالحزب السوري القومي الاجتماعي الذي دعا إلى وحدة سورية الطبيعية أو الهلال السوري الخصيب. وعرفت هذه الدعوة بالقومية الإقليمية لكونها تهدف إلى وحدة أجزاء معينة من وطن الأمة. تأسس الحزب السوري القومي الاجتماعي عام 1932 على يد أنطون سعادة.

أنطون سعادة وتأسيس الحزب:

ولد أنطون خليل سعادة في بلدة الشوير (جبل لبنان) في 1 آذار 1904. ودرس في لبنان، ثم التحق بوالده في المهجر عام 1919 وانضم إليه يساعده في العمل في صحيفة سياسية. وفي عمر مبكر سأل سعادة نفسه، بعد أن شاهد هذا الواقع وشعر بما مني به الشعب السوري، هذا السؤال: ما الذي جلب على شعبي كل هذا الويل؟ ولم يطلب الإجابة من أجل المعرفة العلمية فقط، بل من أجل اكتشاف الوسيلة الفعالة لإزالة أسباب الخلل. ومن خلال دراسته العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتقدمة توصل سعادة إلى إجابات، تُعيّن الأمة، وتعزو سبب هذا الويل إلى "فقدان السيادة القومية". ووجد أن الحل يكمن في بعث نهضة سورية قومية اجتماعية، كما رأى أنه لا بد من إيجاد وسيلة لتأمين حماية النهضة السورية القومية الاجتماعية. ومن هنا نشأت فكرة تأسيس حزب سوري. (سيف، 1999، ص 160-165).

عام 1930 عاد أنطون سعادة إلى الوطن وبدأ العمل لتأسيس حزب جديد وجاء تأسيس الحزب في 16 تشرين الثاني عام 1932 من خمسة طلاب في الجامعة الأميركية في بيروت، حيث كان سعادة يدرّس فيها اللغة الألمانية. وكان الحزب سرياً، وأطلق عليه أولاً اسم "الحزب السوري القومي" وجعل سعادة نظام الحزب فردياً مركزياً تسلسلياً. وقد مارس سعادة التعليم لكي يكسب رزقه، وكتب سلسلة مقالات في الصحف الدمشقية "اليوم، القبس، ألف باء". وأتاح له التدريس ساحة واسعة للحوار الفكري مع الطلبة والوسط الثقافي. وفي عام 1935، بعد أن أصبح الحزب معروفاً لدى الأوساط الشبابية والثقافية، نظم سعادة "الاجتماع العام الأول" للحزب رغم سرية نشاطه. وألقى في هذا الاجتماع خطاباً مكتوباً قال فيه: إن الغاية من إنشاء الحزب هي جعل الأمة السورية صاحبة السيادة على نفسها ووطنها. وسرعان ما اكتشفت سلطات الانتداب الفرنسي أمر الحزب، فاعتقلت سعادة وعدداً من أعضاء الحزب في 16 تشرين الثاني 1935، بتهمة تشكيل جمعية سرية والإخلال بالأمن العام، والإضرار بأمن الدولة والعمل على تغيير نظام الحكم. (الحزب السوري القومي، 1971، ص 154).

وكان هذا الاعتقال، الذي استمر حتى 12 أيار 1936، هو الامتحان الأول "لمتانة الحزب بعد التأسيس. فظهرت خلال السجن، ومن ثم المحاكمات، ميزات شخصية سعادته، مفكرا وزعيما للنهضة. فقد أعلن لمعتقليه مسؤوليته الكاملة عن تأسيس الحزب شفوياً وخطياً. فأصدرت سلطات الانتداب قراراً بسجنه ستة أشهر، أكمل خلالها كتابة مؤلفه العلمي "نشوء الأمم" الذي نشر للمرة الأولى عام 1938. وقد أثار انكشاف الحزب مزيداً من التأييد في الأوساط الشعبية، ونشطت حركة الانتماء إلى صفوفه، مما دفع سلطات الانتداب والفئات الموالية لها إلى التشدد في محاربتة. (سيف، 1999، ص 176). وفي 14 تشرين الأول من عام 1937 أصدر الحزب جريدة "النهضة" التي استقطبت النخبة الثقافية الشابة، وكانت صفحاتها منبراً للحوار بين السوريين القوميين الاجتماعيين ومختلف الفئات الفكرية والسياسية والثقافية في لبنان وسورية. (عبد الله سعادته، 1970، ص 20).

ويذكر لبيب ناصيف^(*) أن سعادته قرر أن يشارك أعضاء الحزب في التصدي المسلح للاستعمار البريطاني على أرض فلسطين وفي رد الغزوة اليهودية المتصاعدة. وقد قدّم الحزب في ثورة العام 1936 شهيدين هما حسين البنا (من بلدة شارون)^(**) والقائد سعيد العاص. وللأخير سجل حافل بالنضال، فقد شارك في الثورة السورية عام 1925، ثم انضم إلى ثورة 1936 في فلسطين.

وفي عام 1938 غادر سعادته لبنان سرا إلى البرازيل، وأقام فترة تسع سنوات في المغتربات الأميركية، في حين كان الحزب في لبنان وسورية يعاني من حملات ملاحقة وقمع متوالية على يد سلطات الانتداب الفرنسي. وما لبث سعادته أن عاد إلى وطنه في عام 1947 ليتابع نشاطه الحزبي داعياً إلى قيام جبهة عربية تكون فيها الأمة السورية بكياناتها المختلفة: لبنان والشام والعراق والأردن وفلسطين. (النبالي، 2004، ص 11).

إعدام سعادته:

(*) مقالة منشورة على الإنترنت 2002، والمعلومات موجودة في كتاب: "سيرة شهداء الحزب - الخالدون - الجزء الأول".

(**) تقع في منطقة عالية في لبنان.

يعتبر إعلان الثورة ضد النظام اللبناني في تموز 1949 هو الحدث الأبرز في حياة سعادته والحزب السوري القومي الاجتماعي. ففي أواخر حزيران من ذلك العام، وقع حادث الجميزة الشهير، حين هاجم مسلحون من حزب الكتائب اللبناني مقر الحزب السوري القومي الاجتماعي وجريدته "الجيل الجديد" في منطقة الجميزة بالأشرفية. وفي الوقت نفسه شنت حكومة بشارة الخوري ورياض الصلح حملة اعتقالات ضد الحزب شملت جميع أعضائه في لبنان، إلا الذين تمكنوا من الفرار إلى سورية والخارج. ومنهم أنطون سعادته نفسه الذي تمكن من الوصول إلى دمشق، حيث التقى هناك رئيس الدولة السوري حسني الزعيم الذي رحب به ووعدته بالدعم. ومن هناك أعلن سعادته الثورة في الرابع من تموز، فعبرت ميليشيات الحزب، بقيادة عساف كرم، الحدود اللبنانية مع سورية وهاجمت مراكز الجيش اللبناني والدرك اللبناني وتبين للمهاجمين أن الحكومة اللبنانية كانت على علم مسبق بخططهم، وأنها أعدت للأمر عدته، مما أدى إلى محاصرة المهاجمين وفشل الثورة. وفي اليوم التالي لانطلاق الثورة وفشلها أُلقي القبض على أنطون سعادته لدى وصوله حسب موعد مسبق إلى القصر الجمهوري في دمشق، واقتيد أسيرا إلى بيروت في سيارة فريد شهاب مدير الأمن العام اللبناني آنذاك. وجرت محاكمة سريعة له، وعند الفجر نُفذ به حكم الإعدام، في 8 تموز 1949. (شراي، 2004، ص 10، 14، 19) و(النبالي، 2004، ص 28-30).

الحزب بعد سعادته:

أدى إعدام سعادته إلى ردود فعل واسعة في سورية ولبنان. فبعد عامين، في عام 1951 اغتيل رياض الصلح رئيس وزراء لبنان في عمان، بينما كان في طريقه إلى المطار عائدا إلى بيروت. واتهمت عناصر من الحزب السوري القومي باغتياله. (موسوعة السياسة، ج2، ص 867).

وكان إعدام سعادته من أسباب سقوط حكم حسني الزعيم في سورية. وحين تولى أديب الشيشكلي الحكم أبدى الحزب السوري القومي تعاطفا واسعا معه، وأيد مواقفه، حتى بدا كأنه الحزب الحاكم. لكن الحزب وضع نفسه منافسا للتيار القومي العربي وخصوصا لحزب البعث في سورية، وأدى الصراع بينهما إلى قيام أحد عناصر الحزب السوري القومي باغتيال العقيد عدنان المالكي أحد كبار الضباط المؤيدين للبعث؛ فانفتح العداء على مصراعيه لهذا الحزب في سورية، وجرت اعتقالات شاملة لقيادته ولأعضائه وحوكموا وأُعدِمَ بعضهم. (ذبيان، 1977، ص 301).

وخلال المرحلة من 1955-1961 كان الحزب قد شهد عملية انشقاق إلى مجموعتين إحداهما بقيادة جورج عبد المسيح الذي كان وراء خطة اغتيال المالكي^(*) بدمشق. وأسد الأشقر الذي سبق أن استقل بقيادة الحزب في مرحلة غياب أنطون سعادة في المهجر، وقد أبعد سعادته بعد عودته، لكنه عاد إلى الحزب أثر اغتيال زعيمه المؤسس واختط نهجا لبنانيا، قاد الحزب بموجه في مواجهة المد القومي العربي المتصاعد منذ عام 1952، فأيد حلف بغداد، ومشروع ايزنهاور والمخططات الاستعمارية والقوى الرجعية، ووقف إلى جانب كميل شمعون ضد الثورة الشعبية 1958، فأثرت هذه المواقف على نمو الحزب "لابتعاده عن المنطلقات النظرية لمؤسسه". وما لبث الحزب أن نقذ انقلاباً آخر فاشلاً في 1961 ضد الرئيس فؤاد شهاب، فاعتقلت معظم قياداته لفترة امتدت حتى عام 1968. (الموسوعة السياسية، 1981، ج2، ص309).

مع العام 1969، وتصاعد النشاط اليساري في لبنان، وبروز المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي، راهنت السلطة اللبنانية، في عهد شارل الحلو، على الحزب السوري القومي ومواقفه القديمة، فأفرجت عن المعتقلين، وأصدرت عفوا عاما عن حوالي مئتين من القوميين الاجتماعيين ليعودوا إلى ممارسة نشاطهم السياسي، في مواجهة القوى اليسارية والقومية. ولكن هذه الفرضية لم تنجح. فقد عقد الحزب مؤتمرا موسعا في فندق (ملكارت) في بيروت بين 29-31 كانون الأول (ديسمبر) 1969، لتقييم التجربة السابقة، وخصوصا المحاولة الانقلابية الفاشلة التي نفذها الحزب وحلفاؤه. وقرر إجراء محاكمات حزبية لتحديد المسؤولين عن فشل المحاولة والتفكير بالمستقبل. وأظهر المؤتمر وجود جناحين في الحزب: جناح إنعام رعد، وجناح إلياس جرجي قنيزح، غير أن الخلاف كان فكريا وتنظيميا -كما يقول بعض قادة الجناح الثاني- فقد ظهر أمران مهمان:

الأول: انعطاف فكري نحو الماركسية، دون تخذل عن الفكرة القومية السورية، ومحاولة الربط بين أفكار

سعادته مؤسس الحزب، وبين أفكار كارل ماركس.

الثاني: إجراء تغيير دستوري في كيفية انتخاب "المجلس الأعلى" للحزب، يتناقض مع أفكار سعادته ودستور

الحزب الذي وضعه الزعيم. (ذبيان، 1977، ص306).

(*) تشير أرملة انطون سعادة جوليت المير في مذكراتها إلى أن منعم دبوسي من قادة الحزب أكد لها أن اغتيال المالكي تم بتدبير جورج عبد المسيح ومعرفته. وذلك أثناء وجودها مع قادة الحزب في سجن المزة ومثولها أمام قاضي التحقيق العسكري. والمذكرات منشورة على موقع الحزب السوري القومي الاجتماعي على الانترنت.

واستمرت حالة من البلبلة والانقسام داخل الحزب تعمقت خلال الحرب اللبنانية بدءاً من العام 1975، كرسّت وجود جناحين منفصلين تماماً كل منهما يرى أنه "الحزب الشرعي". ففي هذه الحرب وقف جناح الحزب الذي يقوده إنعام رعد إلى جانب الحركة الوطنية وقواتها المشتركة مناوئاً "للكتائب" و"الأحرار" و"الجبهة اللبنانية" ومتعاطفاً مع النظام الحاكم في سورية. على أن هذا الانشقاق استمر ثلاث سنوات، وعادت إلى الحزب وحدته التنظيمية أواخر عام 1978. (شرورو، 1981، ص26).

كما شهدت الثمانينات والتسعينات عمليات انشاقية متعددة، ومن ثم عودة إلى التوحيد، ثم الانشقاق، وما يزال الأمر كذلك حتى فترة إعداد هذه الدراسة (*).

3. 1. 4. حزب البعث العربي الاشتراكي:

خلال الربع الأول من القرن العشرين كانت القومية العربية هي الأيديولوجيا المسيطرة في سورية. فأصبحت "هماً شامياً، وفكراً شامياً، في الدرجة الأولى، يسعى السياسيون إلى تحقيق أهدافها". (Dawn, 1973, Pp. 157-158).

وقد ظهرت أحزاب قومية عديدة في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين في المشرق العربي منها: عصبة العمل القومي، وحزب الاستقلال في سورية، وجماعة الأهالي في العراق وغيرها. وفي هذه الفترة نفسها أخذ الكتاب والمفكرون القوميون يكرّسون أقلامهم وكتابتهم للحديث عن القومية، والأمة، والقومية العربية والأمة العربية، ويذكرون مقوماتها ومكوناتها داعين إلى الوحدة ومقاومة الاستعمار ومخططاته. فظهرت كتابات لقسطنطين زريق، وعبد الله العليالي، وميشيل عفلق، وزكي الأرسوزي، وساطع الحصري ونبيه أمين فارس ونقولا زيادة وغيرهم.

(*) يمكن الرجوع إلى الوثيقة التالية في هذا الخصوص: (الحزب السوري القومي الاجتماعي: بيان الرئيس الدكتور أنطون أبي حيدر في 8 تموز 2004 وهي الذكرى السنوية لاغتيال سعادته، ص7-10).

في ظل تلك الظروف نشأ حزب البعث العربي الذي عقد مؤتمره التأسيسي الأول في 4-6 نيسان 1947 في دمشق. لكن قبل هذا التاريخ كانت مرحلة تكوين الحزب والتمهيد له، وحولها يختلف الباحثون والمؤرخون. إذ تتردّد عدة روايات عن مؤسسي الحزب، فهناك من يرى أن زكي الأرسوزي كان أول المؤسسين، وصاحب فكرة "البعث". وهناك من يقصر التأسيس على ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، ومن يضيف إليهما جلال السيد ووهيب الغانم. (العيسى، المعرفة، 113، 1971، ص23، 31، 41)

- حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية

كانت البدايات الأولى لنشوء حزب (البعث العربي) في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية التي دارت رحاها بين دول الحلفاء ودول المحور، وكان الوطن آنذاك يرزح تحت احتلال المعسكرين وكانت أرضه مسرحاً للمعارك بينهما. ومن هنا يمكن القول إن حزب البعث العربي، عندما أعلن أن المجموعة البشرية التي تسكن الوطن العربي إنما هي (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وعندما حدّد أهداف العرب في (الوحدة والحرية والاشتراكية) قد قام بدور "تاريخي" يتلخص في التالي:

1. كان استمراراً لحركة القومية العربية في نضالها ضد الحكم العثماني والاستعمار الغربي، وكان تلبية لحاجات الأمة العربية في تلك المرحلة التاريخية في تكوين حركة سياسية شعبية منظمة تناضل في سبيل تحقيق أهدافها.
2. كانت أهداف الحزب تمثل خلاصة تجارب الثورة العربية في المراحل السابقة، وتمثل في الوقت نفسه محاولة لتجاوز أخطائها.
3. كان أول حركة عربية في العصر الحديث استطاعت أن تتوصل بنتيجة استقرارها لتجارب الثورة العربية، إلى تركيز مبادئها الشاملة، في صيغة بسيطة واضحة: الوحدة والحرية والاشتراكية. (نضال البعث، ج1، ص4، 1976، ص9).

ويعيد جلال السيد ولادة الحزب الحقيقية إلى عام 1943 حين تولّت الكتلة الوطنية الحكم بعد الاستقلال في سورية. فأعلن ميشيل عفلق وصلاح البيطار في بيان أصدره "ولادة حزب البعث". كان المؤسسون أربعة هم: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد ومدحت البيطار. وقد سمو أنفسهم اللجنة التنفيذية للحزب. وأعلنوا المباشرة بالتنظيم وقبول المنتسبين. وكان سائر الحزبيين من طلاب الجامعة وتلاميذ الثانويات. وكان وجود السيدين عفلق والبيطار في التدريس هو سبب ذلك. (السيد، 1973، ص28-29).

كان استقلال سورية هو الهدف الذي تسعى إليه جماهير الشعب السوري في الأربعينات، وبهذا جاءت نشرة مكتب البعث العربي في 14 تشرين الثاني عام 1943: "لقد آن للسوريين أن يقنطوا من سياسات المفاوضات، ويكتشفوا خدعتها، ففرنسا تمّوه منذ خمسة عشر عاما وتنجح في شل الحركة القومية وإخماد جذوتها. وفرنسا لا تلجأ إليها إلا بغية كسب الوقت لتسديد الضربة في الوقت المناسب وتثبيت دعائم استعمارها المزرع". ثم أصدر المكتب نشرته التالية في 8 آذار 1944 وجاء فيها: "نحن لا نرى في الاستقلال والوحدة العربية غير اسمين لشيء واحد هو سيطرة الأمة العربية على مصيرها، بل إن الوحدة العربية ضمان لهذا الاستقلال". وفي 20 أيار 1945 أصدر الحزب بيانه الشهير حول تشكيل فرق "الجهاد الوطني" للدفاع عن الاستقلال السوري. (البعث العربي الاشتراكي، 1977، ص10-11).

وفي الرابع من نيسان 1947، افتتحت الجلسة الأولى للمؤتمر الأول لحزب البعث العربي، في مقهى الرشيد الصيفي في دمشق، بترديد شعار البعث: "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" من قبل الأعضاء جميعا. وبدأ المؤتمر بخطاب افتتاح ألقاه ميشيل عفلق واستعرض حركة البعث العربي من نشأتها الأولى في ظروف صعبة وقاسية إلى المرحلة الخطيرة التي هي فيها. (دندشلي، 1980، ص48).

وأقر المؤتمر البيان السياسي ودستور الحزب الذي ضم ثلاثة مبادئ أساسية وثمانية وأربعين مبدأ عاما صيغت في مواد تناولت سياسة الحزب الداخلية والخارجية وسياساته الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية. كما أقر المؤتمر نظاما داخليا للحزب. وانتخب لجنة تنفيذية من ميشيل عفلق وصلاح البيطار ووهيب الغانم وجلال السيد. وانتخب المؤتمر عفلق بالإجماع عميدا للحزب، في حين عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا منفصلا وانتخبت صلاح البيطار أمينا عاما للحزب. (نضال البعث، ج1، ص4، 1976، ص156-157).

عند انعقاد المؤتمر التأسيسي لحزب البعث لم يكن للحزب أي فرع أو امتداد خارج سورية، ما عدا بعض الأشخاص الذين سافروا إلى لبنان، وشكلوا مجموعة صغيرة في الجامعة الأميركية ببيروت لاحقاً نواة فرع الحزب في لبنان كما انتقلت أفكار الحزب إلى الأردن والعراق عن طريق الطلاب الذين درسوا في دمشق، أو الطلبة السوريين من أبناء لواء اسكندرون الذين انتقلوا إلى بغداد للدراسة فيها ومنهم فايز إسماعيل، وسليمان العيسى وإسماعيل أدهم وسواهم. (السامرائي، 1980، ص70).

مرحلة ما بعد التأسيس:

تلت المؤتمر التأسيسي لحزب البعث مرحلة جديدة. ففي عام 1948 قاد عفلق والبيطار فرق متطوعي حزب البعث لنصرة فلسطين والدفاع عنها. وفي عام 1949 وقع أول انقلاب عسكري في سورية قاده حسني الزعيم ضد نظام حكم الجبهة الوطنية برئاسة شكري القوتلي. وأيد البعث نظام الحكم الجديد في البداية، باعتباره تعبيراً عن رغبات الشعب بعد نكبة فلسطين، غير أنه ما لبث أن وقف ضده بعد أن انكشفت ممارساته غير الديمقراطية. فعارض الحزب القيود التي فرضها الزعيم على حرية الصحافة. وحذره في مذكرة قدمها إليه يوم 24 أيار 1949 من الوقوع في أخطاء الحكومات السابقة، ومن سياسة المحاور مع الدول العربية. وانتقد ارتباطاته بجهات خارجية من خلال توقيع اتفاقية التابلاين، واتفاقيات أخرى مع شركات انجلو-إيرانية، وأميركية وفرنسية. و"أكدت تجربة حسني الزعيم بأن الانقلابات العسكرية التي لا تستند إلى تنظيم سياسي شعبي ولا تلبى المطالب الشعبية، تتجه في الغالب إلى الفردية الديكتاتورية" (العيسمي، 1986، ص67).

وكان رد الزعيم عنيفاً فأمر باعتقال عفلق وقيادة الحزب والعديد من أعضائه، وتعرضوا في فترة السجن للتعذيب والمعاملة القاسية. واتخذت الحكومة السورية قراراً بحل جميع الأحزاب السياسية حتى إعلان الدستور الجديد. ولم يخرج عفلق والبعثيون من السجن إلا بعد أن وجه عميد البعث رسالة استعطف واسترحام واعتذار إلى حسني الزعيم. وكان لتلك الرسالة وقع عنيف في صفوف البعثيين، فطالب المتشددون منهم بفصل عفلق من الحزب، ولكن الأكثرية كانت مدركة لطبيعة الظروف التي أملت على عفلق كتابة رسالته فقررت تجاوزها. ويرى جلال السيد، وهو من قادة الحزب، آنذاك، أن تلك الرسالة كانت تمثل "ضعفاً في المناعة، وقلة في المقاومة. وليس فيها خيانة ولا تأمر ولا عمالة تستوجب فصل زعيم الحزب". (السيد، 1973، ص62-66).

وكان حسني الزعيم قد عيّن اللواء سامي الحناوي رئيساً لأركان الجيش السوري، فانقلب عليه، بالاتفاق مع الحكومة الملكية في العراق. ودعا الحناوي إلى ابتعاد الجيش عن السياسة. وطلب من هاشم الأتاسي تشكيل حكومة إئتلافية من الأحزاب نال فيها "حزب الشعب" نصيب الأسد. لكن "البعث" تولى وزارة التربية بشخص عميده ميشيل عفلق. وعادت جريدة "البعث" إلى الظهور في 15 أيلول 1949. كما عادت مكاتب الحزب إلى العمل العلني. وكانت أغلبية الحكومة ميالة إلى الوحدة مع العراق باستثناء عفلق من حزب البعث وأكرم الحوراني من حزب "الشباب" (في حينه) لميلهما إلى الجمهورية والاشتراكية ورفضهما ارتباط العراق بمعاهدة مع بريطانيا. (سيل، 1968، ص104-107).

وقد شارك الحزب في الانتخابات النيابية التي طرح فيها أهدافه وأفكاره السياسية. إذ فاز مرشحه جلال السيد، في حين انضم إلى الحزب مرشح آخر بعد قليل من إعلان فوزه هو عبد العزيز حرويل. لكن الانتخابات كانت وسيلة للاتصال بالشعب وطرح شعارات الحزب وكان الحزب قد اشترك في الحكم، بعد الانقلاب مباشرة رغبة في إعادة الاستقرار. وما كاد هذا الاستقرار يتوفر بعض الشيء، بإجراء الانتخابات، حتى قَدّم ميشيل عفلق استقالته من الحكومة في 17 تشرين الثاني 1949. وانسحب الحزب من الحكم الانتقالي. (نضال البعث، ج2، 1976، ص11-12).

قام العقيد أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري في التاسع عشر من كانون الأول 1949. وأنهى بذلك عهد اللواء الحناوي الذي لم يدم أكثر من أربعة أشهر. وشهدت فترة حكمه اضطرابات سياسية واسعة. وجرى تشكيل عدة حكومات. وتركزت الخلافات حول الدستور، والعلاقة مع العراق، والتدخل الأجنبي في الشؤون السورية الداخلية. وفي هذه الفترة عقد مجلس حزب البعث العربي في السادس والسابع والثامن والتاسع من نيسان دورته الأولى لعام 1950 في دمشق. واستمع إلى بيان من عميد الحزب ميشيل عفلق عن سياسة الحزب وأعماله. وأقر نظاماً داخلياً جديداً. جعل العميد هو الموجه الأول للحزب والمنفذ لسياسته التي يرسمها المجلس. ثم أعيد انتخاب عفلق عميداً للحزب. كما بحث المجلس إنشاء مطبعة ومدرسة خاصتين بالحزب، واتخذ المجلس قرارات منها:

1. البعث العربي يقف ضد المعسكرين الإنكليزي والأميري، ويناضل ضد جميع المحاولات الاستعمارية في الشرق الأوسط.

2. البعث العربي: حرية واشتراكية ووحدة. وهذه الهوية يجب أن تبدو قوتها ونقاوتها للحزبيين ولجميع أفراد الشعب في البلدان العربية. (نضال البعث، ج2، 1976، ص57-58).

وكان الصراع مع الشيشكلي قد قارب بين حزب البعث (بزعامة عفلق) والحزب العربي الاشتراكي (بزعامة أكرم الحوراني). وأدى تعاون الحزبين إلى اندماجهما في تنظيم واحد باسم "حزب البعث العربي الاشتراكي" في 13 تشرين الثاني 1952. (السيد، 1973، ص94).

خاض حزب البعث العربي الاشتراكي نضالا عنيفا ضد استبداد الشيشكلي وطائفية حكمه، وشكل جبهة معارضة أدت إلى إسقاطه بالتعاون مع الجيش. وما أن انتهى عهد الشيشكلي حتى عاد الحزب إلى نشاطاته العلنية، واستأنفت جريدة "البعث" الصدور في 8 نيسان 1954. وعقد الحزب مهرجانا شعبيا أكد ميشيل عفلق فيه عهده لتحرير المواطنين من الظلم، وإقامة حكم ديموقراطي شعبي يعمل لاستكمال تحرير العرب. (نضال البعث، ج2، ص240-242).

دخلت سورية مرحلة جديدة في الفترة من 1954-1958، تميزت بأربعة أحداث سياسية أثرت بعمق على الأوضاع في المشرق العربي، وعلى مواقف الحركات السياسية العاملة فيه لدرجة أن جميع التحالفات والاتفاقات السابقة قد نسفت أو عدلت لتحل محلها تحالفات جديدة: الحدث الأول هو حلف بغداد. والحدث الثاني هو صفقة الأسلحة التشيكية التي حصلت عليها مصر بعد سورية بسنة. والحدث الثالث هو تأمين قناة السويس والغزو الثلاثي لمصر. والحدث الرابع قيام الوحدة بين سورية ومصر.

كان موقف حزب البعث من نظام عبد الناصر في مصر حتى آذار 1955 موقفا سلبيا ومعاديا لأسباب منها ارتباطات النظام المصري مع بعض الأنظمة الديكتاتورية في الأقطار العربية وبينها نظام الشيشكلي. إلا أن قيام حلف بغداد والأخطار التي ترتبت عليه إقليميا أدخل عنصرا جديدا أساسيا في تغيير السياسة العربية. فأصبحت محاربة هذا الحلف المحرك الأساسي لسياسة حزب البعث العربي لاشتراكي القومية. وهنا كان أول لقاء بين البعث وعبد الناصر وبداية العلاقة الإيجابية بينهما. فصدر البيان المشترك بين مصر وسورية في آذار عام 1955، ثم مشروع الميثاق العربي بين مصر وسورية والسعودية، والمواثيق العسكرية الثنائية بين مصر وكل من سورية والسعودية. وصدر عام 1956 الدستور المصري الذي أكد على عروبة مصر مما زاد من فرص التقارب بين الحزب ونظام الحكم في مصر، إلى جانب خطوات مصر باتجاه المشاركة في مؤتمر باندونغ وإنشاء مجموعة دول عدم الانحياز، وتبني سياسة عربية تحررية. كل هذا جعل حزب البعث يطرح شعار النضال من أجل الاتحاد بين مصر وسورية، ويتحدث عن نتائجه الإيجابية للنضال العربي الوحدوي والتحرري. (نضال البعث، ج3، 1976، ص6).

شارك البعث في الحكومات السورية التي تولت الحكم منذ أيار 1956 من خلال جبهة التجمع القومي التي ضمت البعث إلى جانب الحزب الوطني وحزب الشعب. وكان البعث فيها عصب الحكم حيث تولى صلاح البيطار وزارة الخارجية. وكانت سورية تعاني من فوضى سياسية، وتدخل العسكريين في السياسة. ومنذ مهرجان الجلاء الذي أقامه الحزب في سنة 1956 طرح مشروع الوحدة بين سورية ومصر. وكانت مقالات تهديدية قد ظهرت في صحيفة البعث بعضها بتوقيع ميشيل عفلق، تطالب بالوحدة مع مصر. ووافق المجلس النيابي السوري على إجراء مباحثات لهذا الغرض مع القيادة المصرية، وتوجت باتفاقية الوحدة الاندماجية في شباط 1958. وكان حل الأحزاب في سورية من شروط هذه الوحدة، فوافق البعث على حل تنظيمه في سورية على أن تبقى فروعه في الأقطار العربية الأخرى. وفي أول شباط 1958 اجتمع مؤتمر قطري للبعث عرضت فيه القيادة قرارها بحل المنظمة الحزبية في سورية فوافق بالإجماع. (المصدر نفسه، ص 133، 149، 170-177).

وانعقد المؤتمر القومي الثالث لحزب البعث سرا في الفترة الواقعة بين 27 آب وأول أيلول 1959 في بيروت. وحضره ممثلون عن منظمات الحزب في العراق ولبنان والأردن والجزيرة العربية والخليج والجنوب العربي والمغرب العربي ومنظمات أبناء فلسطين ومنظمات الطلبة الحزبيين في الجامعات العربية والأجنبية. واتخذ المؤتمر قرارات مهمة تتعلق بتدعيم وحدة الحزب القومية وتطهير أجهزته، ورفع مستواه التنظيمي وفعاليته النضالية. كما قرر العمل على توضيح اتجاه الحزب الفكري، والإفادة من تجربته النضالية في تعميق وتطوير عقيدته ونظرية عمله، وأقر استراتيجية جديدة للعمل الشعبي. كما قرر توسيع تعاون الحزب مع قيادة الجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص ومع قيادة الثورة الجزائرية والحركات الشعبية الأخرى في الوطن العربي بوجه عام. (البعث العربي الاشتراكي، 1977، ص 48).

ويشير بهجت أبو غربية إلى أن المؤتمر كشف عن وجود تيارين الأول بعثي، والثاني ناصري وأن الخلاف بينهما كان حول استمرار الوحدة والعلاقة مع نظام عبد الناصر. فقد حمل الوفد الحزبي الأردني بقيادة عبد الله الريماوي لواء الدفاع عن عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة، رافضا كل نقد يوجد إليهما واعترض على وجود ميشيل عفلق في المؤتمر، وعلى صفته "أمين عام الحزب" بعد أن حل الحزب نفسه في سورية، معتبرا وجوده تحديا صارخا للجمهورية العربية المتحدة. واتهم هؤلاء عفلق بعقد المؤتمر القومي تمهيدا لإعادة تنظيم الحزب في سورية، وبالتالي التصادم مع قيادة عبد الناصر.

ولكن هذا التيار لم يجد قبولا في المؤتمر الأمر الذي اضطرهم إلى الانسحاب، بعد أن ألقى بهجت أبو غربية عضو القيادة القطرية في الأردن بيانا باسم هؤلاء حذر فيه من إعادة تنظيم الحزب في الإقليم الشمالي والهجوم على الجمهورية العربية المتحدة. (أبو غربية، مقابلة خاصة، 2004) وانظر (دندشلي، 1980، ص 231-232).

وفي ختام أعمال المؤتمر تشكلت قيادة قومية جديدة من عشرة أعضاء على رأسها ميشيل عفلق، وضمت: منيف الرزاز^(*)، فؤاد الركابي، طالب شبيب، غسان شرارة، مدحت جمعه، عبد الوهاب شميطي، خالد يشريطي، مجيد جشي وعلي جابر. وأكد المؤتمر على حلّ الحزب في الجمهورية العربية المتحدة الذي اتخذته القيادة السابقة، في محاولة لتلافي أزمة مع نظام عبد الناصر. كما اتخذ المؤتمر قرارا بفصل الريماوي ومجموعته من الحزب^(**). (نضال البعث، 1976، ج 4، ص 69-86).

وتوالت الأحداث بسرعة، واستمر تدهور العلاقات بين البعث وقيادة الجمهورية العربية المتحدة، ثم استقال الوزراء البعثيون من حكومة الجمهورية العربية المتحدة في كانون الأول 1959، ليكون ذلك نهاية لعلاقة البعث بالنظام الناصري، حيث اشتدت الحملات الإعلامية المتبادلة بين الجانبين وحملت نشرات حزب البعث - القيادة القومية منذ آذار 1960 موقفا جديدا من الجمهورية المتحدة، كان مؤشرا واضحا على قبول الحزب بالتحويلات التي أدت إلى الانفصال في 28 أيلول 1961^(*).

(*) كان الرزاز ما يزال في سجن الجفر في الأردن، ولم يتمكن من حضور المؤتمر، وانتخب غبايبا وكان الوحيد في القيادة الأردنية للحزب المؤيد للقيادة القومية.

(**) شكلوا فيما بعد تنظيما باسم "حزب البعث العربي الاشتراكي - القيادة الثورية" عرف باسم جماعة الريماوي ولكنه لم يعمر طويلا وعاد كثيرون منه إلى الحزب الأصلي. (أبو غربية، مقابلة خاصة)

(*) أنظر: "موقفنا من الجمهورية العربية المتحدة"، نشرة داخلية للأعضاء فقط، القيادة القومية (آذار 1960).

ووجد الحزب نفسه من جديد مع أيار مايو 1962 يعقد مؤتمره القومي الخامس في حمص ليواجه حكم الانفصال العسكري في سورية، وليتابع خط سيره القومي الوحدوي، وفي 22 أيلول 1962 ظهر في "البعث" مقال انتهت به آخر علاقة لأكرم الحوراني بالحزب، فزاد التقارب مع الوجوديين. (الجندي، 1969، ص104) وتمتاز هذه المرحلة بالتركيز على وجود "البعث" داخل الجيش، وعلاقاته مع كبار الضباط، وهي مرحلة أخذ فيها العسكر دورا رئيسيا، وخصوصا بعد أن فك عبد الكريم قاسم في العراق تحالفه مع القوميون والبعثيين وأقام حكما عسكريا فرديا متعاطفا مع الشيوعيين. وراح الحزب يسعى إلى الوصول إلى الحكم عن طريق الجيش الأمر الذي أوصله إلى السلطة في العراق وسورية في انقلابين متتاليين في 8 شباط، و 8 آذار من عام 1963. وبذلك دخل الحزب مرحلة جديدة من تاريخه طارحا نفسه "بديلا لحكم الانفصال في سورية، وللحكم الفردي في العراق" (ذبيان، 1977، ص195-196).

وكان من أهم التطورات القومية التي نتجت عن قيام "الثورتين" في سورية والعراق توقيع ميثاق 17 نيسان 1963 الذي أخذ البعث فيه زمام المبادرة ونجح في رسم الطريق لوحدة ثلاثية بين العراق وسورية والجمهورية العربية المتحدة إلا أن هذا الميثاق لم يلبث أن فشل. (نضال البعث، 1976، ج2، ص156). وخلال المرحلة الأولى من حكم الحزب عصفت به التناقضات الفكرية والسياسة والشخصية وانقسم إلى جناحين: يميني ويساري، وإلى فئتين: حزب مدني وآخر عسكري، وإلى توجهين: قطري وقومي. وهذا ما جرّ سلسلة من الانقلابات الداخلية تحت ذرائع متباينة.

المؤتمر القومي السادس والمنطلقات الفكرية:

انعقد المؤتمر القومي السادس للحزب في 5 تشرين الأول (أكتوبر) 1963 ليرسخ مفاهيم واضحة لمسار الثورة وصيغة محددة لرسم هذا المسار. أما أبرز ما تميز به المؤتمر فهو صدور بعض المنطلقات النظرية للحزب. وتؤكد هذه المنطلقات على أن أيديولوجية الحزب علمية ثورية، تقوم على المنطق الجدلي ونقد الواقع، وتقر بصراع الطبقات وترفض الآراء الإصلاحية الانتهازية، وتعتمد الثورة الشاملة. وفي هذا الصدد يتمسك الحزب باعتبار الوحدة العربية الإطار العملي للقومية العربية وهي ضرورة أساسية لمجابهة الأخطار الجديدة، وهي أساس لا بد منه لإقامة مجتمع اشتراكي عصري. ولهذا فإن المضمون الشعبي للوحدة يوجب تطبيق اللامركزية في الحكم باعتبارها "ضرورة ديموقراطية". (حزب البعث، بعض المنطلقات النظرية، ص30-32، ص35-40).

وقد تعرض الحزب خلال هذه الفترة إلى هزات عنيفة إذ جرت محاولتان انقلابيتان على حكم الحزب في

سورية والعراق، فشلت في الأولى ونجحت في الثانية، حيث وقع الانقلاب الذي قاده عبد السلام عارف ضد حلفائه من القوميين والبعثيين في العراق، في 18 تشرين الثاني 1963. فأصبح الحزب بتنظيماته وتشكيلاته كافة تحت طائلة التصفيات الشرسة للقضاء عليه ماديا ومعنويا. وفي هذا الجو المتوتر المشحون بأسباب القلق والترقب عقد الحزب مؤتمره القومي السابع في حزيران 1964 حيث ناقش المشاكل التنظيمية الجديدة التي واجهتها فروعها في معظم الأقطار العربية، كما عالج ظروف ما سماه "ردة تشرين الأول" في العراق، وأصدر قرارات ساعدت على تعزيز صموده وتماسكه في تلك الظروف المعقدة. (البعث العربي الاشتراكي، 1977، ص58-59).

المؤتمران القوميان السابع والثامن:

عقد الحزب مؤتمره القومي السابع في حزيران 1964 فناقش المشاكل التنظيمية الجديدة التي واجهتها فروع الحزب في معظم أقطار الوطن العربي، كما عالج الظروف الناشئة عن نكسة حكم الحزب في 18 تشرين الثاني 1963، في العراق، واتخذ قرارات كان ذات أثر في صمود الحزب، وتماسكه في ظروف كانت بالغة التعقيد. وفي هذا المؤتمر أقصي جناح اليسار بتحالف جناحي اليمين والوسط. وعلى أثر ذلك انشق اليسار عن الحزب وكون "حزب البعث العربي الاشتراكي اليساري" ثم تخلى نهائيا عن هذا الاسم ليصبح "حزب العمال الثوري العربي" معتبرا أن كلمة "بعث" كلمة غير اشتراكية مدلولها غير ثوري ومعانيها محافظة" (ياسين، 2000، ص290). كما عقد الحزب مؤتمره الثامن في دمشق في نيسان 1965. وبحث القضايا التنظيمية وقد أقر التوجه الاقتصادي الجديد في سورية بعد مراسيم رمضان الاشتراكية التي أسست القطاع العام الصناعي. ووافق على تأسيس قطاع المصارف وقطاع التجارة الخارجية. بينما أكد الالتزام الثابت بإزاء تحرير فلسطين، والتمسك بسياسة عدم الانحياز وتوضيحها. وانتخب المؤتمر قيادة قومية جديدة حيث تولى د. منيف الرزاز منصب الأمين العام، وضمت القيادة 13 عضوا بينهم ستة من سورية وثلاثة من العراق وثلاثة من لبنان، وواحد من كل من السعودية وتونس. وقد حدد المنهاج الحزبي مفهوم الحزب الثوري وصيغة علاقاته بال جماهير والمنظمات الشعبية باعتباره فئة من الشعب.

كما حدد دور الحزب بعد استلامه السلطة واعتبر أن وظيفته الأساسية في هذه المرحلة هي "التخطيط لتبديل علاقات التخلف الاستغلالي إلى علاقات التقدم الاشتراكي، وأن ينطلق الحزب أولاً من الثقة المطلقة بال جماهير والانفتاح عليها. واعتبر المؤتمر أن المرحلة الأولى من الثورة هي مرحلة التثبيت وترسيخ الاتجاه الثوري، وحذر من العزلة والتفوق معتبراً أن الاستيلاء على السلطة ليس إلا وسيلة لتحقيق أهداف الحزب لا غاية تطلب لذاتها. (البعث العربي الاشتراكي، 1977، ص 59-60).

وشهد الحزب أزمة جديدة خلال عامي 1965 و1966 وتصاعد الصراع بين الجناحين المدني والعسكري والتيار القطري والقومي داخل الحزب. وحسمت هذه الأزمة بإعلان حركة 23 شباط 1966 التي قامت بها عناصر القيادتين القومية والقطرية السورية مدعومة ببعض كبار الضباط ومن بينهم: صلاح جديد، محمد عمران، حافظ الأسد، ونور الدين الأتاسي ويوسف زعين. وبذلك خرج أعضاء القيادة القومية وعلى رأسهم ميشيل عفلق ومنيف الرزاز وشبلي العيسمي وإلياس فرح من الحكم وغادروا إلى بيروت، وانقسم الحزب إلى جناح حاكم في دمشق، وآخر خارج الحكم يقيم قاداته في بيروت.

المؤتمر القومي التاسع وأزمة البعث:

عقد المؤتمر القومي التاسع في دمشق في الفترة من 25-29 أيلول 1966. وكان أول مؤتمر قومي "منتخب" يعقد في ظل حكم حركة 23 شباط 1966. ودعا إلى إحلال (الرابطة القومية الطبقية) مكان جميع (الروابط الإقليمية والطائفية والعشائرية في الوطن العربي). وأشار إلى أن صورة الحزب الثوري لا تتحقق إلا بتواجد ثلاثة أبعاد متداخلة: نظرية ثورية، وأداة ثورية، وأسلوب ثوري. وبين التقرير أن أسباب أزمة الحزب الفكرية تعود إلى ما يلي:

1. الغموض النظري في مفاهيم الوحدة والحرية والاشتراكية الكامن في عدم وضوح كيفية تحقيق الوحدة وإطارها ومفهوم الحرية وماهية الاشتراكية وسيطرة "المثالية الغيبية".
2. القصور النظري: إن تحسس الحزب ومعاناته لتلك الأمور، وخاصة في مراحل تطوره الأخيرة جعله يحكم على فكره بالقصور النظري عن تلبية متطلبات المرحلة.

أما أسباب أزمة البعث التنظيمية فيعزوها التقرير إلى عدم وضوح النظرية التنظيمية وغياب المهمات الأساسية للتنظيمات (فالحزب الذي تأسس عام 1947 بقي دون نظام داخلي حتى عام 1954) و"لم يطبق النظام الداخلي إلا في السنوات الأخيرة". وأما أسباب أزمة الحزب في التطبيق (الأسلوب) فتعود إلى:

1. تجاهل القوة الكامنة في الجماهير الكادحة.
2. تجاهل طبيعة المعركة الحتمية مع أعداء النظرية حيث اعتمد الحزب على البرلمانية ولم يعمل على إنجاز "الثورة الشعبية".
3. ضعف المبادرة، والتخلف عن تفسير الأحداث والتناقض في المواقف.
4. اللجوء إلى الحلول الوسطية والتوفيقية.

وفي ختام أعماله قرر المؤتمر ما يلي:

- تأييد حركة 23 شباط 1966 وإدانة العقلية اليمينية المتسلطة على الحزب
- تأكيد الحرص على صيانة النظام الداخلي للحزب ومقررات مؤتمراته القومية وبعض منطلقاته النظرية من كل تعد وتزييف.
- إدانة مؤامرة 8 أيلول.
- التأكيد على هدف الوحدة العربية.
- التأكيد على لقاء القوى التقدمية في الوطن العربي.
- إقرار واجب تطبيق الديمقراطية المركزية ضمن الحزب.
- اعتبار القضية الفلسطينية المحور الأساسي في السياسة الداخلية والعربية والدولية.
- التأكيد على وضع البترول في خدمة الشعب العربي كله.
- وقد أنتخب المؤتمر قيادة قومية جديدة تتألف من: الأمين العام من سورية، وستة أعضاء من سورية، واثنين من لبنان، ثلاثة من الأردن، وواحد من اليمن. (حزب البعث، مقررات المؤتمر القومي التاسع، 1966).

المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي:

أما المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي فقد عقد في دمشق في أوائل أيلول 1967، وجاء بعد ثلاثة شهور من عدوان حزيران، وأكد المؤتمر على المنطلقات الأساسية في استراتيجية الحزب التي أقرها المؤتمر التاسع. ومن مقرراته:

- اعتماد الكفاح المسلح كأساس في إزالة آثار العدوان.
- استمرار النضال السياسي بشكل يخدم الكفاح المسلح.
- التأكيد على إعادة بناء الجيش العربي السوري وتحديثه.
- تجنب المعارك الجانبية مع القوى التقدمية واتباع أساليب النقاش العلمي والموضوعي معها.
- ضرورة الوحدة العربية في إطارها ومستواها الممكنين.
- وضع استراتيجية التحالف مع مصر وقوى التقدم والتحرر في العالم.
- انتخاب قيادة قومية جديدة. (حزب البعث، بيان عن أعمال المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي، 1967).

أما المؤتمر القومي العاشر فقد عقد في دمشق في أواخر أيلول 1968 وأكد على اعتماد الكفاح المسلح أسلوباً وحيداً لتحرير الأرض ودعا إلى استمرار النضال السياسي بما يخدم الكفاح المسلح. وطالب بالسعي إلى إقامة صيغة متقدمة لدفع شعار الوحدة نحو التحقق والتنسيق الجدي في جميع المحاولات مع الدول "التقدمية". وقرر المؤتمر تعديل بعض مواد النظام الداخلي للحزب ودعا إلى خلق المناخ الملائم لنمو التنظيم الحزبي وتطويره في جميع المنظمات وانتخب المؤتمر قيادة قومية جديدة من 17 عضواً: الأمين العام من سورية، و5 أعضاء من سورية، واثنان من لبنان، وأربعة من الأردن، وأربعة من العراق. (حزب البعث، أعمال المؤتمر القومي العاشر، 1968).

وعقد المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي في دمشق في الفترة من 10/30 إلى 12/11/1970 وقد ناقش المؤتمر أزمة الحزب بشكل مفصل، وانتهى المؤتمر إلى خلافات حادة بين جناحي صلاح جديد وحافظ الأسد، وسارع الأسد إلى القيام بانقلاب عسكري سمّاه الحركة التصحيحية في 16 تشرين الثاني 1970 تولى بموجبه السلطة وأمر باعتقال جميع أعضاء القيادة القطرية والقومية من أعضاء المؤتمر الذين رفضوا الانقلاب وطالبوا بالاحتكام إلى المؤسسات الحزبية. وبذلك دخل الحزب ودخلت سورية مرحلة جديدة اتسمت بالحكم الفردي، وتشديد قبضة العسكر على السلطة. وقد انتخب الأسد أميناً عاماً للحزب، ورئيساً للجمهورية عدة مرات حتى وفاته.

وعلى صعيد المؤتمرات القطرية في سورية عقد الحزب تسعة مؤتمرات قطرية، وقد عقد المؤتمر القطري الأول بتاريخ 1963/9/5، وعقد المؤتمر القطري التاسع في 2000/6/17 في غياب الرئيس حافظ الأسد، وبعد تولي نجله الدكتور بشار الأسد رئاسة الجمهورية والأمانة العامة للحزب.

- حزب البعث في الأردن وفلسطين

دلت الدراسة على أن نشوء حزب البعث في الأردن وفلسطين قد ارتبط بنشاطات الطلبة الأردنيين والفلسطينيين الذين درسوا في دمشق في النصف الثاني من الأربعينات، وتخرجهم من جامعة دمشق (الجامعة السورية آنذاك). حيث انضم بعضهم إلى تنظيم حزب البعث في سورية، ونقلوا أفكاره وبشروا بمبادئه عند عودتهم إلى الأردن وفلسطين.

ويشير بهجت أبو غربية إلى أن أبرز التشكيلات الأولى لحزب البعث في الأردن وفلسطين هم أمين شقير وحمدي الساكت وعبد الرحمن شقير وسليمان الحديدي وراضي الشخشير. ويضيف أن هؤلاء جميعاً كانوا من طلاب جامعة دمشق في أواخر الأربعينات. وقد حضر أمين شقير المؤتمر التأسيسي للحزب عام 1947. ويذكر أن عدداً من قادة البعث ومنهم ميشيل عفلق ومأمون البيطار وأكرم الحوراني شاركوا في حرب 1948 في فلسطين مع جيش الإنقاذ، واجروا اتصالات مع شخصيات فلسطينية عديدة ووزعوا عليهم دستور الحزب.

وكان من هؤلاء عبد الله الريمائي وعبد الله نعواس. وكنت حينها في مرحلة تفكير وقد كتبت عدة مقالات بعنوان: "أنا تائه" .. بمعنى ما العمل؟ لذلك كان عندي استعدادا لتقبل أفكار الحزب، وبعد اطلاعي على دستور الحزب ونشراته كنت أول من انتمى إلى الحزب في فلسطين رسمياً. وقد تأخر انتساب عبد الله الريمائي وآخرين، لأنهم كانوا يسعون إلى تشكيل حزب سياسي أردني يقوم على أفكار حزب البعث، وأعطوه اسم "البعث الأردني". وعندما علمت القيادة القومية في دمشق بهذا الحدث أصدرت تصريحاً صحفياً نشر في الصحف الأردنية نفت فيه أن يكون لحزب البعث العربي في دمشق أية علاقة بحزب البعث الأردني". غير أن الاتصالات بهم استمرت حتى وافقوا على الانتساب وانضموا إلى الحزب في أوائل عام 1950. وفي عام 1951 عقد الحزب مؤتمره القطري الأول في الأردن وانتخب عبد الله الريمائي أميناً قطرياً، وأمين شقير، وسليمان الحديدي وعبد الله نعواس، وعبد الرحمن شقير وبهجت أبو غربية وحسني الخفش أعضاء في القيادة القطرية. وكان العمل سرياً. وقد حضرنا في العام نفسه (1951) مؤتمراً لحزب البعث في اللاذقية، وكنت مع أمين شقير عضوين مراقبين فيه. وقد زادني هذا المؤتمر إيماناً بالحزب والوحدة وتحرير فلسطين لما وجدته من حماس لدى العديد من الشباب العربي الذين شاركوا في المؤتمر. (أبو غربية، مقابلة خاصة، 2004).

ويذكر أبو غربية أن المؤتمر القطري الأردني الأول ناقش قضية إنهاء النفوذ الأجنبي في الأردن، وإسقاط المعاهدة الأردنية - البريطانية، وتحرير الجيش من القيادة الأجنبية، والاستغناء عن المعونة الأجنبية، والاستعاضة عنها بمعونة عربية.

كان الحزب في مراحل التأسيسية الأولى سرياً، ولكنه شارك في المؤتمرات القومية التي كانت تعقد في سورية آنذاك. وعندما تقدم أعضاء القيادة القطرية للحزب بطلب ترخيص رسمي، رفضه مجلس الوزراء بدعوى أن الحزب متطرف وانقلابي، وأنه فرع لحزب البعث في سورية، وتكررت المحاولة، غير مرة، وتكرر الرفض، فما كان من الأعضاء الذين قدموا طلب الترخيص إلا أن رفعوا دعوى قضائية، فأصدرت المحكمة العليا قراراً يخالف قرار مجلس الوزراء ويلغيه، وبذلك اعتبر الحزب نفسه قائماً وبدأ يمارس نشاطه في الأردن بصورة شرعية، وذلك في 1955/8/28. (النجداوي، مقابلة خاصة، 2004).

اشترك الحزب في الانتخابات النيابية عام 1950، فنجح مرشاه: عبد الله الريماوي، وعبد الله نعواس. وفي عام 1954، لم يفز أحد من مرشحي الحزب. أما في عام 1956، فقد نجح كل من عبد الله الريماوي وكمال ناصر. وشارك الحزب في حكومة سليمان النابلسي ممثلاً في شخص عبد الله الريماوي الذي تولى منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية. وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي يشارك فيها الحزب في الحكم. (نقرش، 1991، ص 63).

ويشير أبو غربية والنجدواوي إلى أن البعث كان وراء محاولة الانقلاب الفاشلة في عام 1956، وأن بعض الضباط الأحرار كانوا أعضاء سريين في الحزب، ومنهم شاهر يوسف أبو شحوت، ومحمود المعاينة، وبهجت الساكت، وضافي الجمعاني وآخرون. غير أنهما يوضحان أن الانقلاب كان يستهدف إنهاء النفوذ الإنجليزي، ولم يكن الحزب يحمل أي توجه ضد النظام الملكي أو يعمل على إسقاطه.

وعلى الرغم من ظروف القمع والمطاردة والعمل السري فقد شارك البعثيون الأردنيون في المؤتمر القومي لحزب البعث الذي عقد في بيروت في تموز 1959، وكان عددهم حوالي أربعين شخصا منهم: عبد الله الريماوي، سليمان الحديدي، حسان الوظائففي، تركي حداد، مصطفى الخصاونة، بهجت أبو غربية. وقد انسحب الوفد الأردني من المؤتمر بعد خلافات عميقة حول مسألة الوحدة المصرية - السورية، وحل الحزب في سورية والموقف من النظام الناصري. (أبو غربية، مصدر سابق).

بعد مؤتمر 1959 أعلن الريماوي قيام تنظيم حزب البعث العربي الثوري، لكنه لم يجد الكثير من المؤيدين، كما يقول أبو غربية. وعاد الأعضاء إلى تنظيم القيادة القومية مجدداً. بينما يشير محمد فارس الطراونة إلى أن عدداً من قيادة الحزب القطرية الأردنية ظلوا على ولائهم للقيادة القومية، وكانوا في السجون الأردنية ومنهم: أمين شقير، منيف الرزاز، ضافي الجمعاني، ومحمود المعاينة. كما أن تنظيم الكرك بقي مع القيادة القومية، وقد اعتمد استمرار العمل الحزبي على هذا التنظيم، قبل أن يستعيد قواعده في عمان واربد والسلط والضفة الغربية إثر فشل محاولات انشاء الحزب البديل. ويقول الطراونة: في عام 1962، بدأنا التنظيم في الزرقاء،

وكان من أعضائه: طالب صويلح، محمد مروح، جميل الشاعر، محمد فارس الطراونة، علي الغرابية، توفيق هلسه، وجليل نوايسه، واستمر هذا التنظيم إلى نيسان 1963 حين شنت الحكومة حملة اعتقالات واسعة بعد مظاهرات نيسان التي طالبت الحكومة بالانضمام إلى الوحدة الثلاثية بين مصر وسورية والعراق. وشملت الاعتقالات من أعضاء القيادة القطرية: منيف الرزاز، أمين شقير، إسماعيل محادين، راتب دروزة، صبحي القطب، فايز المبيضين، أنور حدادين. بنما تولى القيادة أعضاء الصف الثاني بينهم: محمد فارس الطراونة، وسامي بطشون. واستمرت في عملها السري حتى أواخر عام 1964 حين شملتها حملة اعتقالات جديدة وتولى القيادة بعدهم: فهد الفانك، واصف عازر، عبد الغني النهار، عايد بقاعين، فايز سحيماوات وعدنان شقير إلى عام 1966. وكان منيف الرزاز قد خرج من السجن وسافر إلى دمشق ليتولى منصب الأمين العام للحزب القومي.

ويذكر الطراونة أن من أعضاء التنظيم في الفترة من 1964-1966 كل من: محمد فارس الطراونة، كامل

يوسف فاخوري، بسام نويران، منير الجندي، أكرم الحمصي، أحمد المحيسن، طلعت النوايسة، محمد علي القريوتي، فريد الحوراني، عوض الطراونة، أحمد اليماني، ماجد أبو درويش، علي الهباهبة، عوض الشراري، مصطفى علاوي، عايد العميرة، محمد شريف بني هاني، سامي حسين غرابية، محمد حسين بني هاني، أحمد فندي بني هاني، فرحان أبو الهيجا، محمود حسين الطوالبة، طعمه الفانك، بسام عماري، خلف مساعدة، عمر أبو الراغب، وليد بكري، نظمي الحوراني، جميل زريقات، عبد المهدي شريده، وآخرون. وبذلك امتد تنظيم الحزب ليشمل سائر أنحاء الأردن بصفته. وقد أطلق على التنظيم في تلك الفترة اسم "التنظيم الحديدي". (الطراونة، مقابلة خاصة، 2004).

وحيث وقعت حركة 23 شباط 1966 في سورية انقسم الحزب إلى جناحين يساري (حاكم في دمشق) ويميني من أبرز رموزه: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، اكرم الحوراني، أمين الحافظ، وشبلي العيسمي، ومنيف الرزاز. وقد غادروا على بيروت ليواصلوا العمل باسم حزب البعث - القيادة القومية ... حينذاك انعكست تلك الحالة على أوضاع الحزب في الأردن، فانضم بعض اعضاء قيادته وعناصره إلى الجناح السوري، وظل الأكثرون على ولائهم لقيادة عفلق القومية في بيروت. وأصدرت القيادة القومية والقطرية الأردنية بيانا ضد حركة 23 شباط اتهمت بالارتداد عن الحزب ومبادئه. (المصدر نفسه، 2004).

ويقول أحمد النجداوي إن من بين الذين انضموا إلى حركة 23 شباط 1966 من تنظيم الحزب في الأردن كل من خالد سليم الطراونة، بشير مسمار، ضافي الجمعاني، سلامة حداد، أحمد اليماني، يوسف قطناني، خضر عبد الله، وهو نفسه. (النجداوي، مقابلة خاصة، 2004).

وظل الوضع على حاله، إلى أن وقعت هزيمة 1967، وأعلن حزب البعث (في دمشق) تشكيل تنظيم فلسطيني موحد (في صفتي الأردن) وإنشاء منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة. (الطراونة، مصدر سابق). وفي 17 تموز 1968 نجح حزب البعث في الاستيلاء على السلطة في العراق. وكان تنظيم الحزب هناك مواليا لقيادة علق في بيروت. وما لبث أن أعلن عن تأييده للكفاح المسلح وعمل على إنشاء تنظيم فدائي في الأردن باسم "جبهة التحرير العربية". وخلال هذه الفترة تداخل العمل السياسي بالنشاط العسكري، وسيطرة الانشغالات بالقضية الفلسطينية ومواجهة العدوان الإسرائيلي. ونظم التنظيمان عمليات فدائية عديدة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.. إلى أن وقعت أحداث أيلول 1970 في الأردن، وانتهت بإخراج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من الأراضي الأردنية ومن ضمنها قوات الصاعقة وجبهة التحرير العربية، لتتركز نشاطاتها في لبنان مؤقتا. (المصدر نفسه).

وعاد الحزب إلى العمل السري. وظل منقسما إلى جناحين: أحدهما يتبع القيادة القومية في بغداد، والثاني يتبع القيادة القومية في دمشق، وكل منهما يحمل اسم حزب البعث العربي الاشتراكي، إلا أن جناح قيادة دمشق حمل اسم التنظيم الفلسطيني الموحد حتى أواخر الثمانينات حين استقل تنظيم فلسطين (الضفة الغربية وغزة) وأصبحت الصاعقة تابعة له، وحمل تنظيم الأردن اسم: حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن.

وظل نشاط الحزب محظورا حتى أوائل التسعينات حين ألغيت الأحكام العرفية، وجرت انتخابات نيابية، وتراجعت الحكومة الأردنية عن قرار حل الأحزاب وأصدرت قانون جديدا للأحزاب، واستعادت الأحزاب العقائدية حريتها في العمل، وأنشئت أحزاب جديدة. فسمح لجناح قيادة العراق بالعمل تحت مسمى "حزب البعث العربي الاشتراكي الأردني" واتخذ جناح قيادة دمشق اسم "حزب البعث العربي التقدمي الأردني" تمييزا له عن الجناح الأول، ومنعا للالتباس، حسب القانون. وظلت أعداد كبيرة من البعثيين القدامى خارج التنظيم المذكورين، وراحت تبحث عن تشكيل أحزاب جديدة بمسميات جديدة وإن لم تتخل عن مبادئ القومية العربية والوحدة والحرية والتقدم. (العبدلات، 1992، ص 66،75،76،282،283).

- حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق

يعيد العيسمي (1986) نشأة حزب البعث في العراق إلى عدة عوامل، منها الطلبة العراقيون الذين كانوا يدرسون في الجامعة السورية والذين عادوا إلى بلادهم بعد أن تعرفوا على الحزب وتقربوا منه وتشرّبوا أفكاره ومنها الطلبة السوريون (من لواء الاسكندرون) الذين كانوا يتلقون تعليمهم في بعض المدارس الثانوية في العراق منذ عام 1948، وكان قسم منهم مرتبطاً بأفكار البعث وعلى صلة بكتبه ونشرايته.. ومنها أن بعض الطلاب المنتمين إلى أحزاب الشعب والاستقلال والوطني الديمقراطي في العراق لم يكونوا يجدون فيها طموحاتهم فراحوا يبحثون عن بديل فوجدوه في حزب البعث فانتموا إليه.

ويذكر عليوي (1979) من هؤلاء الطلاب العراقيين الذين انتموا إلى البعث في دمشق وبيروت واحتكوا بالبعثيين الأوائل: طالب الطب عبد الخالق الخضيري وقد حضر المؤتمر التأسيسي الأول، وسعاد خليل إسماعيل، وسعدون حمادي، وكانا يدرسان في الجامعة الأميركية في بيروت.

وتنالت الجهود التنظيمية في بعقوبة والموصل والناصرية والبصرة خلال عامي 1949 و1950، وبعد عام 1952 توسعت قواعد الحزب، واستفاد من الانشقاقات التي مر بها الحزب الشيوعي العراقي حيث انقسم إلى كتلتين: القاعدة وراية الشغيلة. واعتقل سكرتيره بهاء الدين نوري. (حميدي، 1975، ص656).

وقد كان لدى بعض الشباب الذين تعرضوا إلى تأثير الحزب الشيوعي تحفظات على أغراض الشيوعية وأهدافها فوجدوا في حزب البعث برنامجاً أقرب إلى واقعهم، وذلك بربطه بين القومية والاشتراكية في نضاله، ودعوته إلى إقامة المجتمع العربي الموحد من خلال أهدافه الثلاثة: الوحدة والحرية والاشتراكية. (خدوري، 1974، ص163).

وقد أصدر الحزب لأول مرة جريدته السرية "العربي الجديد" في تشرين الأول 1953 وغير اسمها إلى "الاشتراكي" للتأكيد على الصفة الاجتماعية للحزب لأن طابع الحركة الوطنية العام كان هو التحرر من الاستعمار ومقاومة الأحلاف العسكرية والسياسية والتخلص من الحكم الرجعي وإقامة حكم وطني ديمقراطي يسمح بحرية العمل النقابي والسياسي. (الجبوري، 1977، ص209).

وفي كانون الأول 1954 شهدت بغداد انعقاد أول مؤتمر قطري لحزب البعث العربي. وكان هذا المؤتمر الحلقة الأخيرة في العملية التأسيسية الطويلة. وحضر المؤتمر 18-20 مندوبا يمثلون تنظيمات الحزب في العراق، وكان غالبية أعضاء المؤتمر من المدرسين والطلاب وصغار الموظفين. وصدرت عن القيادة القطرية أول "نشرة سياسية" في أوائل كانون الثاني عام 1955 تضمنت موقف الحزب من الوضع الراهن في العراق جاء فيها: "يجب أن نكشف للشعب مخاطر الواقع الفاسد الذي يتمرغ فيه الطغيان السافر الذي يحكم به، والفساد المستشري في كل جوانب حياتنا، لا بد لنا من فضح هذه الفئات الحاكمة وتعريتها من كل ما أحاطت به نفسها من براقع خادعة. (نشرة البعث العربي الاشتراكي، بغداد، 1977، ص32-33).

وقد تم انتخاب القيادة القطرية الأولى في هذا المؤتمر ففاز كل من فؤاد الركابي، شمس الدين كاظم، كريم شنتاف، وعلي صالح السعدي وعبد الله الركابي وسعدون حمادي وصالح شعبان وخالد علي الصالح. ثم انتخب فؤاد الركابي أمينا للسر. (الصالح، 2000، ص52).

كان لحزب البعث دور مهم في الأحداث والتطورات السياسية التي شهدتها العراق في النصف الثاني من الخمسينات. ففي تلك الفترة ازداد الصراع بين القوى الوطنية والنظام الملكي وخصوصا حكومات نوري السعيد المتتالية. وقد تفاقمت عزلة العراق عربيا، وتوثقت صلاته بالغرب سياسيا ونفطيا، وتعمقت الفوارق الطبقية، واتسعت الطبقة المتوسطة والعمالية بشكل ملحوظ وبسبب انتشار التعليم والمدارس. وفي هذا الظرف لقي حزب البعث تعاطفا شعبيا واسعا بسبب مواقفه الجذرية، ولكونه يمثل تيارا شبابيا متحمسا ويجمع بين النضال القومي والنضال الاشتراكي. (الفكيكي، 1993، ص50-52).

استمر حزب البعث في نشاطاته السياسية ضد حكم قاسم خلال السنوات 1960، 1961، 1962، 1963 على مختلف الأصعدة. وتصاعدت الصراعات السياسية بين حزب البعث وبين الحزب الشيوعي الموالي لحكم قاسم. واتهم البعث حكم قاسم بخيانة ثورة 14 تموز ومبادئها الديمقراطية، والاستئثار بالسلطة، والحكم الديكتاتوري الفردي وقمع الحريات ومحاربة الوحدة العربية والحركة القومية العربية، وعزل العراق عن المعركة القومية ضد الاستعمار والتجزئة والتخلف والشعبوية. واعتبر الحزب في بياناته أن "تحطيم حكم قاسم هو أول هدف لنضالنا" و"هو مفتاح حل سائر مشاكلنا". ودعا إلى "استكمال تحرير العراق، والسير نحو الوحدة العربية ونحو حكم شعبي ديمقراطي اشتراكي". (نضال البعث، ج7، ص155-156).

في 8 شباط نجح حزب البعث والضباط الوجوديون في الاطاحة بحكم قاسم وفي غمرة الصراع الذي كان الحزب يخوضه في العراق ضد أعدائه انفجرت (ثورة) الثامن آذار في سورية، فخلق ذلك وضعاً عربياً جديداً كل الجدة، بدت فيه أهداف الأمة في الوحدة والحرية والاشتراكية في مرمى أنظار الجماهير التي طالما كافحت وضحت بالكثير لإنجازها. (البعث العربي، 1977، ص 56).

وأثر نجاح البعث في الوصول إلى السلطة في العراق، أخرج اللواء عبد السلام عارف، على الفور، من عزلته وإقامته الجبرية التي فرضها عليه قاسم، وعين رئيساً للجمهورية، ورفقي إلى رتبة "مشير". وتألقت الحكومة الأولى للنظام الجديد برئاسة اللواء أحمد حسن البكر، من بعثيين وناصرين وقوميين عرب ومستقلين، كما ضمت وزيرين كرديين. واستأثر البعثيون بالوزارات الأساسية كالدخالية، والدفاع، والخارجية، والإصلاح الزراعي حيث تسلم هذه الوزارات على التوالي: علي صالح السعدي، صالح مهدي عماش، طالب شبيب وسعدون حمادي. أما المجلس الوطني لقيادة الثورة، وهو السلطة العليا في النظام فقد كان يضم جميع الضباط البعثيين أعضاء "لجنة التنظيم العسكري" قبل حركة 8 شباط، يضاف إليهم ثلاثة ضباط انتسبوا حديثاً (في حينه) إلى حزب البعث وهم اللواء طاهر يحيى، اللواء رشيد مصلح الحاكم العسكري العام، والرائد أنور عبد القادر. وثلاثة ممثلين عن القيادة القطرية للحزب: علي صالح السعدي، طالب شبيب، حازم جواد. وكان عبد السلام عارف هو العضو الوحيد في مجلس قيادة الثورة الذي لم يكن عضواً في حزب البعث. (دندشلي، 1980، ص 253).

ولم يستمر حكم البعث طويلاً في العراق إذ تضافرت عليه قوى الخصوم من داخل الحركة القومية وخارجها وتمكنت من تحشيد طاقاتها ونجحت في إسقاطه في 18 تشرين الثاني 1963، وانفرد عبد السلام عارف مجدداً بالسلطة، ليشن حملة تصفيات شرسة تستهدف القضاء على حزب البعث مادياً ومعنوياً وتحطيم أدواته الجماهيرية. وعاد الحزب إلى المعارضة السرية من جديد. (دندشلي، 1980، ص 274).

حاول حزب البعث استعادة الحكم من جديد في 4 أيلول 1965 لكن المحاولة فشلت، فشن نظام عبد السلام عارف حملة اعتقالات واسعة شملت الآلاف من البعثيين الذين لقوا معاملة قاسية. إلا أن عبد السلام عارف قتل في حادثة تحطم طائرته أثناء جولة له فوق منطقة القرنة جنوب العراق وسط عاصفة رملية. وتولى أخوه عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية، وواصل سياسة سلفه، وأمام تزايد المعارضة الشعبية التي كان يقودها حزب البعث والحزب الشيوعي والتنظيمات الناصرية أجرى عبد الرحمن عارف تغييرات وزارية متوالية. فأقال حكومة عبد الرحمن البزاز وعين محله اللواء ناجي طالب، ثم اللواء طاهر يحيى الذي اشتهر بفساده المالي. وفي عام 1967 وقعت هزيمة 5 حزيران الأمر الذي زاد نقمة الجماهير الشعبية على الأنظمة العربية القائمة ومنها النظام العراقي. وهكذا أصبحت الظروف الموضوعية لتغيير الحكم في العراق متوافرة، بالإضافة إلى ظروف حزب البعث الذاتية التي أهلته للقيام بانقلاب 17 تموز 1968 الذي أطاح بحكم عبد الرحمن عارف، وأبعده إلى خارج العراق ليكون لاجئاً سياسياً في تركيا. (موسوعة السياسة، ج4، 1981، ص62).

وخلال مسيرة حكم البعث في العراق عقد الحزب عدة مؤتمرات قطرية مثلما شارك ممثلوه في المؤتمرات القومية للحزب التي عقدت خلال السبعينات والثمانينات والتسعينات. وعقد المؤتمر القطري الثامن في بغداد ما بين الثامن والثاني عشر من كانون الثاني عام 1974 وأشار التقرير السياسي للمؤتمر إلى أن مسالة التحولات الاجتماعية والثقافية لم تتم خلال المرحلة السابقة بالسرعة والجذرية والشمول التي يطمح إليها الحزب وتتطلبها مهماته وأهدافه القومية والاشتراكية، والدور الذي يطلب أن تؤديه التجربة الثورية في القطر العراقي في حركة الثورة العربية.

ويلاحظ التقرير أن قيادة الحزب للدولة والمجتمع تكون من خلال نجاح الحزب نجاحاً حقيقياً وحاسماً في تعبئة الجماهير وتسيير شؤون الدولة باتجاه المبادئ الأساسية للثورة، ومن خلال توصل الجماهير إلى الاقتناع بضرورة قيادة الحزب بالنسبة للشعب والوطن ومصيرهما وأهدافهما. كما أن المرحلة (القادمة) تتطلب تصفية جميع الأخطاء التي حدثت خلال المرحلة الماضية في العلاقات بين الحزب والدولة، وتأشير الحدود الدقيقة الواضحة بين وظائف الحزب ووظائف الدولة. مع التأكيد على أن المؤسسة الأولى هي التي تقود المؤسسة الثانية. (التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن، 1974، ص208).

أما المؤتمر القطري التاسع فقد عقد في حزيران 1982 وقد درس أبرز التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية في العراق خلال الفترة التي أعقبت المؤتمر السابق. وأهمها ترسيخ سلطة الحزب وتطوير علاقته بالمجتمع والدولة والتحولات في بنية السلطة بعد تخلي أحمد حسن البكر عن مسؤولياته وتسلم صدام حسين رئاسة الجمهورية والمسؤولية الأولى في الحزب (أمانة سر القيادة القطرية). كما ناقش المؤتمر المنجزات التي تحققت في مجالات الإعلام والثقافة والتربية والتعليم والصناعة والتشريع والمرأة ومحو الأمية والشباب. وخلص المؤتمر إلى تأكيد القيم والممارسات الجديدة في المجتمع الثوري، معتبرا أن الثورة التي قادها الحزب في العراق، هي عملية تغيير وتطوير وبناء جذرية شاملة لتكوين إنسان جديد ومجتمع جديد. وقال: إن القيم والممارسات الجديدة ترتبط ارتباطا وثيقا بالرمز الوطني، وبالممارسة العامة للجهاز القيادي في المجتمع الجديد. وإن في مقدمة القيم التي أكد عليها الحزب والثورة هي الوطنية والولاء المطلق والعميق للشعب والوطن، والتضحية في سبيله وهذا ما أكدته بصورة رائعة وقوية معركتنا ضد عدوان نظام خميني (إيران). وارتبطت هذه القيمة بالشجاعة في إطارها الوطني وفي خدمة الوطن والدفاع عنه. (التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران 1982، ص 160-175).

كما عقد المؤتمر القطري العاشر تحت شعار "مؤتمر الجهاد والبناء" في أيلول 1991. أما المؤتمرات القومية فقد عقد المؤتمر القومي الحادي عشر في أواخر عام 1977، بينما عقد الثاني عشر بعد ذلك بحوالي خمسة عشرة عاما أي في 1992. وقد شهدت هذه الفترة تسلم صدام حسين مسؤولية الموقع الأول في السلطة والحزب في العراق. والحرب العراقية - الإيرانية التي تصفها أدبيات المؤتمر بأنها "المنازلة التاريخية" بين (الشعبوية المتجددة) وبين روح النهضة القومية العربية التي دعا إليها حزب البعث فكانت (القادسية الجديدة) .. وقد انتهت تلك المنازلة إلى نصر مؤزر، وخرج العراق منها قويا معافي .. فإذا التأمر عليه يشتد، ويستهدف "تجربته الثورية" و"دور قيادته" وإذا به يخوض "سلسلة من المنازلات" عرفت بـ "أم المعارك" بعد دخول القوات العراقية إلى الكويت وما جره الحدث من تطورات ما تزال تتوالى حتى الآن. وقد تناول التقرير السياسي للمؤتمر القومي الثاني عشر التطور الفكري والعملي في أهداف الحزب: الوحدة الحرية والاشتراكية. كما تناول ما سماه "القضايا الكبرى" على الساحة القومية: معركة القادسية الجديدة ومعركة "أم المعارك" مشيرا إلى أن كليهما كانت جوابا على عدوان مبيت من طرف الأعداء الذين استهدفوا من عدوانهم تمزيق العراق، وضرب وحدته الوطنية، ودوره القومي كما أن كليهما، من طرف العراق والأمة، كانت خيارا اضطراريا. (نضال البعث، 2002، ج2، ص1183).

- حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان

انعكست كل الانشقاقات التي حصلت في حزب البعث العربي الاشتراكي على وضع الحزب في لبنان. وأصبح الحزب الواحد أحزاباً وأجنحة وأطرافاً وشخصيات، وكل منهم ظل يحتفظ بمبادئ الحزب الرئيسية إهما اختلف أسلوب العمل، والنظرة، وتحول بعضها إلى الماركسية. ودلت نتائج الدراسة على وجود تنظيمين رئيسيين للحزب في لبنان:

1. الجناح المؤيد للتنظيم السوري للبعث:

ظهرت هذه المنظمة مباشرة بعد حركة 23 شباط في دمشق بعد أن انشطرت القيادتان القومية والقطرية في سورية عام 1966. وتشكلت قيادة (قومية) جديدة لم تتضمن أياً من الوجوه التقليدية والقديمة في القيادة القومية السابقة. ووسعت نشاطاتها، واعتبر المؤيدون لهذه الحركة في لبنان من منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي - الجناح اليساري- واصبحوا جزءاً من تنظيم القيادة القومية في دمشق.

2. الجناح المؤيد للتنظيم العراقي للبعث:

اثر حركة 23 شباط التي أشرنا إليها بقي في حزب البعث - فرع لبنان من يؤيدون القيادة القومية (السابقة) ولم ينظموا إلى الحركة الجديدة. وهؤلاء ظلوا على ولائهم لقيادة ميشيل عفلق ومجموعته الذين ما لبثوا أن تسلموا السلطة في العراق بعد - حركة 17-30 تموز 1968. واستمر هؤلاء في تأييد الحكم البعثي في العراق والمشاركة في مؤتمراته القومية ودعم القيادة القومية التي أصبحت تتخذ من بغداد مقراً دائماً لها.

وإذا كان ما جرى في لبنان قد وقع مثله في سائر أقطار الوطن العربي التي كان فيها تنظيم لحزب البعث، بتأثير هذه الانشقاقات والانشطارات المستمرة داخل الحزب، فإن الملاحظ أن شعارات الحزب القومي بتنظيمه وقيادته ظلت كما هي: الوحدة والحرية والاشتراكية والأمة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة. ولكن كلا من القيادتين راحت تتهم الثانية بالخروج على مبادئ الحزب ودستوره وقيمه ومنطلقاته النظرية. (شرورو، 1981، ص 63-65).

كانت بدايات التنظيم الحزبي البعثي في لبنان من خلال طلبة الجامعة الأميركية في بيروت في الفترة من (1947-1952) التي كان فيها الحزب يشكل تيارا فكريا لا أكثر. وفي السادس أيار 1952 أقام حزب البعث احتفالا بعيد الشهداء في صيدا، لقي صدى إيجابيا وتعاطفا جماهيريا واسعا. وشكل نواة لانطلاقة الحزب في لبنان كله. وكان الحزب يرفع شعاراته ويعلن مواقفه ببيانات ومنشورات يوقعها باسم "الشباب القومي العربي" و"القوميون العرب الأحرار" و"الطلبة العربية في لبنان" أو باسم هيئات طلابية مثل "مؤتمر الطلاب في لبنان" و"مجلس الطلبة". واستمر ذلك في الفترة من 1951-1955. (نضال البعث، ج8، 1986، ص15-20).

وتشير مصادر تاريخ الحزب إلى أن فرع لبنان عقد أول اجتماع مشترك لأعضاء الحزب وممثليهم في لبنان بدعوة من القيادة الفرعية في بيروت في 15 و16 أيار 1952. وتدارس الاجتماع مسيرة الحزب، وسياسته العامة لتلك السنة، ضمن مبادئ الدستور وعلى ضوء الأحداث العربية، ووضع خطة عمل مستقبلية تقوم على زيادة نشاط أعضاء الحزب في صفوف العمال في الجنوب، وتطوير أسلوب العمل في الريف، ومحاولة كسب المعلمين في القرى وضمهم إلى الحزب، ومراعاة المستوى الثقافي للأعضاء في تقسيم الحلقات الحزبية. ولاحظ المجتمعون أهمية المسلك الشخصي للبعثي الذي يجب أن يكون مثاليا مجسدا لعقيدة حزبه السياسية ليعطي صورة الحزب للشعب. (المصدر نفسه، ص25).

وعقد الحزب مؤتمره القطري العادي الثاني في 24 كانون الثاني 1958 واستمر ثلاثة أيام. واتخذ المؤتمر قرارات مهمة بشأن رفع مستوى الأعضاء بالتحقيق الحزبي المستمر والتشديد على الانضباط والنقد الذاتي، والاهتمام بالعنصر العمالي والانفتاح على المجتمع وخوض معارك سياسية حزبية تنمي الحزب وتوضح شخصيته، ودعا إلى زيادة الاتصالات مع الحزب التقدمي الاشتراكي وحركة القوميين العرب، ومحاربة الحركات الطائفية والشعبوية. (المصدر نفسه، ص87-88).

وشارك حزب البعث في لبنان في النضال الوطني ضد الأحلاف السياسية الأجنبية وكان جزءا من الحركة الوطنية اللبنانية التي واجهت حكم كميل شمعون، وعارضت "التجديد" له فترة رئاسية ثانية في عام 1958. (المصدر نفسه، ص115-135).

وشارك الحزب في الانتخابات النيابية التي جرت في مطلع الستينات بعدد من المرشحين الحزبيين والأنصار. وتمكن أحد قياديه وهو عبد المجيد الرفاعي من الفوز بمقعد نيابي، إلى جانب عدد من الحلفاء من اتجاهات أخرى. كما شارك الحزب في مظاهرات نيسان 1969 في صيدا وبيروت. وانضم إلى "جبهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية"، وشكل عمودها الفقري. كما فاز عدد من أعضائه في انتخابات 1972 النيابية. (ذبيان، 1977، ص186).

ثانياً: الدراسات ذات الصلة

1. درس عبد الدائم (1960) التربية القومية فتناول مبادئ القومية العربية ووسائل التربية عليها.

وهدفت الدراسة إلى "تحديد الملامح الرئيسية للتربية القومية بأن تكون المواطن العربي ذا الاتجاه القومي السليم". واقتصرت على دراسة أهم معالم التربية القومية وعلى العوامل الأساسية التي تحدد طريقها. وتمثلت مشكلة الدراسة في الإجابة على الأسئلة التالية:

- هل نحن في حاجة إلى تربية قومية؟
- هل نحن في حاجة إلى جهد خاص لتكوين ذلك المواطن العربي ذي الاتجاه القومي؟
- أنحن في حاجة إلى أن نصطنع النظريات والمذاهب بعد هذا الشعور الحي الذي يربط المواطنين بأمتهم وعروبتهم؟

وتألفت الدراسة من مدخل وثلاثة أقسام وخاتمة. بحث في القسم الأول: ضرورات التربية القومية، وفي

القسم الثاني: مبادئ التربية القومية، وفي القسم الثالث: أساليب التربية القومية.

وانتهت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أن هناك قوميات متعددة لا قومية واحدة.
2. أن القومية ليست مرحلة.
3. أن فكرة القومية العربية فكرة إنسانية، روحية، ديمقراطية، اشتراكية وثورية.
4. أن أساليب التربية القومية هي أساليب إنسانية، ديمقراطية، اشتراكية روحية وثورية.
5. أن المناهج الجديدة (في حينه) التي طبقت في الجمهورية العربية المتحدة (دولة الوحدة بين مصر وسورية) تمثل تطبيقاً عملياً لمبادئ التربية القومية السليمة.

وقد أوصى المؤلف في ختام دراسته بما يلي:

1. دعوة العرب إلى تحقيق المنازع الإنسانية في تربيتهم القومية، وإلى نقل هذه المنازع بعد هضمها، وإنضاجها إلى غيرهم من الأمم.
2. دعا الجمهورية العربية المتحدة (دولة الوحدة بين مصر وسورية) إلى تعهد هذه التربية الإنسانية السليمة، من خلال ما يلي:

(أ) توضيح أسس التربية القومية التي تأخذ بها.

(ب) وضع الوسائل والأساليب الخاصة لتحقيق مبادئ هذه التربية التي من شأنها أن تخلق

الإنسان العربي المنفتح على نفسه وعلى العالم.

2. كما درس خلف الله (1984) الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين في مصر.

واستهدفت الدراسة عرض الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين وتطبيقاته، واقتصرت الدراسة على

"الإخوان المسلمين" في مصر.

وأظهرت نتائج الدراسة أنه كان لجماعة الإخوان المسلمين نظرتهم الخاصة إلى التعليم من حيث فلسفته

وأهدافه. كما كان لهم رأيهم الخاص في طبيعة المؤسسات التي يجب أن ينتظم فيها التعليم سواء بالنسبة لأبناء

المسلمين بعامه، أو للشباب والأطفال المنتظمين في جماعتهم بخاصة. كذلك كان لهم موقفهم الخاص تجاه بعض

قضايا التعليم مثل التعليم الأزهري والتعليم اللغات ومدارس التبشير.

كما أظهرت الدراسة أن الفكر التربوي للجماعة لم يكن متميزاً، وإنما هو فكر إسلامي من حيث فلسفته وأهدافه ومفاهيمه ومناهجه. ومصدر هذا الفكر -بالضرورة- الكتاب والسنة. وهدف التربية إعداد المسلم ليكون عبداً صالحاً يطيع الله ورسوله، يأتمر بأوامره، وينتهي بناوحيه، ويمارس دوره كاملاً في مجتمع إسلامي. فقد كان الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين يتحرك داخل إطار مفاهيم التربية الإسلامية. واستمدوه من فهمهم للإسلام باعتباره نظاماً شاملاً متكاملًا، إذ أنهم يعتقدون أن إصلاح الأمة لا يتأتى إلا بالرجوع إلى الأصول التربوية الإسلامية المستمدة من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية.

كما بينت الدراسة أن "الإخوان" لم يقفوا عند حد الفكر النظري ولكن سعوا إلى إيجاد الدولة الإسلامية لكونها الإطار الطبيعي لتطبيق الشريعة الإسلامية، وذلك من خلال إيجاد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والأمة المسلمة.

3. كما درس فايق (1986) الفكر التربوي في مصر من سنة 1952 إلى سنة 1970 وتمثلت مشكلة الدراسة في ضرورة مراجعة الفكر التربوي وتشخيصه ونقده بين فترة وأخرى. وقد كانت هناك العديد من المحاولات لرصد الفكر التربوي في مصر وتحليله، إلا أن معظمها كان قد توقف عند حدود عام 1952. ومن هنا برزت الحاجة إلى دراسة هذا الفكر في فترة تالية، هي الفترة من (1952-1970). فقد شهد العام 1952 تغيراً جوهرياً في نظام الحكم فأصبح جمهورياً، أما عام 1970 فقد شهد حدثاً سياسياً مهماً هو وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتولي الرئيس السادات الحكم.

أما أهداف الدراسة فكانت التالية:

1. رصد الفكر التربوي في مصر وتحليله في الفترة من سنة 1952 إلى سنة 1970. وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة.
2. تبين مدى استجابة الفكر التربوي لحركة المجتمع.
3. تبين مدى استمرارية بعض الأفكار السابقة مع فترة الدراسة نفسها.

وأما من حيث منهج الدراسة فقد استخدم الباحث أسلوب تحليل المضمون بصورة أساسية، فقام بتحليل مضمون الفكر التربوي في فترة دراسته، كما أظهرته الكتابات التربوية المنشورة بالصحف والمجلات والكتب التربوية المتخصصة، إلى جانب بعض المؤتمرات التي عقدت في مصر.

وانتهت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

- أن القضايا التي كانت تشغل المجتمع المصري في فترة الدراسة (1952-1970) كانت مشكلات واقع وممارسة وتطبيق، أكثر من كونها قضايا فكرية ونظرية.
- أنه لم تكن ثمة نظرية أو مذهب فلسفي للمجتمع المصري بعامة في فترة الخمسينات، أما الستينات فقد ظهر "الميثاق" الذي كان دليل عمل لسياسة مصر، تلتته محاولة نظرية أخرى هي بيان "30 مارس (آذار) 1968".
- إن أسلوب العمل كان المحاولة والخطأ - كما رأى البعض - أو ردود الأفعال - كما يري البعض الآخر -.
- إن أغلبية التطبيقات أو الإجراءات أو الممارسات لم تكن وليدة فكر الضباط الأحرار الذين كانت انتماؤهم متباينة، بل أن معظمها كانت له إرهاصات في الفترات السابقة (الإصلاح الزراعي، الضرائب التصاعدية، القومية العربية، طرد الإنجليز ... الخ).
- أن نظام الحكم نجح نسبياً في ضرب المصالح الاقتصادية والسياسية للطبقات التي كانت تتسيد الفترة السابقة، عن طريق الإصلاح الزراعي في الريف والضرائب التصاعدية والتأميم في المدينة. لكن هذا النجاح لم يتحقق بنفس القدر في القضاء - بالمفهوم الجذري - على الفقر والجهل والمرض لدى الطبقات الفقيرة.
- أن الفكر التربوي تأثر بكثير مما كان يعتمل في المجتمع المصري من حيث الشكل والمضمون.
- أن أسلوب مواجهة المشكلات يكاد يكون واحداً من حيث غياب النظرة العلمية التي تأخذ في اعتبارها عنصر الزمن الذي يعتبر جزءاً رئيسياً في معالجة الأمور، فلم تكن هناك تجديدات تربوية تتسم بالشمول والجذرية والكلية تتيح للمجتمع الانتقال إلى حالة أكثر تقدماً، مثل القضاء على الأمية، أو القضاء على ازدواجية التعليم، أو حل مشاكل استيعاب الطلاب الذين يقعون في سن الإلزام، أو مشكلة الامتحانات، أو كيفية ارتباط مخرجات النظام التعليمي بسوق العمل الذي يعاني من فائض في بعض التخصصات وعجز في معظمها.

- كثرة تناول أمور التربية بمعزل عن المجالات الأخرى.
- أن فكر القيادة السياسية وممارساتها تسيّد جميع مجالات المجتمع ومنها التربية. فقد لاحظ المؤلف أن "الميثاق" حين ظهر لم يناقش كصيغة نظرية قابلة للتعديل، بل جرى الاستشهاد بفقرات منه في المواضع والمجالات كلها. ولم تسلم الكتابات التربوية من هذا. إلا أن هذه الظاهرة اختفت باختفاء واضع الميثاق. فالكتابة لم تكن لاعتبارات فكرية أو قناعة شخصية.

4. وتناولت دراسة الفرحان (1986) "أزمة التربية في الوطن العربي من منظور إسلامي".

وقد أبرز الباحث أهمية الدراسة بقوله "نظراً للارتباط الوثيق بين أزمة التربية في وطننا العربي وأزمة امتنا العربية الإسلامية. فالأزمة التربوية إحدى أزمات الأمة. وهي في كثير من مظاهرها أصداء لأزمة الأمة ككل. وتركيز الباحثين والدارسين والمربين على كسر الحلقة المفرغة لأزمة التربية، وهو إسهامهم في حل أزمة الأمة" (ص5-6) وتمثلت مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

- ما مظاهر أزمة الأمة في الوطن العربي؟
 - ما علاقة أزمة المثقف العربي بأزمة التربية في الوطن العربي؟
 - ما مظاهر أزمة الفكر والثقافة في عالمنا العربي، وما انعكاساتها على المؤسسة التربوية؟
 - ما مظاهر الأزمة الداخلية في النظام التربوي العربي؟
 - كيف نكسر الحلقة المفرغة؟ وما دور التربية والمربين في ذلك؟
- واستخدم المؤلف المنهج الوصفي التحليلي في دراسته. وقد مهّد للموضوع بمقدمة وجيزة عن طبيعة أزمة الأمة، وعلاقة الأزمة التربوية بها، وأهمية مواجهتها في حياتنا المعاصرة. ثم تطرق إلى استعراض المظاهر المختلفة لأزمة الأمة العربية، وانعكاساتها على أزمة التربية في العالم العربي، في مجالات الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتأثير التحدي الصهيوني للأمة العربية الإسلامية في ذلك.
- ثم تناول بالتحليل أزمة التربية العربية والنظم التربوية في العالم العربي من الداخل، من حيث أزمة الفلسفة التربوية والسياسات المنبثقة عنها، وأزمة تعريب التعليم في العالم العربي، وأزمة الكم والكيف في التربية العربية، وأزمة محتوى التربية والأزمات التي تعاني منها التربية في العالم العربي فيما يتعلق بالطريقة والوسائل والقياس والتقويم التربوي.

وتعترض الفرغان في الفصل الأخير إلى بعض الاقتراحات العملية الإجرائية التي من شأنها، حسب رأيه، أن تسهم في كسر الحلقة المفرغة لأزمة التربية في الوطن العربي، ومنها:

1. استصدار قرار سياسي يتبنى فلسفة إسلامية للتربية في إطار كل بلد عربي إسلامي يريد أن يربي أجيالاً متماسكة الشخصية ذات هوية واضحة المعالم، وتكون عند مستوى طموحات الأمة في البناء والتحرير والتقدم.
2. الاعتراف بمهنة التربية والتعليم في البلاد العربية كأرقى مهنة عليا في المجتمع لأنها أم المهن.
3. تطوير دور الجامعات العربية في القيادة الفكرية والتربوية للأمة العربية.
4. تربية الجيل الناشئ تربية جهادية واعية، ليكون جيلاً مؤهلاً للجهاد في سبيل الله، يعمل لتحرير فلسطين والمغتصب من أرض الوطن. ويعمل على وحدة أمتة في سائر أقطارها، كما يسعى إلى تطبيق حكم الله في الأرض.
5. تأميم التعليم الأساسي الإلزامي المسؤول عن بناء الشخصية المتكاملة للفرد العربي المسلم.

5. ودرس فرغان (1987) الفلسفة التربوية في العراق في ضوء فكر الرئيس صدام حسين.

وتمثلت مشكلة الدراسة في وضع إطار عام لفلسفة تربوية في العراق من خلال قراءة كتابات الرئيس صدام حسين وأحاديثه. وخلص المؤلف إلى جملة من النتائج في الإجابة على كل سؤال من أسئلة الدراسة يمكن تلخيصها بالتالي:

1. أن التربية في فكر الرئيس صدام حسين مشروع استثماري، وليست مشروعاً استهلاكياً.
2. أن مفهوم النظرية العربية للتربية يستند إلى فلسفة حزب البعث العربي الاشتراكي، وهو مفهوم يتفاعل مع الخبرة الإنسانية وقد تكوّن نتيجة للنضال والمعاناة.
3. أن مصادر النظرية العربية للتربية: التراث العربي، البعد التاريخي للأمة العربية، الأيديولوجية الثورية، حركة الثورة العربية في الوطن العربي، حركة التقدم العلمي في العالم وحركة الثورة والتقدم في العالم.

4. أن أسس النظرية التربوية العربية الفلسفية ذات سمات واقعية إنسانية ثورية شمولية ومستقبلية.
5. أن أهداف النظرية العربية للتربية هي: بناء جيل عربي واعٍ مستنير مخلص لأمتة ووطنه العربي ينقل الأمة من حالة إلى حالة أفضل. وتعزيز المثل والقيم العربية والإنسانية وتنشئة الجيل على هذه القيم وتأصيلها في سلوكه. وتنمية الشعور بالقومية العربية والإيمان بها وغرسها في نفوس أبناء الجيل. وغرس أصول الديمقراطية في نفوس النشء وتقويتها. وتأكيد حقائق التكامل العربي في الأرض والشعب والمناخ والثروات الطبيعية.

6. ودرس علي (1987) الفكر التربوي العربي الحديث.

وكان هدف الدراسة "تقديم صورة كلية شاملة للجهود التي بذلها المفكرون، وقامت بها هيئات وتنظيمات ومؤسسات على الصعيد الفكري لمناقشة قضايا التربية ومشكلاتها ومفاهيمها واتجاهاتها في العالم العربي على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين..".

وأمام اتساع هذا الهدف وتشعبه وجد المؤلف نفسه أمام مهمة مستحيلة على "فرد واحد في فترة زمنية محددة" لذا فقد اختار دراسة (الاتجاهات العامة) والمسارات الرئيسية بحيث تمكن من إسقاط الجزئيات، وانتقاء الأمثلة والنماذج الدالة على الحدث أو الاتجاه أو المسار موضع الدراسة. وهذا جعل (العينة) الممثلة تصور (المجتمع الأصلي) تمثيلاً جدياً حسب رأيه.

ومع أن المؤلف لم يفصح عن مشكلة الدراسة ولم يبين أهميتها بشكل صريح إلا أنه يمكن استخلاص أسئلة الدراسة كما يلي:

- ما الأبعاد الحضارية لحركة الفكر التربوي العربي الحديث؟
- ما اتجاهات الفكر التربوي العربي الحديث؟

وأما نتائج الدراسة فيمكن اختصارها بما يلي:

1. أن الأبعاد الحضارية للفكر التربوي العربي الحديث تتمثل في الآتي:

- أ- تراث الماضي: وقد بين الباحث مصادره في القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة، والعادات والتقاليد والقيم، والفكر الفلسفي. كما بين مدارسه التي تمثلت بالصوفية والكلامية والفقهية. أما سماته العامة فهي: الموسوعية والاجتماعية واللاإقليمية والصراع الفكري.
- ب- المتغيرات السياسية والاجتماعية: كالسيطرة العثمانية وزحف الاستعمار الغربي والسرطان الصهيوني وحركات التحرير والثورة والتجزئة والوحدة والنفط والتكيب الطبقي والتخلف الاقتصادي.
- ج- المؤثرات الأجنبية التي لعبت دوراً كبيراً في تشكيل كثير من الأفكار والاتجاهات والمواقف التربوية وتوجيهها وقد تمثل ذلك في التبشير ودور النشر والمدارس الأجنبية والبعثات ووسائل الإعلام والترجمة.

2. أن اتجاهات الفكر التربوي العربي الحديث تتمثل في خمسة اتجاهات هي:

- الاتجاه السلفي.
- الاتجاه القومي العربي.
- الاتجاه التغريبي.
- الاتجاه الإقليمي.
- الاتجاه الاشتراكي.

وفي تحليله لهذه الاتجاهات أبدى المؤلف رأيه في كل منها. فدعا إلى اقتصار التقديس على القرآن والسنة، حتى لا يتحول التقديس إلى كل ما قد سلف؛ لأن باقي التراث هو نتاج رجال يصيبون ويخطئون. وهو قابل للأخذ والرد.

وطالب المؤلف القوميين بالربط بين العروبة والإسلام فيما دعا الإسلاميين إلى استيعاب التوجهات القومية. وأكد ضرورة الفهم الدقيق لعلاقة ما هو وطني بما هو قومي لتجاوز مخاطر الإقليمية والتجزئة. كما أشار إلى ما وصفه بـ "الأثر المحمود" للاتجاه الاشتراكي في المجال التربوي، وخصوصاً في تعرية صور التبعية التي تسعى النظم الرأسمالية الغربية إلى إيقاع العرب في شباكها، ولكنه طالب بتعرية صور التبعية العقيدية لدول أخرى (يقصد الدول الشيوعية قبل انهيار الاتحاد السوفياتي).

7. وبحث اللاطي (1996) في تطور التربية في القطر العربي السوري. وهدفت الدراسة إلى توضيح دور حزب البعث العربي الاشتراكي في تعزيز التعليم الشعبي في سورية (1963-1990)

ويبين اللاطي أهمية دراسته بقوله: "إن أهمية الدراسة المتواضعة لا تكمن في ما أوجدت من جديد، بل في ما كشفت عنه من جوانب تلقي الضوء على مرحلة تاريخية من العمل الجاد لجعل التربية عنصراً هاماً من بناء المجتمع العربي بشكل عام، وبناء المجتمع العربي السوري بشكل خاص. فهي تحاول إعطاء صورة واقعية عن تطور العمل التربوي في القطر العربي السوري، وتركز على نظرة حزب البعث العربي الاشتراكي الشاملة للقضايا السياسية والاجتماعية، وعلى اعتماد القومية كأسلوب للتغلب على مشكلات المجتمع وعامل أساسي للمساهمة في بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد".

وأوضح اللاطي مشكلة الدراسة في النقاط التالية:

1. دور التربية في تدعيم الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي منذ بداية الاستقلال وحتى قيام ثورة آذار عام 1963م.
2. النظرية التربوية في مفاهيم وأدبيات حزب البعث العربي الاشتراكي.
3. الخصائص المميزة للتطور التربوي في سورية بعد ثورة آذار 1963م.

وأما عن منهج الدراسة فهي دراسة تاريخية تحليلية قدمت لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في تاريخ التربية من جامعة موسكو 1991.

ويرى اللاطي أن أسلوب الدراسة المعتمد على الجانبين الوضعي (الستاتيكي) والتطوري (الديناميكي) جعله يقف عند محطات متلاحقة تتوافق مع محطات التغيرات السياسية والاجتماعية في القطر العربي السوري.

وأما نتائج الدراسة فقد دلت على ما يلي:

1. اهتمام حزب البعث العربي الاشتراكي اهتماماً واضحاً بالتربية والتعليم.
2. وجود نظرة شاملة لحزب البعث بخصوص القضايا السياسية والاجتماعية.
3. اعتماد التربية وسيلة للتغلب على مشكلات المجتمع واعتبارها عاملاً أساسياً لبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد.
4. أن التربية عنصر هام في توحيد أبناء المجتمع الواحد وفي تقريب شعوب العالم بعضها من بعض.
5. اهتمام القيادة في القطر العربي السوري في ربط التربية بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك باعتماد التخطيط والتركيز على التعليم المهني والتقني.

والخلاصة أن الدراسات السابقة المتصلة بموضوع الدراسة الحالية كانت قليلة بل إن الباحث لم يجد دراسة واحدة تشمل ما تشمله دراسته الحالية من أحزاب سياسية ورقعة جغرافية. وإلى جانب ذلك فإن بعض تلك الدراسات القليلة كان يفتقر إلى الدقة والموضوعية وبعضها كان يميل إلى الدعاية الحزبية والترويج لأفكار وأيديولوجيا معينة. وهذا كله مما أعطى هذه الدراسة أهمية خاصة وجعلها متفردة في حقلها واكسبها روح المسؤولية العلمية المنشودة.

الفصل الثالث: الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي باعتباره المنهج الأفضل لمثل هذا النوع من البحوث النوعية التي تنتمي إلى ميدان الدراسات الوصفية والتي تستهدف تقرير طبيعة وخصائص وسمات معينة أو موقف معين تغلب عليه صفة التحديد، وأعتمد الباحث على جمع الحقائق والبيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها ونقدها لاستخلاص دلالتها والوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة المدروسة وهي الفكر التربوي للأحزاب السياسية في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين.

الطريقة:

1. قام الباحث باستقصاء الفكر التربوي لدى الأحزاب التالية باعتبارها عينة انتقائية من مجتمع الدراسة الذي هو الأحزاب السياسية في الوطن العربي كله:
 1. الحزب الشيوعي في الأردن وفلسطين وسورية ولبنان والعراق.
 2. جماعة الإخوان المسلمين في الأقطار المذكورة.
 3. الحزب القومي السوري الاجتماعي في الأقطار المذكورة.
 4. حزب البعث العربي الاشتراكي في الأقطار المذكورة.

وذلك من خلال البحث في المصادر التالية:

- أ. وثائق الأحزاب وأدبياتها ومنشوراتها.
- ب. المجلات والصحف والدوريات المتخصصة.
- ج. الدوريات العلنية والمجلات والصحف السرية التي أصدرتها الأحزاب بقدر ما تمكن من الحصول عليه أو على مضامينها.
- د. المذكرات والكتب وسير الحياة التي أعدها بعض قادة الأحزاب أو بعض أعضائها البارزين.
- هـ. المقابلات واللقاءات التي أجراها الباحث نفسه مع بعض قياديي الأحزاب ومسؤوليها.

2. قدم الباحث وصفاً منهجياً لمحتوى الفكر التربوي للأحزاب المذكورة من حيث التالي:
- أ. مصادر الفكر التربوي ومرجعياته الفلسفية.
 - ب. أهداف التربية وغاياتها
 - ج. عناصر التربية ووسائلها وسياساتها.
 - د. أهم القضايا التربوية التي تناولها الحزب.
3. قدم الباحث تحليلاً نقدياً لهذا الفكر التربوي محاولاً توضيح مواقف القوة والضعف فيه.
4. اقترح الباحث بعض التصورات التي يمكن أن تساهم في تطوير هذا الفكر وتصويب مسيرته، بعد إدراك نواقصه وسلبياته، ليكون أقدر على تحقيق أهدافه الوطنية والقومية والإنسانية.

محددات الدراسة:

إن نتائج هذه الدراسة ستبقى مرهونة بالمحددات المكانية والزمانية والمنهجية التالية:

أولاً: اقتصار الدراسة على أربعة أحزاب هي:

1. الحزب الشيوعي.
2. جماعة الإخوان المسلمين.
3. الحزب السوري القومي الاجتماعي.
4. حزب البعث العربي الاشتراكي.

ثانياً: اقتصار الدراسة على الأحزاب المذكورة التي ظهرت في المشرق العربي (سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق) في النصف الثاني من القرن العشرين.

ثالثاً: اقتصار الدراسة على تناول الفكر التربوي الذي أنتجته أو تبنته تلك الأحزاب باعتبارها تمثل الاتجاهات السياسية الأكثر انتشاراً في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين.

رابعاً: حال الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين دون تمكن الباحث من الوصول إلى الأحزاب موضوع الدراسة في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، و اعتمد في دراسته على ما توافر له من وثائق ومعلومات استقاها من فروع الأحزاب المعنية في الأردن وخاصة فيما يتعلق بالبدايات والأدبيات السياسية وغيرها.

الفصل الرابع نتائج الدراسة

يحاول الباحث في هذا الفصل الإجابة عن أسئلة الدراسة حسب الترتيب الذي وردت فيه في الفصل الأول انطلاقاً من السؤال المركزي: ما الفكر التربوي للأحزاب السياسية العربية في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين؟

1. الفكر التربوي في برامج الأحزاب الشيوعية العربية

السؤال الأول: ما الفكر التربوي للأحزاب الشيوعية في الأردن وفلسطين وسورية ولبنان والعراق؟

دلت نتائج الدراسة على وجود اهتمام متفاوت بالتربية فلسفة وأهدافاً وغاياتٍ ووسائل لدى الأحزاب المذكورة. وتوضيح ذلك يعرض الباحث هذه النتائج وفقاً للنقاط التالية:

أولاً: مصادر الفكر التربوي ومرجعياته

1. أظهرت الدراسة أن الأحزاب الشيوعية تلتقي في المنطلقات النظرية والأيدولوجية مع سائر الأحزاب الشيوعية في العالم، وأنها تركز إلى النظرية الماركسية - اللينينية باعتبارها "مرشداً للعمل" في رؤيتها للكون والإنسان والحياة.
2. تقوم النظرية الماركسية - اللينينية على المادية الجدلية، والمادية التاريخية ونظريات الصراع الطبقي والثورة الاجتماعية. فالتاريخ صراع دائم بين الطبقات تقرره طبيعة قوى الإنتاج داخل المجتمع. وهو يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى طبقتين متعارضتين إحداهما تستغل الأخرى. ونتيجة هذا الصراع تحدد مسار التاريخ الإنساني عبر العصور.

(Lenin, 1961, Vol.2, Pp 319)

3. أظهرت الدراسة اهتمام الحزب الشيوعي الأردني بالتربية الشيوعية التي يعتبرها "من أهم جوانب تشكيل المجتمع خلال تحوله من الرأسمالية إلى الاشتراكية والشيوعية" حيث يرى أن بناء الاشتراكية والشيوعية غير ممكن دون تحوّل في وعي الناس ومواقفهم وأخلاقياتهم، وأن الممارسة الفعلية للبناء الشيوعي هي أفضل مدرسة للتربية الشيوعية. حيث تمارس عملية صهر الإنسان الجديد تأثيراً كبيراً على التحول العملي للمجتمع. (الحقيقة، حزيران 1984، ص 28).
4. لم تشر أدبيات الأحزاب الشيوعية العربية إلى نظرتها إلى الطبيعة الإنسانية والمعرفة والعقل، ويبدو أنها اكتفت بما جاء في المصادر الماركسية الأساسية دون أن تعطيها أي اهتمام مباشر.

ثانياً: أهداف التربية وغاياتها:

وجد الباحث إشارات عديدة إلى أهداف التربية لدى الأحزاب الشيوعية وهي كالتالي:

- أ. أهداف التربية وغاياتها لدى الحزب الشيوعي الأردني:
1. خلق موقف شيوعي تجاه العمل، وتقدير أهميته الاجتماعية العالية، وإدراك واجب الفرد تجاه المجتمع. "إذ يصبح العمل بالنسبة لإنسان متمرس بروح الشيوعية ضرورة أولية للحياة. وتصبح الفضائل الأخلاقية ملامح لشخصيته وسلوكه".
 2. تشكيل نظرة علمية عامة للعالم. ومن الشروط الجوهرية المسبقة لتحقيق هذه النظرة: الإلمام بالتراث التقدمي، وكل ثروة المعرفة التي حصلت لها الإنسانية.
 3. خلق إحساس مرهف بالجمال.
 4. تأكيد مبادئ الأخلاقيات الشيوعية، كما تتجسد في القانون الأخلاقي للنظرية الماركسية - اللينينية.
 5. اكتساب المعرفة وربط التعليم بالممارسة العملية منذ الصغر. (الحقيقة، حزيران 1984).
- ب. أهداف التربية وغاياتها لدى الحزب الشيوعي الفلسطيني:
1. إنشاء الأجيال الشابة على مُثُل الكفاح المتفاني.
 2. تعميق الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني.
 3. ترسيخ الحياة الديمقراطية انطلاقاً من المؤسسات التعليمية والجامعات. (الحزب الشيوعي الفلسطيني، 1999، ص 48).

ج. أهداف التربية وغاياتها لدى الحزب الشيوعي السوري:

1. تنمية الروح الوطنية والديموقراطية والاشتراكية في نفوس النشء.
2. الربط بين التعليم واحتياجات المجتمع التنموية وتطوير البلاد اقتصاديا واجتماعيا.
3. تحقيق التقدم العلمي وتشجيع البحث العلمي.
4. إحياء كل ما هو وطني وتقدمي في التراث العربي.
5. ضمان تكافؤ الفرص التعليمية والعملية. (البرنامج التربوي للحزب الشيوعي السوري، 1995).

د. أهداف التربية وغاياتها لدى الحزب الشيوعي اللبناني:

1. اكتساب المعرفة العلمية المنهجية.
2. ربط الفكر بالواقع.
3. وظيفة المدرسة الرسمية والجامعة تأمين حد أدنى من تكافؤ الفرص، وصولا إلى ديموقراطية حقيقية للتعليم.
4. إحداث تغيير جذري في بنية المجتمع. (الحزب الشيوعي اللبناني، برنامج 1993).

هـ. أهداف التربية وغاياتها لدى الحزب الشيوعي العراقي:

1. تأمين مستلزمات التقدم التقني والمادي.
2. تشجيع الإبتكار والبحث العلمي.
3. ترسيخ الثقافة الديموقراطية في نفوس الأجيال الجديدة.
4. إشاعة حب العلم والعمل.
5. تعزيز القيم التي تحترم التعددية والتنوع القوميين.
6. ترسيخ مفاهيم الحوار والتسامح والانفتاح على الآخرين ونشر الروح الإنسانية والتقاليد التقدمية والتآخي بين قوميات.

7. تعزيز روابط الانتماء واللغة ووحدة الأرض والثقافة والوشائج الروحية.
8. تحقيق القيم الإنسانية الرفيعة، واحترام كرامة الفرد وتأكيد الخيار الإشتراكي لبناء المجتمع. (الحزب الشيوعي العراقي، وثائق المؤتمر الوطني السادس، 1997).

ثالثاً: عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية:

يعرض الباحث تالياً آراء الأحزاب الشيوعية العربية المشمولة بالدراسة من عناصر التربية ووسائلها

والسياسات التربوية:

- أ. عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية لدى الحزب الشيوعي الأردني:
 1. جعل التعليم إلزامياً حتى نهاية المرحلة الثانوية.
 2. التوسع في بناء المدارس ومراعاة مواصفاتها التربوية الحديثة.
 3. تطوير المنهاج التعليمي وتعميق مضمونه الوطني والإنساني، وربط السياسة التعليمية بالإنتاج.
 4. التقليل التدريجي من ظاهرة المدارس والمعاهد الخاصة وتخفيض رسومها الباهظة.
 5. تحسين ظروف المعلمين ورفع أجورهم.
 6. جعل رياض الأطفال ودور الحضانه من مهام الدولة ومسؤولياتها.
 7. نشر أجواء الديمقراطية والثقة والاحترام المتبادل بين الطالب والمعلم.
 8. إتاحة الفرصة أمام المعلمين والطلاب لتشكيل اتحاداتهم النقابية، ورفع الحظر عن نشاطاتهم السياسية والوطنية، وإلغاء قانون التأديب لطلاب الجامعة.
 9. تقديم منح مالية لفقراء الطلاب والمتفوقين.
 10. زيادة عدد الجامعات لاستيعاب عدد أكبر من الخريجين، والتوسع في إقامة المعاهد المتوسطة: المهنية والتربوية.

11. ضمان استقلالية الجامعات وحرية البحث العلمي.
 12. تكافؤ الفرص أمام جميع الطلاب وإلغاء الامتيازات والاستثناءات في القبول أو البعثات.
 13. تخفيض الرسوم الجامعية وصولاً لمجانبة التعليم التامة.
 14. إقامة المدن الطلابية وتأمين المواصلات السهلة.
 15. التوسع في التعليم المسائي للعاملين الراغبين في مواصلة تحصيلهم العلمي.
 16. القيام بحملة عامة وواسعة لمكافحة الأمية واجتثاثها نهائياً من المجتمع الأردني.
- (برنامج الحزب الشيوعي الأردني، 1983، ص 68).

أما برنامج الحزب لعام 1993 الذي أقره المؤتمر الوطني العلني الأول فقد حدد مهام الحزب في مجال

التعليم والثقافة على الوجه التالي:

1. إعادة النظر في مناهج التعليم لمختلف المراحل التعليمية بهدف تطويرها بما يحقق تنمية الإمكانيات الفكرية والذهنية لدى الطلاب، وتشجيع روح البحث والابتعاد عن التلقين، جنبا إلى جنب مع إشاعة الديمقراطية في العملية التعليمية والتربوية على مختلف المستويات، وربط المدرسة بالإنتاج، ودمج العملية التعليمية والتربوية بحاجات تطوير الإنتاج الوطني الزراعي والصناعي والبحث العلمي.
2. فتح أبواب الجامعات الأردنية لاستيعاب أكبر عدد من الطلاب، وإعادة النظر بالقوانين والأنظمة والأساليب التي تحول دون ذلك؛ لتجنيب الاقتصاد الوطني إنفاق عشرات ملايين الدنانير التي تنفق على التعليم الجامعي سنويا في الخارج، من خلال استبدال نظام الساعات المعتمدة بنظام الصف المفتوح.
3. وضع التعليم الخاص بجميع مراحلها تحت الرقابة الفعالة من قبل الدولة، والتأكد من التزامه بالبرامج والمقررات التعليمية المقررة، ومراقبة الأجور التي يتقاضاها حتى لا يتحول التعليم إلى نشاط تجاري.

4. الارتقاء بالأوضاع المهنية والمعيشية والثقافية للمعلمين في القطاعين العام والخاص.
5. اتخاذ كل الخطوات الممكنة لمنع هجرة العقول والكفاءات العلمية والفنية والعمل على استعادة من هاجر منهم، باعتبار هؤلاء رأس مال بشري كبير وطاقات بشرية فعالة تساهم في عملية النهوض والتطوير الوطني.
6. إيلاء عناية خاصة لإيجاد مؤسسات البحث العلمي والتطبيقي، وتشجيعها لاستيعاب معطيات التقدم العلمي والتقني المعاصر ونشرها في حقول الاقتصاد والإدارة. وتوفير أجواء البحث العلمي والإدارة الديمقراطية والحرية الفكرية اللازمة لتنشيط الإبداع العلمي والثقافي.
7. العناية بالثقافة الوطنية ودعم المنظمات والمؤسسات التي تُعنى بالإبداع الثقافي، وتشجيع الجهود الرامية إلى بعث كل ما هو تقدمي في تراثنا العربي الإسلامي، ومقاومة ثقافات الانحلال والنزعات الاستهلاكية والعدمية المناقضة لقيم العمل والالتزام الوطني. (ص111).

ب. عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية لدى الحزب الشيوعي الفلسطيني:
تضمنت وثيقة برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني في مؤتمره التأسيسي الأول أواخر عام 1983 ووثيقة المؤتمر الثاني عام 1999 ما يلي:

1. "أهمية قطاع المعلمين ودورهم في ميدان تربية الأجيال الشابة وتعليمها" و"المشاركة المباشرة في النضال الوطني وحماية الثقافة الوطنية" و"التصدي لمحاولات المحتلين الإسرائيليين لتخريب العملية التعليمية وطمس الثقافة والتراث الوطنيين الفلسطينيين". وشددت على دور المعلمين في " ترسيخ الحياة الديمقراطية في المؤسسات التعليمية والجامعات"، وفي "تقرير سياساتها" من خلال نقاباتهم واتحادهم. (ص34).
2. "حق الطالب الفلسطيني في التعليم في مستوياته كافة في وطنه، وفي مختلف بلدان الشتات". كما جعلت من مهام الحزب "تطوير نشاط الطلبة وتوسيع قاعدة عمل منظماتهم الجماهيرية". (ص35).

3. توسيع التعليم الثانوي، ومجانيته، خصوصا لأبناء الشهداء والأسرى، وترسيخ الحياة الديمقراطية في المؤسسات التعليمية والجامعات وتعزيز دور نقابات المعلمين واتحاد الطلاب فيها. كما دعت الوثيقة البرنامجية الثانية (عام 1999) إلى احترام حرمة الجامعات وعدم التدخل في شؤونها وحماية الحرية الأكاديمية والعناية بالجوانب التطبيقية.
4. دلت الدراسة على أن الحزب الشيوعي الفلسطيني أولى اهتماما كبيرا لتطوير المناهج وتحديثها، كما يلي:

- وضع منهاج تعليمي فلسطيني متطور، يأخذ بخصائص المجتمع الفلسطيني. ويغذي القابليات الذهنية ويكرس التفكير العلمي.
- توحيد المناهج التعليمية على مستوى الوطن، وتطوير العملية التربوية والتعليمية، في مجالات التدريب والتأهيل والمناهج، وتوفير الكتب المدرسية.
- تعميق المضمون الوطني الديمقراطي في مناهج التعليم. (الحزب الشيوعي الفلسطيني، البرنامج السياسي، 1999، ص 48).

ج. عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية لدى الحزب الشيوعي السوري:

دعا الحزب الشيوعي السوري في مؤتمره السابع تموز 1991 إلى ما يلي:

1. زيادة الاهتمام بقطاع التعليم وإصلاح مناهجه في جميع مراحل، وجعله منسجما مع متطلبات التقدم العلمي، وحاجات تطوير البلاد اقتصاديا واجتماعيا، وتطوير المعاهد التي تدرّس العلوم التطبيقية، ذات العلاقة بالإنتاج وتنمية الروح الوطنية والديموقراطية والاشتراكية في قلوب النشء وتحسين الظروف المعاشية للعاملين في هذا القطاع لمنع هجرة الأدمغة والاختصاصيين، وخريجي الجامعات، وتأمين فرص عمل لهم في حدود اختصاصاتهم، وتشجيع البحث العلمي، بما ينسجم مع حاجات التطور.
2. الاهتمام بتطوير النشاط الثقافي والأدبي والفني ووضعه في متناول الجماهير. وإحياء كل ما هو وطني وتقدمي في تراثنا القومي.
3. العناية بالشباب وزيادة اشتراكهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في البلاد، والعناية بتطوير ثقافتهم ووعيهم ومواهبهم.

4. مساندة اتحاد الشباب الديمقراطي وتوسيع تحالفاته والسعي إلى وحدة عمل منظمات الشبيبة في القطر السوري على أسس ديمقراطية.
5. نشر التعليم المهني. (الحزب الشيوعي السوري، وثائق المؤتمر السابع، 1991، ص 101-102).

أما برنامج الحزب الشيوعي السوري لعام 1995 فقد جاء فيه ما يلي بخصوص التربية والتعليم والشباب:

1. تعزيز رعاية العلم والثقافة والفنون بمختلف أنواعها وتعبيراتها.
2. متابعة الجهود الرامية إلى رعاية الشباب والطلاب وحمايتهم من الفساد والجريمة وتطوير ظاهرة البطالة ومحاربة كل مظاهر التردّي الاجتماعي.
3. رفع سوية التعليم والمعلمين، وضمان تكافؤ الفرص التعليمية، والعمل على تطوير المناهج والبحث العلمي.
4. استكمال برامج محو الأمية. وتجديد الحملات الوطنية العامة للقضاء عليها سريعاً.
5. زيادة الاهتمام بتطبيق اتفاقية حقوق الطفل الدولية واستحداث المؤسسات الخاصة بالطفولة تعليمياً وإدارياً وقضائياً للمساعدة على ذلك. (الحزب الشيوعي السوري، وثائق المجلس الوطني، تموز 1995، ص 16).

د. عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية لدى الحزب الشيوعي اللبناني:

- عام 1984 كلف الحزب الشيوعي اللبناني الدكتور مهدي عامل بوضع ورقة عمل عن نظام التعليم في لبنان، ومع أن هذه الورقة لم تكتمل، إلا أن ما أنجز ونشر منها يكفي لتوضيح وجهة نظر الحزب في هذا الموضوع. (عامل، 1991، ص 17):

- أ. إن وظيفة نظام التعليم في لبنان هي "الإسهام في تأمين التحقق الآلي لعملية إنتاج علاقات الإنتاج القائمة" وهذه وجهة نظر البرجوازية المسيطرة. وهذه الوظيفة تضع نظام التعليم في علاقة عضوية بالنظام السياسي القائم، من حيث أن مهمة هذا الأخير هي تأمين "ديمومة التجدد لسيطرة الطبقة البرجوازية".
- ب. إن علاقة المدرسة الرسمية بالمدرسة الخاصة علاقة تناقض طبقي داخل وحدة النظام التعليمي الواحد الذي هو نظام برجوازي. وهذا يجعل المدرسة "حقلا لصراع طبقي".
- ج. إن نظام التعليم البرجوازي يحمل تناقضه الداخلي، ويخل بشعار ديموقراطية التعليم الذي لا يمكن أن يتحقق في ظل هذا النظام الطبقي.
- د. إن ديموقراطية التعليم، بما تعنيه من تأمين التعليم للجميع، وإلزاميته ومجانيته، تتطلب تعزيز التعليم الرسمي، وهذا يستدعي صياغة برنامج مطبوع واضح الأهداف وتطوير النضالات الطلابية والشعبية الديموقراطية لتحقيق مكتسبات جديدة، لأن تاريخ المدرسة ارتبط منذ الاستقلال بالحركة الوطنية الديموقراطية.
- هـ. عشية الحرب الأهلية كان الوضع التعليمي يتسم بنهوض في الحركة الطلابية والنضال الديموقراطي العام، وهذا عزز موقع المدرسة الرسمية ودورها في نظام التعليم بمراحلته الثانوية والجامعية. واحتدمت المنافسة بين المدرسة الرسمية والمدرسة الخاصة. وتوطدت مواقع الحركة الوطنية والديموقراطية (واليسار بوجه عام) في المدرسة الرسمية: في أعداد طلابها، وأساتذتها، وهيئاتها النقابية، وتوجهها العام. لذا كان ما تسميه الورقة "الحل الفاشي" الذي ارتأته البرجوازية لأزمة نظامها العام، ولنظامها التعليمي والمتمثل في تعطيل عملية التعليم، والعمل على تجهيل أبناء الفئات الشعبية (بصرف النظر عن دينهم أو طائفهم) وتأمين هيمنة المدارس الخاصة الطائفية، وربط النظام التعليمي بالنظام الطائفي التفتيتي.

ويبدو أن استكمال هذه الورقة جاء بعد سنوات طويلة، من خلال القرارات الصادرة عن المؤتمر الوطني السابع الاستثنائي للحزب الشيوعي اللبناني في حزيران 1993 والتي شكلت مشروع برنامج حزبي متكامل بعد خروج لبنان من الحرب الأهلية انطلق من الأسس التالية في المجال التربوي:

أولاً: إعادة بناء شاملة لميدان التربية والتعليم، بدءاً من حلقاته الابتدائية إلى الحلقة الثانوية وصولاً إلى الحلقة الجامعية، ليتحول هذا الميدان من مجرد كمّ غير فاعل إلى حالة نوعية منتجة ومبدعة، تظهر فضل إبداعات العقول اللبنانية في مجالات المعرفة والأبحاث.

ثانياً: احترام الأولوية الثقافية والتربوية - التعليمية في كل المشاريع والخطط الحالية والمستقبلية، وتفعيل دور المجتمع المدني في إطلاق البديل لآليات الحرب والدمار والأزمات، وهذا لن يتم بمعزل عن اندماج الثقافة والمثقفين في هذا المجتمع المدني، وفي مواقع مؤثرة فيه. وهو يتطلب أيضاً فتح الأفق أمام الشباب بتحسين فرص التعليم والأعداد المهني والعمل والضمانات الاجتماعية، وفتح طريق التطور الديمقراطي والعلمنة والتقدم الاجتماعي والثقافي. (الحزب الشيوعي اللبناني، قرارات المؤتمر الوطني السابع الاستثنائي، حزيران 1993، ص 53-59).

وقد تبلور ذلك بشكل أفضل في مشروع البرنامج المقدم إلى المؤتمر الوطني الثامن للحزب في شباط 1998 والذي نص في مجال التربية والتعليم والثقافة العامة على التالي:

1. إن البعد الثقافي شديد الأهمية في بلورة البديل المنشود السياسي - الاقتصادي - الاجتماعي - الحضاري. وهو عنصر مرتبط بالعمل الدؤوب لرفع مستوى وعي اللبنانيين المدني على حساب الانشداد إلى الغرائز الطائفية والمذهبية والعشائرية وكل الأشكال المتدنية من الوعي. ويستدعي ذلك عملاً جريئاً ومثابراً يبدأ في المدرسة والجامعة، وتتابعه وتطور به بفعالية النخب الفكرية والسياسية ومؤسسات المجتمع الأهلي والفنانين والمبدعون.
2. ويحتل التعليم الرسمي دوراً يكاد يكون حاسماً في كل ذلك: فيجب أن يكون التعليم الرسمي والجامعة اللبنانية بمستوى لائق من حيث النوعية وبوضع القادر من حيث الاتساع لاستقبال كل أبناء اللبنانيين الراغبين في الالتحاق بالمؤسسات التعليمية الرسمية، وفي كل المراحل من الروضة حتى الجامعة.

3. إن من شأن ذلك أن يؤدي مجموعة من الأهداف الوطنية الكبيرة دفعة واحدة:
- أ. تعزيز وظيفة الدولة - الرعاية التي توفر للمواطن الخدمة الأهم: المعرفة.
- ب. وضع الأكثرية من أبنائنا في مختبر الانصهار الوطني الواحد إذ لا يجوز أن توكل عملية تنشئة حوالي 70% من التلامذة والطلاب لمؤسسات أكثرها طائفي وتجاري كما هو الواقع اليوم. لقد استخدمت القوى الطائفية التعليم كحقل رئيسي لتغذية وتجديد النظام السياسي- الطائفي، ويجب إذا، النضال من أجل إحباط هذه العملية في حقل التعليم نفسه وبشكل تدريجي ومثابر.
- ج. تخفيف عبء هائل عن كاهل أكثر من نصف العائلات اللبنانية التي يذهب قسم كبير من دخلها للإنفاق على التعليم، فتقع في العجز والعوز والديون.
- د. يتصل بذلك تأمين أدوات وحدة التوجيه ووحدة التنشئة، وتوحيد كتب التاريخ وإقامتها على الأسس الموضوعية والوطنية والحضارية التي يستطيع بها لبنان أن يتمايز ويصبح فعلا منارة علم وإشعاع حرية وتقدم.
- هـ. إن التوظيف في مجال التنمية البشرية هو أعلى أشكال التوظيف مردودا. وهو في الظروف اللبنانية، وبعد سنوات الحرب الطويلة، عنصر أساسي في عملية التأهيل الشاملة المنشودة. أما فائدته فليست محصورة بلبنان، بل هي تطاول المنطقة عموما في عدد من المجالات والحقول. وينبغي في هذا الصدد إيلاء كامل الاهتمام للجيل الجديد، للشباب، الذين ينبغي أن تتوفر لهم فرص المشاركة المبكرة في الشأن العام (تعديل سن الاقتراع) وفي النشاط الأهلي والديموقراطي. يضاف إلى ذلك تطوير الفروع التطبيقية والمهنية وتحسين شروط ممارسة الهوايات المفيدة: الرياضة والثقافية منها على وجه الخصوص. كذلك هو الأمر بالنسبة للمرأة: مشاركة ومساهمة ومساواة. (الحزب الشيوعي اللبناني: الوثائق التحضيرية للمؤتمر الوطني الثامن، شباط 1998، ص 42-43).

هـ. عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية لدى الحزب الشيوعي العراقي:

أشارت الوثيقة البرنامجية للمؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في تموز 1997 في

المجال التربوي إلى ما يلي:

- إعادة النظر في نظام التعليم بما يتفق وتأمين مستلزمات التقدم التقني والمادي، وإرساء قواعد تعليمية متطورة، وتشجيع الابتكار والبحث العلمي.
- وضع خطة علمية لاستكمال عملية مكافحة الأمية، وضمان التعليم المجاني في المراحل الدراسية المختلفة.
- إزالة سياسة "التبعيث" في مناهج المنظومة التربوية - التعليمية وفي الانتساب للهيئات التعليمية ونقابتها، وفي النشاط المدرسي والطلابي واعتماد بديل ديمقراطي لهذه السياسة المدمرة لقيم الجيل الجديد وسلوكه.
- حماية المعلم وحقوقه واحترام الهيئات التدريسية وضمان تهيئة الأجواء الكفيلة بإشاعة العلم وحب العمل والممارسة الديمقراطية في الحياة الدراسية.
- العناية بالثقافة وحفزها واعتبارها وسيلة للتنوير والارتقاء الروحي وشرطا لتطوير المجتمع وأسننته، من جانب، وغاية في حد ذاتها من جانب آخر.
- ضمان حرية الثقافة والإبداع واستبعاد كل ما يمكن أن يقيدهما والسهر على وضع ثمارها في متناول سائر فئات الشعب.
- احترام التعددية والتنوع القومي في ثقافتنا الوطنية ودعم انفتاحها وتفاعلها مع سائر روافد الثقافة الإنسانية وتياراتها.
- تعديل قانون الأحوال الشخصية بما يتناسب وإلغاء التمييز بين المرأة والرجل في الحقوق السياسية والمدنية والشخصية، وحماية الأمومة والطفولة، ونشر دور الحضانة ورياض الأطفال المجانية، وإلغاء كل القيود التي تحد من ممارسة هذه الحقوق.

* التبعيث: نسبة إلى حزب البعث وأيديولوجيته وبرامجه.

- الارتقاء بدور ونشاط و حياة الشبيبة والطلبة، ودعم حقوقهم الديموقراطية في التنظيم الطلابي والشبابي، وتشكيل النوادي والفرق الثقافية والفنية والرياضية، وإيلاء اهتمام خاص للشبيبة العمالية وتحسين مستوى حياتهم وضمان التعليم المجاني لهم، وتوفير الأقسام الداخلية للطلبة من المفاهيم الفاشية الشوفينية وضيق الأفق القومي والطائفية، ونشر الروح الإنسانية والتقاليد التقدمية والتآخي بين القوميات في صفوفهم.
- تعزيز روابط الانتماء واللغة ووحدة الأرض والثقافة والشائج الروحية.
- إنهاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتحقيق القيم الإنسانية الرفيعة، واحترام كرامة الفرد وتأكيده الخيار الاشتراكي لبناء المجتمع في المستقبل إدراكا من الحزب لواقع أن التطور الرأسمالي لن يحل أزمة المجتمع. (من وثائق المؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي العراقي، تموز 1997، موقع الحزب على الإنترنت).

كما أن المجلس الحزبي الخامس (الكونفرنس) الذي انعقد في تموز 1999 انتقد "استمرار الإهمال المريع لقطاع التربية والتعليم، وتجاهل احتياجاته، وخفض الإنفاق عليه من الميزانية العامة، كما من الميزانيات الدورية لبرنامج النفط مقابل الغذاء، وقضم مجانية التعليم والمباشرة بتسليعه". وجاءت في تقرير المجلس إشارة إلى "التراجع الكبير في مستويات الدراسة بجميع مراحلها، وتدهور التعليم. وهو ما انعكس على أحوال المباني المدرسية والصفوف الدراسية، وعموم مكونات العملية الدراسية، وانهار أوضاع المعلمين والمدرسين المعيشية حيث اضطر 67 ألفا منهم إلى ترك سلك التعليم". كما أوضح التقرير أن "تسرب التلاميذ قد ازداد فبلغ عام 1998/1997 أكثر من 112 ألفا، وانخفضت معدلات النجاح، وارتفعت نسبة الأمية حتى بلغت عام 1999 وفقا لمعلومات البنك الدولي إلى 44% بين من تبلغ أعمارهم 15 سنة فما فوق من المواطنين" (التقرير السياسي للمجلس الحزبي الخامس، تموز 1999، موقع الحزب على الإنترنت).

رابعاً: أهم القضايا التربوية لدى الأحزاب الشيوعية العربية:

لاحظ الباحث اهتمام الأحزاب الشيوعية العربية بعدد من القضايا التربوية والتعليمية مثل: ديمقراطية التعليم وإلزامية التعليم ومجانيته والتعليم الرسمي ومهمة الجامعة واللغات الأجنبية والتعليم الخاص وغيرها. ويعرض تالياً أهم هذه القضايا لدى كل حزب من هذه الأحزاب:

أ. أهم القضايا التربوية لدى الحزب الشيوعي الأردني.

مجانية التعليم:

تضمن البرنامج الأول للحزب الشيوعي الأردني في عام 1951 بنداً خاصاً بالتعليم جاء فيه: " - جعل التعليم في جميع مراحل مجانياً، وضمان هذا الحق لجميع أبناء الشعب وبناته، وتحرير العلوم والثقافة من الأفكار الاستعمارية والرجعية والعنصرية". (جريدة المقاومة الشعبية، حزيران 1951، ص1).

وقد دلت الدراسة على أن البرنامج الانتخابي لقائمة مرشحي الكتلة الشعبية لانتخابات النيابية الأردنية في خريف عام 1951، وهي كتلة كوّنوها الحزب الشيوعي الأردني وضمت عدداً من أعضائه وأنصاره، تضمّن سبعة بنود خصّص السابع منها للمطالبة "بافتتاح جامعة وطنية والسماح بتكوين اتحاد للطلبة الأردنيين، واتحاد للمعلمين الأردنيين". (ح. ش. أ، 2001/1، ص46). أما برنامج الحزب الشيوعي الأردني الانتخابي في تشرين الأول 1954 فقد تضمن ثمانية عشر بنداً منها البند الرابع عشر الذي نص على التالي: "تعميم التعليم الابتدائي المجاني الإلزامي، وتوسيع شبكة التعليم الثانوي، وإزالة العقبات أمام إنشاء جامعة وطنية". بينما جاء في البند السادس عشر ما نصه: "توجيه الثقافة الوطنية توجيهاً وطنياً وحماية الشعب من ثقافة التفسخ والانحلال الاستعمارية، ومنع الأفلام والمجلات الخلاعية". (ح. ش. أ، المصدر نفسه، ص49).

في كانون الأول 1983 أقر المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الأردني برنامجاً جديداً. وقد حلل

الحزب الوضع التعليمي في الأردن ونقده نقداً شديداً على الشكل التالي:

1. تقوم فلسفة التعليم في بلدنا على أساس توفير كادر لجهاز الدولة، لا على أساس احتياجات الاقتصاد الوطني والمتطلبات الفعلية للبلد. وفي ظرفنا الراهن اتسعت هذه النظرة لتبلي الحاجات الوظيفية في دول النفط المجاورة، حتى لقد غدا شعار تصدير الإنسان "مدعاة لمباهاة السلطة.
2. ترتبط السياسة التعليمية بالسياسة الرسمية اللاديموقراطية للسلطة، وبنهجها الاقتصادي البعيد عن خلق تنمية حقيقية تساهم في إرساء الاقتصاد الوطني السليم.
3. لا تزال العملية التربوية، سواء في مرحلتها الثانوية، أو الجامعية بعيدة كل البعد عن الروح الديموقراطية.
4. تخلو المناهج الدراسية من أية تربية وطنية صحيحة من شأنها خلق أجيال مفعمة بحب الوطن والشعب.
5. المناهج الدراسية محشوة بالنظريات والأفكار التي لا تتماشى مع روح العصر ومتطلباته ومقطوعة الصلة بالعملية الإنتاجية.
6. بسبب هذه السياسة يجري إبعاد العناصر التقدمية والديموقراطية عن العمل في هذا الجهاز الحيوي (المقصود جهاز التربية والتعليم)، وإحلال العناصر الرجعية والمتسترة بالدين، لتتبوأ المراكز الرئيسية في التوجيه التربوي. وتخضع الهيئات التدريسية لرقابة الأجهزة الأمنية وتعسفها، فهي عرضة للفصل والمؤاخذة، عند أي اشتباه، ومحظور عليها العمل النقابي والسياسي والوطني.
7. يعاني المعلمون من غبن فاحش، ومن سوء أوضاعهم التعليمية والمعيشية، مما يضطر أقساماً غير قليلة منهم للقيام بأعمال إضافية خارج أوقات الدوام في مجالات لا تمت بصلة لمهنة التعليم السامية، الأمر الذي يؤثر سلباً على عطائهم التعليمي بشكل ملموس.

8. وفي مجال الحركة الطلابية، حلت الحكومة اتحاد طلبة الجامعة، مثلما حلت اتحاد المعلمين(*)).
9. تفتقر المعاهد والجامعات إلى حرية البحث العلمي الأكاديمي في العديد من العلوم الإنسانية كالفلسفة والاقتصاد والاجتماع، وتسيطر عليها أجواء "أمنية" تحرمها من أداء رسالتها الحقيقية كمؤسسات ثقافية وعلمية ومنابر للفكر الحر يتخرج منها مواطنون أحرار.
10. تقف السياسات التعليمية موقف العداء من ديموقراطية التعليم التي أصبحت أساساً لأية عملية تربوية ناجحة.
11. التوسع في حجم التعليم تم تحت ضغط الحاجة للتعليم باعتباره وسيلة للعمل والرزق، خاصة في الدول النفطية، في ظل ضعف البنية الاقتصادية، وضيق فرص العمل في الصناعة والزراعة في الأردن، وجاء ذلك بعيداً عن أية برمجة أو تخطيط سليمين.
12. لم يترافق التوسع في التعليم مع تغيرات جذرية في المناهج التربوية. فالإتجاه نحو التعليم المهني ظل إتجاهاً ضعيفاً، لا يلبي الإحتياجات الوطنية، وظلت نسبة التعليم الأكاديمي بشقيه العلمي والأدبي، في المرحلة الثانوية هي النسبة الطاغية بين سائر الفروع، وكذلك الأمر في المعاهد وكليات المجتمع المتوسطة. أما في الجامعات فإن ما يغلب على الدراسة فيها هو طابع المواضيع النظرية وليس طابع العلوم التطبيقية.
13. يشكل التعليم في المدارس والمعاهد الخاصة بنسبة 20% من مجمل التعليم العام، وقد اتسعت هذه الظاهرة بفضل انعدام التخطيط وضآلة ميزانية التربية والتعليم، وهو ما يتفق وسياسة الدولة في التقنين على كل ما يهم الشعب وجماهيره الكادحة. وتتقاضى المدارس والمعاهد الخاصة رسوماً باهظة الأمر الذي جعل التعليم سلعة.

(*) إشارة إلى اتحاد سري أنشأه الحزب الشيوعي نفسه ولم يكن علنياً، إذ لم يتشكل أي اتحاد رسمي للمعلمين في الأردن أبداً

14. إن العملية التربوية تواجه مأزقا سيزداد تفاقمًا، إذا بقيت بعيدة عن التخطيط، ومقطوعة الصلة بالعملية الإنتاجية. وسيؤدي النهج التعليمي، إذا ما استمر على حاله، إلى حرمان بلدنا من عناصر علمية وفنية تنهض بالاقتصاد الوطني وتبني أسس رخاء المواطن وحرية.
15. ولهذا فإن إعادة النظر في السياسة التعليمية قد أضحت ضرورة ملحة، مثلما هي ملحة أيضا إقامة قاعدة إنتاجية لاقتصاد وطني سليم، ترتبط معه العملية التعليمية وتواكب تطوره ومتطلباته.
- (برنامج الحزب الشيوعي الأردني، كانون الأول، 1983، ص 1-2 وص 49-51).

ب. أهم القضايا التربوية لدى الحزب الشيوعي الفلسطيني:

أكدت وثائق الحزب الشيوعي الفلسطيني أهمية الوصول إلى ديمقراطية التعليم ومجانيته وإلزاميته في المراحل الدراسية الأولى على الأقل ودعت إلى التوسع في التعليم الثانوي والجامعي وبرامج محو الأمية وتعزيز دور اتحادات الطلاب والمعلمين واحترام حرية الجامعات والعمل الأكاديمي.

وجاء التعليم في طليعة ما وصفه برنامج الحزب لعام 1999 بـ "مهمات التنمية الاجتماعية" رابطا بين العامل الوطني والعامل الاجتماعي، مؤكدا على الاهتمام بالجوانب التطبيقية للعلوم المختلفة في الجامعات، وبما يتناسب مع حاجات البلاد.

ج. أهم القضايا التربوية لدى الحزب الشيوعي السوري:

لاحظ الباحث أن الحزب الشيوعي السوري اهتم بقضايا مماثلة لدى غيره من الأحزاب الشيوعية العربية مثل ديمقراطية التعليم ومجانيته وإلزاميته، والربط بين التعليم واحتياجات المجتمع وضمان تكافؤ الفرص التعليمية والعملية، والمطالبة بإصلاح نظام التعليم العام وربط المناهج التعليمية بمتطلبات التقدم العلمي وتطوير البحث العلمي في الجامعات والتركيز على تدريس العلوم التطبيقية ونشر التعليم المهني واستكمال برامج محو الأمية. وهذا ما أشارت إليه برامج الحزب بشكل عام.

د. أهم القضايا التربوية لدى الحزب الشيوعي اللبناني:

ديموقراطية التعليم

يرى الحزب الشيوعي اللبناني أن المكاسب الديموقراطية التي حققتها الطبقة العاملة في ميدان التربية والتعليم (تعميم التعليم الأساسي وإلزاميته، وحتى مجانيته في بعض الدول الرأسمالية) فرضها أيضا تطور الرأسمالية، كما فرضتها حاجة الرأسماليين إلى تطوير استثماراتهم واستغلالهم للكادحين. إلا أن الحزب يذهب إلى القول "أن هذه المكتسبات يجري إفراغها من محتواها الديموقراطي، وتقليصها إلى حدود تفرضها مصلحة الاحتكارات وأرباب العمل: التخصص المبكر، إقامة الحواجز بين مختلف المراحل التعليمية، عزل التخصص عن حاجات المجتمع وقضاياها، عزل الدراسة عن مختلف مظاهر الثقافة العامة، خاصة الفنون، إلى جانب الاهتمام بنشر أيديولوجية الطبقة المسيطرة وتعميمها". ولذلك فإن "ديموقراطية التعليم ليست معزولة عن قضايا التغيير الاجتماعي الجذري التي تفرضها ضرورة القضاء على جميع أشكال الاستثمار والقهر الطبقيين؛ لأن ديموقراطية التعليم الحقيقية ترفع المستوى الثقافي لجميع أفراد الشعب، وتطلق كافة إمكانات الإبداع والخلق أمام الجماهير. وحين يناقش الحزب أزمة الجامعة اللبنانية نجده يؤكد على ضرورة إيجاد جامعة ديموقراطية، ومشاركة حقيقية من الحركة الطلابية الواسعة، ومن أجل قيادة ديموقراطية للاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية. وفي وثيقة بعنوان "جامعة ديموقراطية" يرى أن السياسة التعليمية للبرجوازية اللبنانية حددت لها ثلاثة محاور هي:

1. توجه تعليمي غير ديموقراطي موجه نحو فرز نخبة تتفاوت مراتبها تبعا

لدرجات السلم التي تقتضيها مصالح الفئات المتربعة على قمة الهرم

الاقتصادي والاجتماعي، فارتبط التعليم بتأمين الحاجة إلى الكادرات العليا

(وتكفلت بها الجامعات الأجنبية منذ الانتداب، وهي تحرص على تأمينها

حتى الآن، حرص سلطة البورجوازية ذاتها)، وتأمين الكادرات المتوسطة

والصغيرة (وتكفلت بها الجامعة اللبنانية والمدرسة بشكل عام).

2. توجه تعليمي غير ديموقراطي كرس التفاوت الطبقي الهائل في التطور بين المناطق والطوائف التي يتكون منها لبنان الحديث.
3. توجه تعليمي غير وطني تحدده سيطرة المؤسسة الأجنبية والطائفية الخاصة، وتحدد أبرز سماته: عزل المثقفين والطلاب عن المحيط العربي، وعن واقع المجتمع اللبناني نفسه، وقام هذا العزل على جناحين: جناح نشر أيديولوجية البرجوازية، واحتقار كل ما يشد اللبناني إلى مجتمعه وإلى محيطه الثقافي والتراثي؛ وجناح جعل اللغة الأجنبية لغة التعليم والثقافة، وحتى لغة التخاطب اليومي.

وعلى هذه المحاور تحددت تناقضات تلك السياسة التعليمية اللاوطنية واللاميموقراطية على أكثر من ثلاثين عاما .. وما تزال .. في حين وقفت الحركة الشعبية والطلابية في وجه تلك السياسة لتنتزع عدة مكاسب (توسع التعليم الرسمي، وإنشاء الجامعة اللبنانية خصوصا). فوصول فئات اجتماعية شعبية إلى المدرسة، وبنسبة أقل إلى الجامعة، لم يكن ممكنا إلا من خلال المدرسة الرسمية والجامعة اللبنانية (الحكومية).

وعلى الرغم من ذلك فإن الدولة اللبنانية التي اضطرت إلى هذا التوسع لم تكن بعيدة - في نظر الحزب الشيوعي- عن عوامل إيقافه، بل وتراجعته في ما بعد.. فالتأخر في دخول المدرسة، الذي يطال بشكل رئيسي أطفال الطبقات الفقيرة والكادحة والمدارس المبعثرة، والمعلمون غير المعدّين للتعليم، وانعدام الحد الأدنى من التجهيزات، كانت كفيلا بمنع تلامذة المرحلة الابتدائية في المدارس الرسمية والمجانية من متابعة دراستهم بالكثافة ذاتها. وتكفلت مناهج المرحلة الثانوية (البكالوريا بقسميها) وأنظمة امتحاناتها بمن تجرأ وتابع دراسته، إلى جانب عوامل أخرى كتحديد سن القبول، في السنة الأولى المتوسطة والثانوية، وامتحانات الدخول، وتحديد عدد المقاعد الدراسية. (الحزب الشيوعي اللبناني: جامعة ديموقراطية، 1974، ص3-6).

الجامعة اللبنانية:

رأى الحزب أن قضايا تطوير الجامعة الوطنية وتعزيزها، وفتح أبوابها أمام المزيد من الطلاب تتخذ أكثر فأكثر طابعا وطنيا وديموقراطيا يهم فئات واسعة من جماهير الطلاب. (المصدر نفسه، ص16-17).

واعتبر الحزب أن مهمة الجامعة اللبنانية هي مهمة أكاديمية أساسية باعتبارها أحد مراكز إنتاج المعرفة ونقلها إلى أوسع الناس، ومهمة اجتماعية كمركز من مراكز إعداد الكادرات اللازمة لحاجات تطور لبنان الحقيقية، ووسيلة للتزقي الاجتماعي، وتحسين مستوى تحصيل الطلاب العلمي والمهني.. إذ لم يعد ممكنا أن تبقى الجامعة "برجاً عاجياً" لا تلجأ إلا النخبة التي تملك بالوراثة "مقومات" لا تتوافر للأكثرية الساحقة من أبناء الشعب، ذلك أن الحق في تعليم دائم ومتنوع أصبح من الحقوق الأساسية للمواطن، وعلى الجامعة أن تؤمن هذا الحق للجميع. ومن هنا دعت الوثيقة إلى أن تشمل الجامعة اللبنانية كليات ومعاهد تؤمن جميع فروع التعليم العالي، وتأمين الظروف المادية الملائمة لتفرغ الطلاب للدراسة والتحصيل العلميين عن طريق تعميم نظام المنح الوطنية الذي انتزعت منه الحركة الطلابية وإلغاء القيود على دخول الجامعة ومتابعة الدراسة فيها، وتوفير "الفرص المتكافئة" للجميع بدون قيود أو حواجز، وانفتاح الجامعة على مختلف التيارات والأفكار في مناخ من الحرية الحقيقية. (ص19-20).

التعليم الرسمي ما قبل الجامعي:

وجد الباحث في هذا الخصوص وثيقة مهمة أعدها عام 1985 "اتحاد الشباب الديمقراطي

اللبناني" وهو تنظيم تابع للحزب الشيوعي اللبناني، وعنوانها "أزمة التعليم وطريق الحل".

وتشير الوثيقة إلى أن الوضع التعليمي في لبنان كان يعاني من أزمة عميقة في داخله. وهي أزمة

متصلة بسياسة سلطة البرجوازية تجاه التعليم الرسمي ما قبل الجامعي، وهذه السلطة ظلت تحاول حل الأزمة بـ "تلزيم التعليم الرسمي للقطاع الخاص". وتعارض الوثيقة هذا الحل وتشير إلى تمثل عناصر الأزمة بالتالي:

أ. البرامج والمناهج التعليمية ومشكلة اللغة الأجنبية:

فهذه البرامج التعليمية المطبقة منذ عام 1968، ليست بأحسن من سابقتها، وإن تكن نالت تحسينا نسبيا ضئيلا. فهي ما تزال مطبوعة بطابع الحشو، بدلا من أن تركز على تنمية ذكاء التلميذ وتعطيه ما يحتاجه من الثقافة العامة والقدرة على التحليل. كما أنها -حسب الوثيقة- تشكل أداة البرجوازية الحاكمة الفعالة في نشر أيديولوجيتها المتمثلة في التركيز على "شطرة اللبناني" ووضعه الاستثنائي في العالم بحبه لـ "المغامرة"، والتأكيد على أن لبنان لا يمت لمحيطه العربي بصلة لأنه "ملتقى الحضارات، ونقطة الوصل بين الشرق والغرب" ولأن "غالبية أبنائه من أصول فينيقية" .. مع التركيز على هوية لبنان المتميزة عبر تدريس اللغة الأجنبية وكأنها "اللغة الأم للتلميذ". (ص11-12).

أما الكتب التي تدرس في لبنان - فهي مختلفة ومتنوعة باختلاف المدارس وتنوعها. وقيمتها العلمية والثقافية متفاوتة، وصلتها ضعيفة بالبرامج، وهي مادة تجارة رابحة وأسعارها تزداد سنة بعد أخرى. (ص12-13) أما مشكلة المناهج، فهي قديمة ومزمنة، وازدادت سوءا مع الزمن، ولم يعد هناك "مرحلية في التعليم" بعد إلغاء امتحانات الشهادة المتوسطة، دون أن تجري تعديلات جذرية وجذرية في المناهج. (ص12).

ب. سياسة إفقار التعليم الرسمي:

وفي هذا الخصوص أشارت الوثيقة إلى أن التعليم الرسمي ما قبل الجامعي قد شهد خلال الفترة 1968 و1977 زيادة مهمة في إعداد التلاميذ، وفي كل مراحلها بلغت 31% بينما تراجع عدد تلاميذ الروضة بنسبة 27%. ولم تترافق تلك الزيادة بتأمين البناء المدرسي اللائق والمجهز، بل لجأت وزارة التربية إلى استئجار مبانٍ معظمها غير صالح للتدريس إلى جانب تشتت مباني المدرسة الواحدة الأمر الذي يحدّ من إمكانيات الاستخدام الأمثل للتجهيزات التربوية.

وأشارت الوثيقة إلى انخفاض عدد المدارس التي تملكها الدولة من 185 مدرسة عام 69/68 إلى 145 مدرسة (عام 81/80) وهي تشكل 11% من العدد الإجمالي، مع أن الأبنية غير صالحة وتفتقر إلى الشروط الصحية اللازمة. وهكذا فإن التطور الإيجابي في أعداد تلاميذ المدارس الرسمية قد أخذ يتحول سلبيا منذ العام الدراسي 1978/1977 فبدأت أعداد الطلاب في التناقص تدريجيا في كل المراحل. (ص14-15).

ج. إعداد المعلمين وتأهيلهم:

عزت الوثيقة النهوض الذي شهده التعليم الرسمي في فترة ما قبل الحرب الأهلية إلى "الهيئة التعليمية المدربة والمتخصصة التي خرّجتها كلية التربية وبعض كليات الجامعة اللبنانية ودور المعلمين والمعلمات.." إلا أنها أشارت إلى أن ذلك النجاح لم يكن مريحا للسلطة البرجوازية مما أدى إلى لجوئها إلى "تقليص وجود كلية التربية من أجل تخفيض التعليم الثانوي الرسمي، والنيل من مكاسب الهيئة التعليمية" وصولا إلى "إلغاء دور كلية التربية في إعداد المعلمين وتأهيلهم، وإلغاء دور المعلمين والمعلمات نهائيا.." (ص19).

د. السعي إلى تلزيم التعليم الرسمي للقطاع الخاص:

لقد بيّنت الوثيقة أن "البرجوازية الحاكمة" سعت منذ نشوء التعليم الرسمي إلى "القضاء عليه، ومحاربة تطوره" للإبقاء على "هيمنة الإرساليات وترسيخ الطبيعة الطبقيّة للتعليم" ولهذا فقد لجأت إلى خلق تعليم من نوع جديد "هو التعليم الخاص المجاني" وأمنت الدولة لهذا القطاع ملايين الليرات سنويا، دون أية رقابة جدية منها على المعلمين أو العاملين، أو التجهيزات الأساسية أو على البرامج والمناهج.. وعملت على أن يحل هذا القطاع الخاص محل التعليم الرسمي.. وبذلك يؤمن لها تعليما ضعيفا لأبناء الفقراء ذا طابع طائفي، لا يخضع للتوجيه التربوي الموحّد، ويعد طلابه من أبناء الفئات الشعبية الكادحة للمهمات الدنيا التي تسعى جاهدة لحصرهم ضمن إطارها.. ويضمن تجديد الكادرات الوسيطة أو العليا الضرورية لاستمرار سيطرة البرجوازية الحاكمة. (ص20-21).

هـ. بعض انعكاسات الحرب الأهلية على التعليم الرسمي:

- لقد عانى التعليم الرسمي من النتائج السلبية للحرب الأهلية التي أثرت عليه بمستوى تأثيرها على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة - حسب الوثيقة- ومن ذلك:
- ظاهرة إقفال المدرسة الرسمية عند أي توتر أمني في وقت تستمر فيه المدارس الخاصة في التعليم، مما ينعكس على مسألة إتمام البرامج المقررة.
- الضغوطات لترفيح بعض التلاميذ الراسبين، وإلغاء الامتحانات الرسمية، كما حصل عامي 1979 و1985، وتطور الغش المنظم، مما ساهم في تدهور مستوى التعليم وجعل الشهادة الرسمية اللبنانية ورقة لا قيمة لها. بينما أعيد العمل بنظام معادلة الشهادات الأجنبية مما عمّق الهوة بين التعليم الخاص والتعليم الرسمي.
- اضطرار الهيئة التعليمية إلى التعاقد مع المدارس الخاصة لتحسين ظروفها المعيشية، مما يرهق المعلم ويضعف قدرته على العطاء. (ص25-26).

نظام التعليم في لبنان:

ومن المساهمات الحزبية المهمة في الشأن التربوي والتي تعكس الفكر التربوي للحزب الشيوعي اللبناني الملف الذي نشرته مجلة الحزب النظرية (الطريق) عن قضايا التربية والتعليم في لبنان، وقد أعدته مجموعة من الأساتذة العاملين في التعليم الجامعي والثانوي، من أعضاء الحزب وأنصاره، ومن أبرزهم المفكر والمنظر الشيوعي المعروف مهدي عامل (*). وضم الملف تحليلاً لنظام التعليم في لبنان ودراسة عن قضية كلية التربية في الجامعة اللبنانية من خلال ارتباطها بتلك الجامعة من جهة، ومن خلال علاقتها بأوضاع التعليم بمختلف مراحلها، من جهة ثانية؛ كما ضم بعض الاستنتاجات والمقترحات حول القضايا المتصلة بتطور أزمة نظام التعليم القائم وعلاقتها بقضايا التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للبنان، سعياً لإصلاح ديمقراطي لمنهج التعليم وبرامجه في لبنان. وقد جاء هذا الملف في عدد الطريق المزدوج (10 و11) الصادر عن شهري تشرين الأول والثاني من عام 1970.

ويرى مهدي عامل في دراسته عن نظام التعليم في لبنان أن عملية التعليم عملية اجتماعية تتحقق في إطار نظام تعليمي له بالضرورة طابع اجتماعي. ويحدد علاقة النظام التعليمي في لبنان بالنظام الأيديولوجي السائد فيه من خلال تحقيق سيطرة الأيديولوجية البرجوازية اللبنانية إلى جانب سيطرتها الاقتصادية والسياسية على بقية الطبقات الاجتماعية القائمة. وهذه السيطرة ضرورة لإعادة إنتاج علاقات الإنتاج الاجتماعية، وإبقائها في إطارها الطبقي الثابت. وهنا تظهر أهمية إخضاع النظام التعليمي للمصالح الطبقيّة البرجوازية اللبنانية، عن طريق إخضاعه لأيديولوجية هذه الطبقة السائدة، وصهره كأداة اجتماعية تتحقق بها سيطرة الأيديولوجية المهيمنة. ويعالج عامل في هذه الدراسة أهم عناصر العملية التعليمية وهي: المؤسسات التعليمية والبرامج ونظام الامتحانات. (ص4).

(*) اسمه الحقيقي: حسن حمدان، وكان أستاذاً لعلم الاجتماع السياسي بالجامعة اللبنانية، وقد اغتيل في 18 أيار 1987 في بيروت، انظر: النظرية والممارسة في فكر مهدي عامل، بيروت،

ويشير إلى أن المؤسسات التعليمية هي الإطار الاجتماعي العام الذي يتحرك فيه نظام التعليم في لبنان. فالمادة التعليمية، أي ما يتعلمه الطالب في المدرسة خلال سنوات معينة، لا تتحدد فقط بانتمائها إلى أيديولوجية معينة، بل كذلك بوجودها داخل مؤسسة تعليمية محددة هي مركز وجود اجتماعي للأيديولوجيا التي تنبثق عنها هذه المادة التعليمية. ومعنى هذا أن أي تغيير جذري في نظام التعليم يحاول تحرير هذا النظام من سيطرة البرجوازية، لا بد أن يستهدف المادة التعليمية نفسها؛ لأن المادة التعليمية لا توجد فعليا إلا في القالب الأيديولوجي الذي تصهره فيه المؤسسات التعليمية نفسها. (ص5).

ويرى أن هذه المؤسسات متعددة، وهي قسمان: مؤسسات أجنبية، ومؤسسات محلية. وأن المؤسسات الأجنبية "كلها مؤسسات استعمارية" ما عدا واحدة منها هي جامعة بيروت العربية التابعة لجامعة الإسكندرية المصرية. وأهمها مؤسستان: أميركية وفرنسية. وفيهما "تتوافر كل مراحل التكوين الأيديولوجي للطالب، من الحضارة إلى الجامعة. أما باقيها كالإنجليزية والألمانية والإيطالية فمراحل التعليم فيها تتوقف عند نهاية المرحلة الثانوية، لكن التكوين التربوي للطالب، في إطار اعتباره الأيديولوجي الذي تمثله هذه المؤسسات، يستمر بشكل عام إلى نهاية المرحلة الجامعية، لأن الطالب لا بد سيتابع دراسته الجامعية باللغة التي أنهى بها دراسته الثانوية، إلا في حالات استثنائية. ويخلص من ذلك إلى التأكيد على أن القائمين على السياسة التعليمية في لبنان قد أعطوا المؤسسات الاستعمارية الأجنبية حق تكوين الوعي الاجتماعي عند النشء اللبناني وصهره، من الحضارة إلى الجامعة، أي من الطفولة إلى الرجولة، في بوتقة الأيديولوجية الاستعمارية. ومع تأكيده على وحدة مختلف هذه التيارات الأيديولوجية الاستعمارية في مواجهتها الصراعية للثقافة الوطنية؛ فإنه يلاحظ أن التناقض بينها تناقض ثانوي، وأن التيار الغالب بينها والمسيطر على نظام التعليم اللبناني هو التيار الأمريكي الذي يعكس "الثقافة" الأمريكية. (ص7).

أما المؤسسات المحلية فتتنقسم إلى قسمين: مؤسسات خاصة، ومؤسسات رسمية، حسب رأي مهدي عامل، والخاصة قسماً: الأول: تجاري، والثاني: طائفي. والمؤسسات التعليمية التجارية تكاد تنحصر في المدن الكبرى، وفي بيروت على الأخص. ووجودها الاجتماعي ينحصر في دورها التجاري وليس التربوي .. وربما كان لها دور أيديولوجي خفي يختلف عن دور المؤسسات التعليمية الأجنبية؛ لأنها ليست مؤسسات تعليم بل مؤسسات تجارة أفرزها نظام التعليم نفسه، للقيام بمهمة معادية للتعليم، تخدم الأساس الطبقي للنظام التعليمي المتصل بحصر التعليم بفتنة محدودة من أبناء المحظوظين، وحرمان أكبر عدد من أبناء الجماهير الكادحة من هذا التعليم. إذ أن نسبة النجاح في هذه المؤسسات لا تتجاوز 10% . (ص9).

أما المؤسسات الطائفية: فلا يعتبرها عامل مؤسسات وطنية، لأنها مؤسسات تابعة، بشكل عام، للمؤسسات الاستعمارية مادياً وأيديولوجياً. ووجودها مرتبط بالمساعدات المالية وغير المالية التي تتلقاها من الدول الاستعمارية، وهذا ما يفسر طبيعة الدور الذي تقوم به المؤسسات الطائفية في خدمة الأيديولوجيا الاستعمارية بشكل مباشر. وهناك تفاوت بين هذه المؤسسات في الدور الأيديولوجي الذي تقوم به. أي أن العلاقة الأيديولوجية التي تربطها بالاستعمار تختلف من مؤسسة إلى أخرى. وهنا يلاحظ عامل أن التيار الإسلامي، مثلاً، في بعض المؤسسات كان له أثره في إضعاف علاقتها بالأيديولوجية الاستعمارية؛ لارتباط هذا التيار، في شروط تاريخية محددة، بتطور الحركة الوطنية التحررية العربية. (ص9-12).

وحين ينتقل إلى الحديث عن المؤسسة الرسمية يرى مهدي عامل أنها "ليست مؤسسة وطنية، ولكن عليها أن تصير مؤسسة وطنية" فوجودها كمؤسسة رسمية، في اعتقاده، لا يقود بشكل مباشر إلى طبعها بطابع الوطنية. ومن هنا يخلص عامل إلى أن "تحويل المؤسسة الرسمية إلى مؤسسة وطنية هو الهدف الرئيسي لنضالنا الأيديولوجي في معركة التعليم". وهذا الهدف "ليس نتيجة لرغبة ذاتية، بل له أساسه الموضوعي داخل نظام التعليم نفسه". (ص13).

وفي توضيح ذلك يشير إلى أن المؤسسة الرسمية في تناقض داخلي مستمر، وهذا هو الأساس المادي لإمكانية صيرورتها مؤسسة وطنية. فقد نشأت على "كره من البرجوازية الحاكمة، لا لتحل محل بقية المؤسسات التعليمية بل لتسد ثغرة ظهرت داخل الوجود المؤسسي لنظام التعليم، فراحت باتساعها المتزايد تهدده بالانفجار. أي أن بناء المؤسسة الرسمية التعليمية جاء لتدعيم نظام التعليم القائم لا نقضا له. وظلت المؤسسات الاستعمارية والطائفية هي المسيطرة، على الرغم من أن وجود المؤسسة الرسمية كان خضوعا من النظام السياسي لضغوط الجماهير الكادحة ونتيجة لنضالها. وتاريخ الثانويات الرسمية والجامعة اللبنانية يشهد على ذلك. (ص14).

وهكذا يذهب عامل إلى أن توسع المؤسسة الرسمية يؤدي عمليا إلى تقلص بقية المؤسسات. وفي هذا خطر على الأساس الطبقي لنظام التعليم القائم. لهذا يلاحظ أن الدولة البرجوازية تعتمد جاهدة إلى لجم المؤسسة الرسمية والحدّ من انتشارها بشتى الوسائل. وعلى هذا يرى أن تحرير الفكر في لبنان من سيطرة الأيديولوجية الاستعمارية يمر عبر تحرير المؤسسة الرسمية من هذه السيطرة: وهذه هي "معركتنا الرئيسية في قطاع التعليم، وهي معركة أيديولوجية سياسية اجتماعية تلتقي فيها فئات واسعة جدا من الطبقات الكادحة في صراعها الطبقي ضد سيطرة البرجوازية الكولونيالية اللبنانية. ولهذا يصبح شعار "ديموقراطية التعليم" شعارا سياسيا يعني فتح أبواب التعليم في المؤسسة الرسمية أمام جميع أبناء الجماهير الكادحة، ويستلزم بالضرورة تحرير المادة التعليمية من السيطرة الاستعمارية، فبرامج التعليم تهيئ للمؤسسة الرسمية دورا أيديولوجيا مماثلا لبقية المؤسسات، وحل هذا التناقض لا يتم داخل المؤسسة الرسمية، وإنما خارجها من خلال تحفيز الوعي الاجتماعي لدى أبناء الطبقات الكادحة لمواجهة العنف الأيديولوجي للطبقة السائدة. (ص16-18).

ويربط مهدي عامل بين عناصر النظام التعليمي: المؤسسات والمناهج والبرامج ونظام الامتحانات (التقويم) ليخلص إلى أن إحداث تغيير جذري في بنية المجتمع مهمة سياسية تستلزم بالضرورة تغييرا في السلطة السياسية لصالح القوى الاجتماعية ذات المصلحة الأولى في تحرير القوى المنتجة داخل النظام التعليمي وخارجه، من الحواجز الطبقية. والطلاب بشكل عام، وأبناء الطبقات الكادحة المحرومة من التعليم، بشكل خاص، هم قوة رئيسية في هذه القوى المدعوة إلى إسقاط حكم "الطغمة المالية" وإقامة حكم وطني ديمقراطي.

وفيما يخص العنصر الثاني، وهو برامج التعليم يرى عامل أنها تحدد الهيئة الأيديولوجية الطبقية للمادة التعليمية. فما تقدمه مؤسسات التعليم للطلاب في برامجها التعليمية ليس مادة علمية بحتا، أو معرفة مطلقة مجردة، أو ثقافة عامة حيادية صالحة لكل فرد، بل هي مادة أيديولوجية لها طابعها الطبقي وتستهدف الفعالية المباشرة الاجتماعية في الصراع الطبقي. ويناقش عامل في هذا الصدد عدة قضايا، أبرزها قضية اللغة الأجنبية التي يرى أنها ليست قضية لغوية، ولا قضية تربوية فقط، بل قضية اجتماعية تعكس "الصراع الطبقي داخل نظام التعليم". (ص 19-20).

ويرد مهدي عامل على الحجج التي يثيرها مؤيدو استخدام اللغة الأجنبية في التعليم ومنها: "عجز اللغة العربية لأنها لغة أدب وليست لغة علم" فيقول: دعونا نقبل للحظة بهذا العبث، أي عجز اللغة العربية، وعندها نرى:

أولا: أن ممارسة تعليم كل المواد التعليمية باللغة العربية هو الوسيلة الأساسية لتخطي هذا العجز، وجعل اللغة العربية قادرة على حمل الثقافة العلمية الحديثة.
ثانيا: أن تخلف اللغة العربية عن التطور العلمي لا يرجع إلى طبيعة هذه اللغة، بل هو مظهر من مظاهر تخلف المجتمعات العربية نفسه. والحل لا يكون بالقبول بهذا التخلف بل برفضه، حتى على الصعيد اللغوي. (ص 22).

ويخلص إلى القول: إننا نريد أن يعود للغة العربية دورها الحقيقي باعتبارها اللغة الأم، لغة التعليم الرسمي الوطني لكل العلوم والرياضيات والفلسفة. أما اللغة الأجنبية فيبقى لها اعتبارها كلغة ثانية، وأداة انفتاح على الحضارات الإنسانية الأخرى بيد الطلاب (ص24). وحين تكون المادة التعليمية في واد والواقع الاجتماعي في واد آخر، تؤدي عملية التعليم إلى عزل فكر الطالب عن واقعه، وتساهم في إعادة إنتاج علاقات الإنتاج الكولونيالية التي تحقق استمرار سيطرة الطبقة البرجوازية. ويستنتج من ذلك كله أن هذا المنهج وضع للأقلية البرجوازية فقط، لأبناء "الذوات" ولتصنيفية الأكثرية الساحقة من أبناء الفئات الشعبية. (ص25-26).

أما نظام الامتحانات، وهو العنصر الثالث من هذا البناء التعليمي اللبناني فإنه يشكل "أداة فعالة في عملية التصنيفية داخل نظام التعليم". ويتم "إخفاء الأساس الطبقي" لفعالية هذا النظام بواسطة "التقسيم الاعتبائي لمراحل التعليم (الابتدائية - المتوسطة - الثانوية) .. وتكريسه بشهادات متعددة (سرتيفكا - بروفيه - بكالوريا بقسميها الأول والثاني) وليس لها أي مبرر تربوي علمي .." ولذلك تتحول عمليات هذا النظام إلى "سدّ متتابع في وجه هذا السيل الجارف من الطلاب كي لا يصل إلى التعليم سوى العدد القليل منهم، وهم أقلية من البرجوازية وحلفائها الطبقيين". (ص30).

وهكذا تمارس البرجوازية الكولونيالية المسيطرة عنفها الطبقي داخل نظام التعليم نفسه فتستخدم مختلف العناصر التي تدخل في عملية التعليم كأدوات فعالة لتصنيفية وجود أبناء الطبقة الكادحة في التعليم. ولهذا يجب أن تتوحد قوى الطلاب والأساتذة معا حول مطالب محددة في المعركة التي يخوضونها من أجل "التعليم الوطني" وأبرزها "توحيد البكالوريا" وهذا يستدعي إلغاء شهادة السرتيفكا، كما في فرنسا، غير أن هذا الإلغاء لا يكون له معناه إلا إذا اقترن بقرار بالزامية التعليم ومجانيته حتى نهاية المرحلة التكميلية، وتجديد مناهج التعليم كلها، وربطها بالواقع الاجتماعي التاريخي، ومساهمة المعلمين في المؤسسة الرسمية في وضع هذه المناهج الجديدة (*). (ص31-32).

(*) جرى لاحقا إلغاء شهادة السرتيفكي كا دون أن يقترن بالشروط المطلوب فلم يحقق أهدافه.

وخلصة هذه الدراسة أن نظام التعليم القائم في لبنان تابع لسيطرة البرجوازية اللبنانية التي يراها مهدي عامل سيطرة استعمارية. وينسحب ذلك كله على كل المؤسسات التعليمية الخاصة والرسمية، وكل برامج التعليم ومناهجه، وكذلك نظام الامتحانات المعتمد. وأما نقطة الضعف الوحيدة في هذا البناء فهي "المادة البشرية" وجلّها من أبناء الطبقات الكادحة (طلاب ومعلمين)، ومن خلالها يمكن الوصول إلى تغيير جذري في نظام التعليم لإقامة نظام تعليمي وطني ديموقراطي. (ص33).

هـ. أهم القضايا التربوية لدى الحزب الشيوعي العراقي:

لاحظ الباحث أن الشأن التربوي ظل قليل الحضور في أدبيات الحزب الشيوعي العراقي التي استطاع الباحث الوصول إليها. وقد وجد الباحث في ادبيات الحزب في منتصف الثمانينات إشارات مقتضبة إلى بعض مشكلات التعليم والتنظيم النقابي الطلابي واتحاد المعلمين والشباب "والتردي المتواصل لأوضاع التربية والتعليم عموماً، وانتهاك حرمة الجامعات، ومصادرة ديموقراطية التعليم، وحرية الطلبة الأكاديمية، وحقوقهم النقابية وتشويه وعي الإنسان العراقي ومسح شخصيته.." (وثائق المؤتمر الوطني الرابع للحزب الشيوعي العراقي، تشرين الثاني 1985، ص134).

ولاحظ الباحث أن البيان السياسي الصادر عن المؤتمر الوطني الخامس للحزب المنعقد في عام 1993 يشير إلى "تعرض العملية التربوية، وبضمنها المرحلة الجامعية، إلى إهمال مريع - من قبل النظام البعثي الحاكم- هبط بمستواها إلى درك لم يسبق له مثيل. وقد جرى سلب مبدعي الفن والعلم والفكر ما تبقى من منافذ النشر والعرض، وحرمانهم من التواصل مع الثقافات العربية والأجنبية عبر منع استيراد الكتب والمطبوعات. وكذلك مصادرة حرية البحث والإبداع والتعبير، والرقابة والتضييق على النشاط الثقافي عموماً، وتعميق الهوة بين المثقفين والسلطة".

2. الفكر التربوي في برامج جماعة الإخوان المسلمين

السؤال الثاني: ما الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن العشرين؟

أولاً: مصادر الفكر التربوي ومرجعياته

دلّت نتائج الدراسة على أن الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين لا ينفصل عن الفكر التربوي الإسلامي، لكون الجماعة تنطلق من أنها "هيئة إسلامية جامعة تعمل على إقامة حكم الله في الأرض لاستئناف الحياة الإسلامية من جديد عن طريق تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، وإعادة صلة المسلمين بالإسلام فهما وإيماناً وعملاً، وإحياء روح الجهاد الإسلامي، وجمع الذين استجابوا للدعوة على الإسلام، وتثقيفهم به وتربيتهم عليه أفراداً وجماعة، وتأهيلهم لحملة وتنظيم جهودهم في العمل به والجهاد من أجله، ومواجهة التحدي الحضاري الحديث..". (جماعة الإخوان المسلمين في الأردن، القانون الأساسي، 1976، الباب الثاني، المادة 2).

ولاحظ الباحث أن التعبير عن هذا الفكر مبثوث في أدبيات الجماعة الأم (في مصر) ومؤلفات حسن البنا، وسيد قطب، ومحمد قطب، ويوسف القرضاوي، ومصطفى السباعي، وسعيد حوى (سورية)، وفتحي يكن (لبنان) ومحمد محمود الصواف (العراق)، واسحق الفرحان، عبد اللطيف عربيات، ومحمد أبو فارس وهمام سعيد (الأردن)، وسواهم من مفكري الجماعة وقياداتها في الأقطار العربية، إلى جانب كتابات المفكر الإسلامي أبي الحسن الندوي، وكذلك في أدبيات الجماعة في أقطار المشرق العربي ميدان الدراسة. غير أن الباحث لاحظ قلّة هذه الأدبيات، أو وجود صعوبة بالغة في الحصول عليها، خصوصاً في ما يتعلق بالجماعة في العراق وسورية (لسرية التنظيم).

وأظهرت النتائج أن اهتمام جماعة الإخوان المسلمين بالتربية يعود إلى بدايات تكوين الجماعة في مصر عام 1928 على يد الامام حسن البنا الذي يقول في ذلك: "..ولكنني حاولت جاهداً أن تكون دعوة عامة، قوامها العلم والتربية والجهاد، وهي أركان الدعوة الإسلامية الجامعة، ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة، فهو وما يختار لنفسه". (البنا، لا ت، ص35).

والتربية التي يشير البنا إليها هنا، تشمل نوعي التربية المقصودة وغير المقصودة. وجماعة الإخوان المسلمين بمختلف فروعها تنتهج منهجا تربويا إصلاحيا متماثلا يعتمد أساسا على رسالة التعاليم للإمام البنا، مع تطورات وإضافات لاحقة ساهم فيها كبار مفكريهم وعلمائهم وأساتذة الجامعات من أعضاء الجماعة ومناصريها إلى أن أصبح لهم مؤخرا مشروع تربوي موحد مفصل تدعمه مجموعة واسعة من الكتب والدراسات والبحوث العلمية التي تلفت الانتباه.

ويبدأ المنهج التربوي الإصلاحى للإخوان المسلمين من إعداد الفرد المسلم وتربيته، لينتقل بعد ذلك إلى تكوين البيت المسلم أو الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم. ووفقا لرسالة "التعاليم" فإن التربية والتكوين في جماعة الإخوان تشتمل على عناصر عشرة هي: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة والثبات والتجرد والأخوة، والثقة" وتنبثق عنها مجموعة كبيرة من قواعد التفكير والعمل، ثم مجموعة أكبر من الواجبات التي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها ومنها: تلاوة القرآن؛ الصلوات، والعبادات؛ اجتناب الكبائر والنواهي؛ الالتزام بالأخلاق الإسلامية كالوفاء والشجاعة والصدق والأخلاق والتكافل؛ العمل على نشر الدعوة؛ الاعتماد على الذات؛ تعلم المهن وغيرها .. (محمد أبو فارس: مقابلة خاصة).

ثانيا: أهداف التربية وغاياتها:

الغاية الأساسية من التربية لدى الإخوان المسلمين "أن ينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا ويعمل بأحكامه، ويحقق نهضته". ويقصد (الإخوان المسلمون) بالإسلام الشامل، هنا اعتباره "عقيدة وعبادة وشريعة ونظام حياة". وهذا ما نصت عليه القوانين الأساسية للجماعة في مصر عام (1945)، والأردن (1976)، وفي سورية (1977) ونظام التنظيم العام للتنظيم العالمي للإخوان المسلمين الصادر عن مجلس الشورى العام للجماعة العالمية في 29 تموز (1982)^(*) والذي يشير في ديباجته إلى أن "الإخوان المسلمين في كل مكان جماعة واحدة تؤلف بينها الدعوة ويجمعها النظام الأساسي". وبذلك يؤكد هذا النظام "وحدة الجماعة" ويعطي الباحث مسوغا للتعامل معها - بحثيا- على هذا الأساس في مجمل بلدان المنطقة مجال البحث، دون أن يغفل عن الخصوصية الوطنية لكل منها.

(*) انظر نص النظام الأخير في: النفيسي، عبد الله، الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، القاهرة 1989، ص401 وما بعدها

أوضح اسحق الفرحان معنى الإسلام الشامل بأنه "عقيدة وشريعة ونظام حياة" أي ليس مجرد دين فقط بالمعنى الكهنوتي الغربي. فهو ينظم علاقة الإنسان بربه، عن طريق العقيدة والعبادات. وعلاقة الإنسان بنفسه وبأسرته ومجتمعه عن طريق الفكر والثقافة والمعاملات. كما ينظم مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن طريق الاجتهاد الشرعي للنصوص النقلية من الكتاب والسنة. وإعمال الفكر البشري في آيات الله المشاهدة في النفس الإنسانية والمجتمعات البشرية والظواهر الكونية عن طريق الملاحظة العلمية والتحليل المنهجي والتجريب والاستنتاج المنطقي والعلمي .. ولذلك، فإن السياسة في مفهوم الإسلام جزء من الدين، وهي إحدى آلياته في الإدارة والإصلاح .. كما أن العمل لاستئناف الحياة الإسلامية في المجتمع يشمل جميع جوانب الحياة من عقيدة وعبادة واقتصاد واجتماع وإدارة وسياسة .. والجماعة الإسلامية الشاملة تعنى بالدعوة الشاملة للإسلام والتربية على أساسه، والسعي لتطبيق شريعة الله في المجتمع. (الروابدة وآخرون، 1999، ص64).

تري جماعة الإخوان المسلمين أن بناء المجتمع المسلم يتصل بثلاثة عناصر: الفرد الصالح، والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح. فالفرد الصالح هو أساس كل مجتمع سليم؛ ولذلك عني الإسلام بتربيته وإعداده (ذكرنا كان أو أنثى) وجعله مسؤولاً عن نفسه أمام الله - سبحانه- وفقاً للآية الكريمة: ﴿كل نفس بما كسبت رهينه﴾ (المدثر: 38). وهو مسؤول عن تحريرها من الخرافة والرديلة، والموازنة بين مطالب روحه ومطالب بدنه.

يهدف المنهج التربوي الإخواني إلى تربية المسلم تربية متكاملة من مختلف الجوانب:

- أ. جسمياً: بالعناية بأسباب الصحة والبعد عن أسباب الضعف والمريض.
- ب. عقلياً: بالثقافة والعلم المتكاملين .
- ج. روحياً: بالعقيدة الصحيحة وتزكية القلب والنفس.
- د. خلقياً: بمعرفة أخلاق الإسلام والالتزام بها.
- هـ. دعوياً: بالإيمان بواجب الدعوة إلى الله والتأهل له بالعلم والخبرة.
- و. حركياً: بفهم حكم العمل الجماعي وأصوله وظروفه الزمانية والمكانية.
- ز. اجتماعياً: بفهم هدي الإسلام في مسؤولية الفرد تجاه المجتمع والأمة، وهديه في النظام الاجتماعي على مختلف المستويات.

ح. سياسياً: باستيعاب أصول النظام السياسي في الإسلام ، وموقعه بين النظم السياسية العالمية وعلاقته بها.

ط. اقتصادياً: باستيعاب أصول النظام الاقتصادي الإسلامي وخصائصه والفرق بينه وبين النظم الاقتصادية الأخرى. (المنهج التربوي لجماعة الإخوان المسلمين، 2000).

إيجاد التصور الاعتقادي الصحيح والموحد المستمد من القرآن والسنة وتنميته وفقاً للضوابط العلمية والشرعية التي قررها علماء السنة والجماعة قديماً وحديثاً، والوعي بما يميزه عن سواه من المعتقدات، وبصلاحيته لإشباع حاجة البشر في كل زمان ومكان للإيمان، وامتلاك القدرة على تقديمه للناس، وعلى رد الشبهات عنه.

توثيق صلة المسلم بالله ، والعمل على تزكية نفسه ، وترقية أخلاقه ، وتقويم سلوكه.

تربية المسلم على الالتزام بالكتاب والسنة ، على أساس من صحة العقيدة ، وفقه الأحكام الشرعية ، وتنمية أخلاق الخشية والمراقبة لله ومحاسبة النفس.

تأصيل الإيمان بوجوب العمل الجماعي ، خاصة في هذا العصر ، لإقامة دين الله في الأرض ، ورد الأمة به إلى منهج الإسلام من أجل أن تستعيد موقعها الطبيعي بين البشر : "الخير بشرطها، و الشهادة على الناس " .

تربية المسلم على الالتزام بنظام الجماعة التي التزم بها عن إيمان وعلم، وعلى السمع والطاعة لقيادتها في المنشط والمكره وفي حدود الضوابط الشرعية، وعلى بصيرة من الفقه بالإسلام.

تعميق معاني الأخوة الإسلامية في نفس المسلم، وتربيته على إدراك أبعادها ونطاقاتها والالتزام بآدابها وأداء حقوقها، وكذلك على الأخوة الإنسانية في إطار ما حدده الشرع من حقوقها .

تعميق فقه الجهاد بمعناه الشامل، وميادينه وأدواته المتعددة، في نفوس المسلمين، وبث روح التضحية والبذل فيهم بدافع الإخلاص والطاعة لله.

أن يغرس في نفس المسلم الاعتزاز بالأمة الإسلامية رسالة ومقومات وتاريخاً وحضارة وشخصيات وعطاءات ، وكذلك الاعتبار بما أصابها من عثرات، مع إبراز أسباب القوة والنجاح، وأسباب التعثر والتفريق والتأخر.

توعية المسلم بالأحوال والأوضاع والقوى العالمية واستراتيجياتها في العالم ، خاصة ما يتصل منها بواقع الأمة الإسلامية ومستقبلها أو ببعض شعوبها، وبيان ما لتلك الاستراتيجيات من آثار سلبية على المسلمين ، وتحديد منهج الإسلام الحكيم والمعتدل في مواجهة تلك القوى لحماية الأمة وشعوبها من مكائدها.

توعية المسلم بقضايا الأمة المسلمة ، شعوبها وأقليتها ، وهمومها ومشكلاتها ، وأبعاد تلك القضايا وخلفياتها وتطوراتها ، والعوامل التي أثرت وتؤثر فيها ، والقوى التي تقف وراءها داخلية أو خارجية ، ورسم الطريق إلى التعامل الحكيم معها من أجل التوصل إلى حل لها .

بناء المسلم وتأهيله ليكون قادراً على التفكير الصحيح الملتزم بالإسلام في الشورى، وذلك من أجل التوصل إلى القرار الصحيح والتصرف السليم مهما تبدلت من حوله الظروف .

ثالثاً: عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية لدى الإخوان المسلمين:

1. المرابي هو العمود الفقري لعملية التعلم والتربية ، لذا ينبغي الاهتمام بإعداده بما يُمكنه من أداء أدواره بنجاح، كما ينبغي الاستمرار في تدريبه وتنمية أدائه التدريسي والتربوي.
- وعلى المرابي أن يكون ملماً بطرق التدريس والتقنيات التربوية (الوسائل التعليمية)، ومهارات التدريس، وأساليب التربية.

2. ترى جماعة الإخوان المسلمين أن على المرابي أن يتقن المهارات الثلاث التالية:

أ - مهارة إنتاج الوسائل التعليمية .

ب- مهارة تجريب الوسائل التعليمية .

ج- مهارة استخدام الوسائل التعليمية .

3. تعتبر الجماعة المرابي أحد الأركان الرئيسية في العملية التعليمية ، فعلى الرغم من كل التطورات العلمية والتكنولوجية التي نعيشها ، فإن المرابي لا يزال هو السبيل إلى نجاح عملية تنفيذ المنهج، فهو العنصر البشري المدير والمحرك للعمليات التنفيذية، ومن بينها عملية التدريس ذاتها.

4. يرى الإخوان المسلمون أن الفرد المسلم يحتاج دائماً إلى تربية ذاتية فردية بينه وبين خالقه سبحانه وتعالى، وهذا الزاد لا يمكن للتربية الجماعية أن تحققه، لذا من الأهمية بمكان أن يلم المرابي بأساليب التربية الذاتية، كي ينشئ الدارسين على ممارستها، وبذا يتغلبون على أية معوقات.

5. تضمن مشروع الإخوان المسلمين التربوي إشارات إلى أهم أساليب التربية الذاتية من ثلاث زوايا أساسية؛ الزاوية الأولى هي: تأصيل الأسلوب (أي الاستشهاد عليه من القرآن والسنة أو سيرة الصحابة رضي الله عنهم)، والزاوية الثانية هي مثال تطبيقي في البيت، فلا يعقل أن يربي المرابي رفاقه ويترك أولاده وبيته، والزاوية الثالثة هي مثال تطبيقي في المؤسسة التربوية.

6. أشار مشروع الإخوان المسلمين التربوي إلى العديد من الأساليب التربوية بشكل مفصل والتي يمكن للباحث أن يوجزها بما يلي: تحصيل العلم، التفكير، المواظبة على العبادات، الإكثار من النوافل، مصاحبة الأخيار، تدريب النفس على القناعة، مواجهة الباطل، القدوة الحسنة، النموذج والممارسة، القصص، عرض المشكلات، الترغيب والترهيب، الثواب والعقاب.

7. اهتم مشروع الإخوان المسلمين التربوي بتقويم المنهج معتبرا أن التقويم المبني على أسس علمية سليمة هو الوسيلة التي يمكن بواسطتها التأكد من مدى نجاح المنهج في تحقيق أهدافه، فالتقويم يعتبر عنصراً مهماً من عناصر المنهج، لما له من قدرة على التأثير في عناصر المنهج الأخرى والتأثر بها. وأشار المشروع إلى أن تقويم المناهج هو عملية تشخيص ووقاية للمنهج التربوي، وتتضح عملية التشخيص في تحديد نواحي القوة والضعف في المنهج ومحاولة تعرف أسبابها، والعلاج يتضح في اقتراح الحلول المناسبة للتغلب على نواحي الضعف والاستفادة من نواحي القوة فيه، وتتمثل الوقاية هنا في تدارك الأخطاء مستقبلاً.

رابعاً: أهم القضايا التربوية في أدبيات الإخوان المسلمين:

الدين والتعليم:

تندغم جماعة الإخوان المسلمين في الدين الإسلامي اندغاماً كاملاً كأنها لا تميز نفسها عنه. وهذا ما يجعلها تتبنى المفاهيم الدينية على إطلاقها، وتتماهى معها. ولعل يوسف العظم من أبرز قادة الإخوان المسلمين في الأردن إلحاحاً على هذا الموضوع إذ يقول: "إننا لا نرى أن يكتفى بنقل الأفكار والآراء الإسلامية الصالحة الصافية عبر نشرة توزع، أو كتاب يطبع، أو كلمة يلقيها شاب صالح.. ولكننا نطالب الجامعات والمؤسسات الثقافية والفكرية والصحية والمالية في البلاد العربية والإسلامية، إن وجد فيها الإنصاف العلمي أن تحمل الإسلام للدنيا على أنه الملاذ الوحيد للعالم الممزق من القلق النفسي والأوبئة الجنسية والكوارث الاجتماعية. (العظم، 1971، ص 48-49).

بل إنه يذهب إلى القول: إن الفضيلة والأخلاق لا يمكن أن تقوم في المجتمع الإنساني بلا دين .. أي أن تكون مستمدة من فلسفة إنسانية محضة وآراء بشرية خالصة .. فالمادية الغربية (سواء في الدول الماركسية أو الرأسمالية) تقوم على سحق المقدسات والقيم وإنشاء جيل يرفض وجوده ويتمرد على تاريخه وعقيدته.. (المصدر نفسه، ص50-52). ويؤكد البنا في رسالة التعاليم (ص75) أن "الإسلام دولة ووطن، أو حكومة وأمة .. وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة".

إن مراجعة أدبيات الإخوان المسلمين بخصوص مفهوم الإسلام الشامل باعتباره نظام عقيدة وحياة تدل على أن هناك نظرية إسلامية سياسية واجتماعية متكاملة تشتمل على العناصر التالية:

1. الربوبية المطلقة لله والصلة المباشرة بين الرب والعبد.
2. الحاكمية لله وحده.
3. الخلافة للإنسان في الأرض.
4. الشورى بين الأفراد وفي قرارات الدولة.
5. الإخاء في الإسلام.
6. ربط الإيمان بالعقل والعلم.
7. معيار التقوى فردياً وجماعياً.
8. التكافل والتراحم الاجتماعيين.
9. الفرد الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح. (انظر: رمضان، 1987، والمودودي، 1985).

فرض الإسلام ثلاثة أمور هي التعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشرع الحدود والعقوبات. ويوضح (رمضان 1987) ذلك فينطلق من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"، ويشير إلى أن المسلم - رجلاً أو امرأة - مسؤول أن يتعلم، وأن التعليم واجب عليه حق له. يجب أن تهيأ له أسبابه. وهو بالنسبة لمعرفة ما جاء في الكتاب والسنة من أركان الإسلام وفرائضه وأخلاقه فرض عين على كل مسلم، وبالنسبة لسائر العلوم والمعارف فرض كفاية على الأمة كلها، تأثم إذا قصرت في تحقيق حاجاتها. ويرى أن الحكومة مسؤولة عن توجيه التعليم بما يحقق حاجة الأمة في كل علم وفن، وأن تكون مناهج التعليم والتربية بحيث تحفظ على الأمة شخصيتها ومقومات كيانها، وتضمن لناشئتها اكتمال الشخصية ووحدة الاتجاه العام. (ص31).

أما الأسرة فهي حجر الزاوية في بناء المجتمع والرجل والمرأة هما عنصرها اللذان تقوم بهما. وفي ذلك يقول الرسول (ص): "إنما النساء شقائق الرجال" وشرع رابطة الزواج أساس لقيام الأسرة منهما. واعتبر كل علاقة غيرها خطراً يهدد كيان الأسرة وبناء المجتمع. وجعل العلاقة الأسرية قائمة على المساواة في الحقوق والواجبات. وأعطى المرأة والرجل حق اختيار الزوج، وبيّن آداب اللباس، ودخول البيوت، وحرّم الخلوة بالأجنبية، وأوصى بتقديس الحياة الزوجية وأسرارها. وحمل الرجل مسؤولية الإنفاق على الأسرة، وأعفى المرأة منه (ص33).

وأما التكافل الاجتماعي فهو سمة الحياة الاجتماعية وأساسها في الإسلام وهو نظام اجتماعي متكامل ولا يعني الزكاة أو الصدقات فقط، بل يشمل كل العلاقات الاجتماعية ولا يقف عند حدود المال والاقتصاد. (ص34). وبذلك تركز نظرة الجماعة إلى التربية والتعليم إلى اعتبارها ركناً أساسياً من البناء الاجتماعي الكامل.

وهنا لا بد من توضيح رأي الجماعة في العلم ومفهومه في الإسلام وفقا لما تضمنته أدبياتها ورسائل مؤسسها.

فالإيمان هو القيمة الأولى التي أقام عليها القرآن الكريم المجتمع المسلم، والعدالة هي دعامة النظام الإسلامي، بينما يشكل العلم الثمرة الطبيعية لهذا المجتمع وذلك النظام. يقول الإمام البنا "المعرفة والنظر والعلم، فطرة الإنسان الأولى وخصوصيته. ويوم خلق الله آدم علمه الأسماء كلها، وفضله بذلك على الملائكة، وأمرها بالسجود له، تكريما لهذا العلم الذي اختصه الله به. ولقد امتن الله بهذا العلم والتعليم على الإنسان في القرآن: ﴿الرحمن﴾ علم القرآن ﴿خلق الإنسان﴾ علمه البيان ﴿وأمدّه بأدوات العلم ووسائله (السمع والبصر والفؤاد) ثم أمره بعد ذلك بأن يبحث وينظر، ويدرس ويفكر، وأوجب عليه ألا يعطل مواهب الله التي وهبها له .. فالعقل والفكر سرّ الأمانة ومناطق التكليف ومظهر التفاضل بين بني الإنسان.. " (البنا، شرح الأصول العشرين، لا.ت، ص171-172).

ولذلك يرى البنا أن "قصة الفصل بين الدين والعلم أو العداء بينهما قصة غريبة عن الإسلام تماما، عقيدة وفكرا وواقعا، لأنها نشأت هناك في الغرب نتيجة الصراع المرير بين رجال الكنيسة والعلماء، وانتقلت إلى مجتمعاتنا الإسلامية عن طريق الغزو الفكري والثقافي .. فلا سند لها من مبادئ الإسلام، ولا مؤيد من وقائع التاريخ ..". (ص173).

أما مفهوم العلم في الإسلام فهو كل معرفة مستندة إلى استدلال. ولهذا لا يعد علماء المسلمين التقليدي علماء، لأنه اتباع قول الغير بلا حجة. ويشمل العلم في الإسلام مجالات عدة تقصر عن الدلالة عليها كلمة العلم (science) بمفهومها الغربي الحديث. ومنها مجال "الغيبات" التي جاء بها الوحي والتي تعرف بـ "العلم الأعلى"، ومجال "الإنسان" وما يتصل به من دراسات تتعلق بجوانبه المختلفة، ومجال "الماديات" التي تتضمن العلوم الطبيعية والتطبيقية، وما يقوم على الملاحظة والتجربة. (ص174).

ويخلص البنا إلى القول إن كلمة "العلم" لم تأخذ معناها إلا بالإسلام ابتداء من اللحظة التي نزل فيها أول كلام إلهي على الرسول (ص) بقوله تعالى: ﴿اقرأ﴾ باسم ربك الذي خلق ﴿خلق الإنسان من علق﴾ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فالعلم هو "معرفة المجهول" ومصدره هو "الله سبحانه" وأما المتعلم فهو "الإنسان"، وأما الوسيلة فهي القراءة والكتابة ... آيات خمس تضم الأسس العلمية الخمسة التي يقوم عليها بناء الحضارة، إلى آخر الزمن: المعلم والمتعلم والعلم ووسيلته وادواته. (ص175).

ومثلما يرفض "الإخوان المسلمون" الفصل بين الدين والعلم، يعارضون الفصل بين الدين والسياسة أو الدولة الذي يطالب به "العلمانيون". فالدين في المفهوم الإسلامي يشمل العقيدة في الضمير، والخلق في السلوك، والشريعة في المجتمع". (سيد قطب، 1980، ص102).

ويكرر الإمام البنا القول "إن الإسلام جعل العلم من خصائص الإنسانية. فلا يكون الإنسان إنساناً حتى يكون عالماً. وبقدر معرفته تكون إنسانيته، لأنه بالعلم امتاز على بقية المخلوقات". وتحث الجماعة أعضائها على "الاجتهاد في تحصيل العلم الذي يلزم المسلم في عقيدته وعبادته ودينه وديناه، حتى يعبد الله على أساس متين. ولم يكتف الإخوان بالحرص على تعلم العلم بل رأوا وجوب العمل على تعليمه غيرهم. (انظر: خلف الله، 1984، ص127).

التربية الإسلامية:

حرصت جماعة الإخوان المسلمين على إزالة الغموض الذي يحيط بثلاثة مفاهيم، هي: الفكر التربوي الإسلامي وتدریس العلوم الشرعية، والتربية الإسلامية. وبيّن المنهج التربوي لجماعة الإخوان المسلمين الفرق بين المفاهيم الثلاثة، فالفكر التربوي الإسلامي هو ما أثار عن علماء التربية الإسلامية، من آراء ونظريات، من أمثال الإمام أبي حامد الغزالي والإمام أبي الحسن الماوردي، فغالباً ما يسمي كثير من المتخصصين في أصول التربية هذا الفكر بـ "التربية الإسلامية". أما تدریس العلوم الشرعية، فيقصد به تعليم المسلمين القرآن الكريم تلاوةً وتفسيراً، وتدریس الحديث الشريف، والعقيدة، والعبادات، والسيرة، والمعاملات وغيرها من العلوم الشرعية. وتدریس هذه العلوم الشرعية أحد أساليب التربية الإسلامية وليس التربية الإسلامية ذاتها.

أما التربية الإسلامية فهي : " تنمية جميع جوانب الشخصية تنمية شاملة متوازنة، وفق كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهذه التنمية (التربية الإسلامية) قد تتحقق بتدريس العلوم الشرعية، وقد تتحقق بأسلوب غيرها، فقد روى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً من الأنصار جاء يسأله الصدقة برغم قدرته على العمل فخطط له نشاطاً عملياً، وجهاز له قدوماً، وأمره أن يحتطب ويبيع، على أن يأتيه بعد خمسة عشر يوماً، ليقوم هذا النشاط، وفي ذلك دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يربي بأساليب غير أسلوب العلوم الشرعية. وقد ورد مفهوم التربية الإسلامية في القرآن الكريم، وذلك بلفظة " التزكية "، أي التطهير والنمو، ومن ذلك قوله تعالى : قد أفلح من زكاهها (الشمس: 9). أي طهر النفس ونقأها. (المنهج التربوي لجماعة الإخوان المسلمين، 2000).

3- الفكر التربوي في برامج الحزب السوري القومي الاجتماعي:

السؤال الثالث: ما الفكر التربوي للحزب السوري القومي الاجتماعي في المشرق العربي خلال النصف

الثاني من القرن العشرين؟

دلت نتائج الدراسة على وجود اهتمام ملحوظ لدى الحزب السوري القومي لاجتماعي بالتربية بمفهومها: التربية المقصودة والتربية غير المقصودة. وأوضحت أن كتابات زعيم الحزب أنطون سعادة ظلت هي المنهل الذي ينهل منه الحزب أفكاره وبرامجه، وأن جُل ما كتبه أعضاء الحزب قيادة وأفرادا بعد سعادة لا يعدو أن يكون شرحاً وتفسيراً لأفكار الزعيم في مؤلفاته التي أعدهم قبل أن يتمكن من إتمامها. ولهذا فقد اعتمد الباحث على مؤلفات سعادة وعلى ما جاء في وثائق الحزب وأدبياته أو مؤلفات مفكريه بعد ذلك لتوضيح الرؤية التربوية للحزب.

أولاً: مصادر الفكر التربوي ومرجعياته

1. دلت نتائج الدراسة على أن فلسفة الحركة القومية السورية الاجتماعية تركز إلى ما يسميه سعادة "المدرحية" وهي لفظ مشتق من المادة والروح، ولكنه يعبر عن أكثر من "تركيب" لفظي، لتجمع هذه الفلسفة بين القطبين اللذين انقسمت إليهما الفلسفة عموماً على مدى سنوات طويلة، وهما: الفلسفة المثالية أو الروحية والفلسفة المادية، وفي ما يلي بيان ذلك:

أ. إن أصحاب الفلسفات المادية يرون أن العالم المادي هو وحده الحقيقي، وأن العقل ليس إلا نتاجا لعضو مادي هو الدماغ. وأن التعارض بين الوعي والمادة لا قيمة له إلا في نظرية المعرفة. أما في نظرية الوجود فلا شيء إلا المادة.

ب. أما الفلسفات الروحية (المثالية) فتجعل الروح فوق كل تقدير، وتحاول البرهنة على أنه لا وجود لشيء سوى الفاعلية الروحية، أي عمليات الأرواح الخلافة: روح الله اللامتناهية، نفس الانسان المحدودة. هذه الفاعلية التي كانت التجارب الإنسانية (من مخيلة وذكاء وذاكرة وأفكار وآمال وآلام وشعور وإحساس) تعتمد عليها محتوى وقيمتنا.. (انظر كرم، 1962، ص 169-170).

ج. لذلك تضع "المدرحية" الوجود كتفاعل غير متناه بين المادة والروح تعبيرا عن فكرة التفاعل في موضوع علاقة الروح والمادة بالنسبة إلى الحياة الاجتماعية، وليس بالنسبة إلى كينونة الإنسان الميتافيزيقية. أي أن معناها الحقيقي محصور في مستوى اجتماعية الإنسان وأشكالها، ولا يشمل الأسس الميتافيزيقية والأنطولوجية للكائن الإنساني. (نصار، 1975، ص 174).

د. ويرى الدكتور عادل ظاهر أن المدرحية إبداع فلسفي يقدم نظرة جديدة إلى الحياة والعلم والمعرفة.. إنها فلسفة واقعية لا غيبية تعتبر الوجود أمرا واقعا، وترى الواقع كما هو وتعمل على تحسينه دون الخروج به من دائرة الموجودات إلى دائرة الماهيات". (ظاهر، 1980، ص 328).

2. ووفقا لكتابات سعادة فإن الفلسفة عنده تشكل موقفا فلسفيا جديدا ونظرة جديدة إلى الإنسان والحياة والكون والفن.. تطمح إلى تغيير المجتمع السوري السلفي وإقامة مجتمع جديد.. ولهذا يوضح الباحث تاليا نظرة سعادة والحزب السوري القومي الاجتماعي إلى المعرفة والوجود والإنسان والمجتمع والأخلاق والدين والقيم:

أ. المعرفة:

لم يطلب سعادة المعرفة على أي صعيد، من أجل المعرفة ذاتها، بل ربط بين المجتمع والوعي. وقال إن المجتمع هو مصدر المعنى ومصدر القيم ومعيّارها، ومنه تكتسب الحقيقة قيمتها ولا يمكن فهم المعرفة الإنسانية، وفهم التقويم الإنساني للظواهر الاجتماعية إلا من خلال كونها استجابة لحاجاته المتطورة. والمعرفة عند سعادة تتمركز حول الذات العارفة. والفاعلية العملية هي صلة الوصل بين هذه الذات العارفة والوجود الذي هو موضوع المعرفة. والذات لدى سعادة ذات اجتماعية، والمعرفة هي التي تعطي الوجود قيمة. وهذا يوضح دور المعرفة العقلية في الحصول على الحقيقة. (سعادة، المحاضرات العشر، 1980، ص 49-50).

ويقول سعادة في كلمة وجهها في اجتماع مع طلبة سوريين في دمشق عام 1948: "نحن القوميون الاجتماعيين قد سلطنا طريق المعرفة على طولها وبطنها، وفضلناها على جميع الطرق الأخرى الاعتبارية المستعجلة التي تريد الخطوة الأولى ولا تدري أي خطوة تعقبها". ويضيف: "إذا لم نكن نعرف من نحن، لا يمكن مطلقاً أن نعين اتجاهها يسير فيه كل المجموع". ويرى "أن معرفة المجتمع شرط أولي لإمكان تعيين الأهداف". (الحزب السوري القومي، نشرة عمدة الإذاعة، كانون الثاني - شباط 2003، ص 2).

ويتشكل الوعي الإنساني، في رأي سعادة، من مركبين تفاعليين أساسيين هما: المعرفة (العقل) والوجدان (النفس والإرادة) وتشكل المعارف العقلية في تفاعلها مع الوجدان البنية الروحية للإنسان. وبذلك يمكن التعبير عن التفاعل الحاصل بين الإنسان والبيئة المادية بالقول إنه تفاعل بين الوجود والوعي أو تفاعل بين المادة والروح، وهما متساويان والتفاعل بين الإنسان والوجود، يتبدى عملياً في مستوى العلاقة بين الوعي وعالم الظاهرات. وهذه العلاقة تنطوي على تفاعل متواصل بين عالم الأشياء في ذاتها (الوجود الموضوعي) وبين العقل الاجتماعي، وتحكم خصائص المجتمع (العامل الذاتي) مسار هذا العقل الاجتماعي في التحقق من الظاهرات وإدخالها مدار التفاعل. (عبد القادر، 1971، ص 6).

ب. الإنسان والمجتمع:

يعتبر سعادته أن السؤال الفلسفي يجب أن ينطلق من خصوصية وجود الإنسان، ودوره في صياغة مسارات الحياة، إذ لولا وجود الإنسان لما كان هناك معنى لوجود الحياة: "لما كان الانسان مظهرا من مظاهر الحياة فلا يمكن البحث بكيفية نشوئه على حدة. لذلك لا بد من جعل السؤال: من أين جاء الإنسان؟ ضمن نطاق سؤال أوسع: من أين جاءت الحياة؟" (سعادة، 1986، ص25).

ويرى سعادته وجوب فهم الإنسان الذي هو قضية الفلسفة، حسب القوانين الطبيعية التي

تحكم وجود هذه الظاهرة، وفق ثلاثة مستويات متلازمة ومترابطة سببياً:

أ. الإنسان كمفهوم: وهو إشارة إلى حالة اجتماعية ذات خصائص طبيعية .. "في أحط درجات الاجتماع البشري وأبسطها نجد الجماعة.. وعبثاً نحاول أن نجد الفرد.." (المصدر نفسه، ص28).

ب. لا معنى لمجتمع من دون أرض يعيش عليها. وهنا يربط سعادته بين خصوصية الأرض وخصوصية الظاهرة الإنسانية، بعلاقة طبيعية (الحالة الثقافية - النفسية للمجتمع): "لا بشر حيث لا أرض ولا حياة ولا بيئة، ولا تاريخ حيث لا جماعة" وهكذا يرى "أن المجتمع هو الحالة والمكان الطبيعيان للإنسان والضروريان لحياته وارتقائها" و"الاجتماع الإنساني قديم قديم الإنسانية". (المصدر نفسه، ص69-70).

ج. يرى سعادة أن حياة المجتمع مرهونة بالتفاعل بين المجتمع والأرض، وفي هذا التفاعل يشكل هذان القطبان الأساسيان: الأرض (المادة) والإنسان (الوعي) عاملي السلب والإيجاب فعلاً وانفعالاً. وهذا التفاعل شرط لارتقاء المجتمع. (نفسه، ص60-65). وهكذا يمكن الاستنتاج هنا أن سعادة يصرّ على أن الإنسان كفرد كائن يستمد خصائصه الأساسية من حقيقة أشمل منه هي حقيقة المجتمع. "بذلك يقترب من طروحات المدرسة الاجتماعية التي يمثلها دوركايم". (ضاهر، 1980، ص19).

ج. العقل:

يرى سعادته أن العقل هو الشرع الأعلى .. الشرع الإنساني. ولما كان هو الشرع فإن جميع القيم والمفاهيم تخضع لقياساته. أما الحقيقة التي تنشدها كل العلوم عند سعادته، فهي قيمة فكرية تحصل في العقل بواسطة المعرفة فقط. لكن "المعرفة بلا وجود هي مجرد افتراض. إنها ليست معرفة صحيحة مهما عظم الوهم بأنها كذلك". كما ان "الوجود بلا معرفة ليس قيمة" والحقيقة ذات قطبين: الوجود والمعرفة.. إنها الحصول على المعرفة التامة الصحيحة والوعي الكامل الصحيح، والإدراك الكامل لطبيعة أي أمر". (سعادة، شروح في العقيدة، 1958، ص28).

ويتضح من هذا أن للعقل دوراً أساسياً في حياة الإنسان في مذهب سعادة الفلسفي. فهو يدعو إلى عقلنة الحياة الإنسانية عقلنة تامة. ومع ذلك فمن الصعب أن تعثر في كتاباته على تمييز كاف لدور العقل في المعرفة ودوره في العمل. غير أن سعادته يخص الإرادة والحياة بالدور الأكبر في العمل، ويجعل من العقل خادماً لهما. فإذا كان العقل مرتبطاً على الصعيد العمل بإرادة الحياة، فإنه على صعيد المعرفة مرتبط بالوجود الواقعي. فالعقل هو أسمى قوة في الإنسان، عنده. وعليه أن يستعمل هذه القوة في حدود وجوده الحياتي سواء في مجال المعرفة أو في مجال العمل.

د. الأخلاق والدين والقيم:

تتصل الأخلاق بالبحث عن المعيار الأخير للخير والشر. فهل المعرفة الخلقية دينية، وهل هي مشتقة من معرفة الأوامر والنواهي الإلهية؟ ترى الفلسفات الدينية أن ما يأمر به الله هو بالضرورة خير، وما ينهى عنه هو، بالضرورة، شر.. ولذلك تعتبر معرفة الأوامر والنواهي الإلهية ضرورية لمعرفة ما هو خير وما هو شر. فالدين ذو أغراض خلقية بالضرورة.

أما سعادته فيرى أنه "لا يجوز الخلط بين النظر إلى أغراض الدين على أنها تشمل أغراضا خلقية، والنظر إلى الدين على أنه يشكل الأساس الأخير للأخلاق، على المستوى المعرفي. صحيح أن الدين ذو أغراض خلقية، لكون الله يحض على عمل الخير وتجنب الشرّ ولكن معرفتنا لهذه الحقيقة ليست ذات مضمون خلقي محدد.. إنها معرفة لطبيعة الله من حيث هو كائن كأيّ الخير، وهو يأمر بالخير، وينهى عن الشرّ، دوّمًا تعيين لما هو خير، وما هو شر. وهذا لا يشكل "معرفة خلقية" في رأي سعادته. ولهذا يرى أن المعرفة الخلقية تستوجب معرفة الإنسان لمبادئ ومعايير تضمن مصلحته في الحياة والارتقاء، إذا تقيّد بها، في ظل شروط تاريخية وثقافية معينة. وهكذا يذهب إلى أن طبيعة القيم تجعل مسألة تعيين ما هو الخير وما هو الشر متروكة للإنسان. وبذلك تكون المعرفة الخلقية مستقلة منطقياً عن المعرفة الدينية، أي أن للأخلاق أسبقية معرفية على الدين. (سعادة، الآثار الكاملة، ج9، ص225-230).

وتقوم الأخلاق عند سعادته على أساس الواجب لا المنفعة، دون أن ينفي أن الواجب قد يكون مصحوباً بنتائج نافعة، لكنه يبقى واجبا يجب تأديته قبل التفكير في ما يسببه من ضرر أو ما يجلبه من منفعة. (كفروني، 1997، ص122). أما الدين عند سعادته فهو حنين إلى العلي، إلى الله، هو تأجج داخلي نفسي يرفع الإنسان ويعطي معنى لإنسانيته "هو ظاهرة نفسية عظيمة الخطورة من ظواهر الاجتماع البشري..". (سعادة، نشوء الأمم، 1986، ص174).

ويميز بين طبيعة الاجتماع الإنساني وبين طبيعة الدين والإيمان "فالمؤمنون من كل دين أخوة بالمعنى الروحي فقط، أما بالمعنى الاجتماعي - الاقتصادي فالأخوة فقط أبناء المجتمع الواحد الذين ألفت بينهم البيئة وجمعتهم أسباب العيش ومطالب الحياة، لا مطالب السماء ومطالب الإيمان". (سعادة، الآثار الكاملة، ج9، ص262).

ولذلك يرفض فكرة الدولة الدينية ويعارضها بشدة ويعتبرها خطراً على مصالح المجتمع وعلى وجوده، ويفسّر تفكك الدولة الدينية المسيحية ثم الدولة الدينية المحمدية (الإسلامية) بأسباب قومية مؤكداً أن "القومية انتصرت على الدولة الدينية، فلم يطق السوري الخضوع لدولة فارسية باسم الدين، ولا لأية دولة دينية غير سورية، ولم يطق الفرس الخضوع للعرب، ولم تطق سوريه وغيرها من الأقطار العربية الخضوع لتركيا. فاختلاف الأجناس والعقليات والبيئات لا يمكن أن يزول بوحدّة الدين، لأنه من طبيعة الواقع الاجتماعي..". (المصدر نفسه).

ولهذا نص دستور الحزب السوري القومي الاجتماعي في المبادئ الإصلاحية على "فصل الدين عن الدولة" و"منع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين" و"إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب". وأكد سعادته أن "القومية لا تتأسس على الدين .. وأخوة الدين لا يمكنها أن تحل محل الأخوة القومية..". (سعادة الآثار الكاملة، ج2، ص96).

ويذهب سعادته إلى أن المجتمع يخلق القيم، ويوجهها بمصلحته في البقاء والارتقاء. ويميز بين نوعين من القيم: القيم المادية والقيم النفسية. ويجعل مصدرهما جميعا الوعي الإنساني. ومن خصائص هذه القيم عنده أنها مرتبطة بعملية الوعي والمعرفة مثلما هي مرتبطة بالعمل. فالقيم ليست أشياء، وإن كانت الأشياء هي التي تحملها. لأن القيمة تجربة، فوجودها لا يكون إلا مشخصا، فهي ليست موجودة بالمطلق، ولكي تكون القيم العليا حقيقية مطلقة، يجب أن تخضع بشروط رؤية المجتمع لها على أنها كذلك. ولهذا فالقيم يناظرها نظام ما، أي كان نوعها، لأن كل قيمة تعين مجالها ما، توجد بين بنيانه علاقات محددة ومفهومة. والقيمة ذات قطبين في الجملة. فهي إما هذا وإما ذاك، إما حق وباطل، إما خير أو شر، إما جميل أو قبيح.. أي أن أحد قطبيها إيجابي والآخر سلبي. والقيم الأساس بالنسبة لسعادته هي: الحرية والواجب، والنظام، والقوة. وهذا أحد شعارات الحزب السوري القومي الأساسية. ويضع سعادته القيم المادية بالدرجة الثانية بعد القيم النفسية، من وجهة الفاعلية العاملة والفاعلية الثورية، إلا أنه يراها خارج إطار علاقتها بالإنسان خالية من القيمة .. فأساسها في الإنسان لا في الطبيعة المجردة، ولا في قوى غيبية. كما أنه لا يخضع لعملية خلقها لإرادة فردية محضة مستقلة عن الشروط المادية الموضوعية. فهي ترتبط بالحقيقة الإنسانية الكلية، فتخضع في نشأتها وتطورها للشروط الموضوعية نفسها التي يخضع لها الإنسان في نشأته وتطوره، وبذلك يلتقي بأطروحات أصحاب الفلسفات الوجودية الذين يرفضون انتماء القيم إلى عالم موضوعي (طبيعي أو لا طبيعي) بل يقولون إنها توجد في الإنسان، كواقع تاريخي اجتماعي، فهو مصدر القيم وغايتها وضمانيها الأخير. (سعادته، شروح في العقيدة، ص172، 163).

ثانياً: أهداف التربية وغاياتها:

1. دلت نتائج الدراسة على أن نظرة الحزب السوري القومي الاجتماعي التربوية تنطلق من الفلسفة القومية الاجتماعية ونظرتها إلى الحياة والكون والفن، وعنها تصدر السياسات والإرشادات والمحددات الثقافية والقيم الأخلاقية. فهي نظرة شاملة متماسكة للإنسان واتجاه الحياة الإنسانية في الوجود، تقرّ سلطة المجتمع القومي الاجتماعي الذي يحصن أفرادَه على الالتزام بالفكر والمنهج القومي الاجتماعيين في علاقاتهم ومعاملاتهم.
2. يرى الحزب السوري القومي الاجتماعي أن التربية هي إحدى المعطيات المنبثقة عن الحياة في المتحدات، والصادرة عن البنية الوظيفية لتلك المتحدات، متضمنة نماذج الفكر والمنهج، منطوية على نماذج للتصورات المشتركة الصادرة عن المتحد والمستمرة بالمتحد، من أجله، لتعمل على دعم ظواهره، ومكونات بنائه ومؤسساته الوظيفية، وعاداته: قديمها وحديثها على السواء، كما تسعى إلى تحريك وتطوير واقعه في الاتجاه الذي من شأنه أن يحقق متطلبات أفرادَه، ويشبع احتياجاتهم ويحل مشكلاتهم وينمي طاقاتهم. (ص 417).
3. غاية التربية القومية الاجتماعية هي بناء الإنسان السوري الجديد الذي ينظر إلى الحياة والكون والفن نظرة جديدة ارتكازاً إلى المنطلقات والفلسفة القومية الاجتماعية التي سبقت الإشارة إليها.
4. أما الأهداف التربوية فيمكن تلخيصها بالتالي بناء على نصوص سعادته وأدبيات الحزب:
 - إعادة الثقة إلى الشعب السوري بإظهار قدرته التاريخية على الإبداع في العلم والفن.
 - غرس الشعور بالقومية الاجتماعية، في نفوس النشء الذي تتحرك فيه قوة حياة الأمة الجديدة، ليكون قادراً على حمل رسالة النهضة السورية القومية الاجتماعية إلى الأجيال التالية.
 - إيجاد نوع من القيم المعنوية الخاصة بدولة الأمة السورية ونشر الوعي والمعرفة وكشف الحقيقة وتحكيم العقل.

- إنشاء مواطنين صالحين يحبون وطنهم ويقدمونه ويدافعون عنه، وتنمية روح التضامن والتسامح
تمرسا بالتعاليم المسيحية والمحمدية^(*).
- تنمية القدرة على الملاحظة والتفكير والتحليل وأخذ المبادرة.
- تنشئة الشباب على الصدق والكرامة والإخلاص، ونشر الحيوية والأخلاق ونبذ الإتكالية.
- تنمية روح القيام بالواجب والتضحية والمجابهة والصمود والتحرر من الضعف والفضول. ومحاربة
النزعة الفردية والعشائرية والتأكيد أن قدرة الفرد من قدرات المجتمع.
- صيانة حرية الرأي والمعتقد الديني واحترام الرأي الآخر وتشجيع الحوار.
-

ثالثا: عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية:

1. المعلم: يرى سعادته أن "صلب المعركة هو في تثقيف نفسية الأحداث ومعارفهم، في البيت
والمدرسة، وأن على المعلم أن يحارب لإنقاذ نفوس الأحداث من العقائد الغربية أو المتأخرة.
ومهمة المعلم مهمة خطيرة: القيام على تربية الأحداث وتلقينهم العلم الصحيح وإرشادهم إلى
الحقيقة والأخلاق والبطولة والاستقامة والثقة بالنفس واعتماد الحق ومقاومة الباطل، وتعزيز
الجمال والنبيل. والمعلم السوري القومي الاجتماعي الحقيقي هو الذي يحمل رسالة النهضة
السورية القومية الاجتماعية (المقدسة) إلى النشء الجديد. ولكي يكون المعلم قادرا على تعليم
الحقائق والفضائل، عليه أن يعمل بمنهجية النهضة السورية الاجتماعية وأن يسلك سلوكها،
فيكون قدوة حية للأولاد فتعشق نفوسهم هذه المبادئ وتستتير بهدي التعاليم والمعرفة
الصحيحة، فينشأون جيلا جديدا قويا خالصا من ادران حياة الدّل والقناعة بالباطل، يقول
سعادته: إذا ربنا "الأحداث" ربنا معركة العقائد ومعركة المصير القومي كله. (سعادته،
الآثار الكاملة، ج15، ص196-199).

(*) الإسلام في العقيدة السورية القومية الاجتماعية يجمع بين الرسالتين المسيحية والمحمدية، دون غيرهما وهو دين مشترك بين كثير
من الأمم والشعوب.

2. المنهاج: يضع الحزب السوري القومي الاجتماعي في اعتباره أن يقوم المعلمون بغرس حب الوطن في نفوس الناشئة، وتدرّيس التاريخ القومي في مراحل التعليم المختلفة بداية بالمرحلة الابتدائية، وأن تتضمن الكتب الدراسية تصوير التاريخ المجيد للأمة السورية، وإبراز الأخطاء التي وقعت فيها لتفاديها، وأن تركز كتب الاجتماعيات وكتب التربية القومية، خصوصاً على غرس الروح القومية، وذلك عن طريق القصص والأحداث والأمثال والحكم المناسبة، وأن تتحدث عن نشأة الأمة السورية وتطورها وإسهاماتها في الحضارة الإنسانية. ويدعو الحزب المؤرخين السوريين إلى أن يكرسوا اهتماماتهم إلى التاريخ القومي، لجمعه من مصادره ووثائقه القديمة، وتطلب تبسيط الآراء القومية والنظريات الاجتماعية ليكون في مقدور الأطفال في مدارسهم والراشدين في بيوتهم ومكتباتهم التوصل بيسر وسهولة إلى الاعتقاد أن أمتهم السورية كانت خلّاقة ومبدعة، وأنها تملك تاريخاً عريقاً يستحق الدراسة، وأن لديها أبطالا قوميين مشهورين، يشكلون قدوة ومثالا للشباب والنشء تقوم عليها النهضة السورية القومية الحديثة وحياة الأمة الجديدة. (سيف، 1999، ص34، 29، 27).

3. الطالب: يرى سعادته أن صفة الطالب الأساسية والجوهرية هي البحث عن الحقيقة والمعرفة الصحيحة بكل الوسائل. ويقول للطلاب: أنتم الطلاب ينتظر منكم أن تطلبوا هذه الحقيقة قبل كل فئات الشعب لأنكم تعملون لطلب الحقيقة وليس الخيال. انتم تدرسون لتعرفوا الحقائق لا لتلهوا عنها.. وطلب الحقيقة هو الطريق الصحيح الذي يوصل إلى الوعي القومي الصحيح. (الحزب السوري القومي، نشرة عمدة الإذاعة، مصدر سابق، ص5). ويقول (في كلمة أمام طلاب مدرسة في شباط 1948) إن القراءة والكتابة هما واسطة للوصول إلى الخير والعز والحياة الجيدة. ويشرح في كلمته إلى المدرسين (في 18 تموز 1948) أن صلب المعركة هو في تثقيف نفسية الأحداث ومعارفهم في البيت والمدرسة. وعلى المعلم أن يحارب لإنقاذ نفوس الأحداث من العقائد الغريبة أو المتأخرة. ويؤكد في خطاب في الجامعة الأميركية في بيروت (16 أيار 1949) أن الطلاب نقطة انطلاق وارتكاز في العمل القومي الاجتماعي. (سيف، 1995، ص204، 205، 212).

4. المدرسة: يرى الحزب أنها "مؤسسة المؤسسات التربوية". وعلاقتها بالمجتمع ووظيفتها فيه تقوم على أساس فهم هذه المؤسسة الاجتماعية، فهي ليست متحداً، بل هي مؤسسة متخصصة داخل المتحد ذات وظيفة خاصة بـ "تربية الأحداث وتلقيهم العلم الصحيح، وإرشادهم إلى الحقيقة" وهي "مركز للتعليم القومي الاجتماعي". (سعادة، 1980، ص123) و(سيف، 1995، ص123).

رابعاً: أهم القضايا التربوية لدى الحزب السوري القومي الاجتماعي:

التربية والتثقيف:

يعتبر سعادته أن "قضية التربية والتثقيف" هي القضية الأولى التي تواجه العقيدة القومية الاجتماعية. فقضية الصراع العقائدي الذي أثارته الحركة السورية القومية الاجتماعية بتعاليمها الجديدة هي قضية صراع ثقافي تعليمي، بين مبادئ الحياة الجديدة ومبادئ الحياة الجامدة. ولذلك فهي تدرك قيمة التعليم في غرس فكرة الولاء والإخلاص، وتسعى إلى أن تكون مؤسساته "مراكز للتعليم القومي الاجتماعي".

النظام التربوي:

يقوم نظام الحزب السوري القومي الاجتماعي على المؤسسات التي يعتبرها "من أساليب السلوك الاجتماعي". ويرى "أن قيام المؤسسات القومية الاجتماعية وفرض سيطرة إرادتها على المؤسسات العتيقة في المجتمع السوري هو الشرط اللازم والكافي لانتصار العقيدة السورية القومية الاجتماعية". (أبو عمشة، 1995، ص412).

وأبرز هذه المؤسسات هي مؤسسات "تأمين الأجيال الجديدة" أو النظام التربوي ويشمل مؤسسات الأسرة والبيت والعائلة والمدرسة والجامعة والحزب. ويعطي الحزب السوري القومي الاجتماعي أهمية خاصة للأسرة. ويحث على الزواج المدني، ليتجاوز به آثار تقسيم المجتمع إلى طوائف ومذاهب وملل، ويرفع الحواجز المادية والنفسية بينها. ويرفض هيمنة المؤسسات الدينية على الأسرة، ويجعل مصلحة الأمة أساسا في حل المسائل الحقوقية للأسرة، ويلزم أعضائها باتخاذ المبادئ القومية الاجتماعية إيمانا لهم ولأفراد عائلاتهم. ويحض الحزب الأسرة القومية على تنشئة أبنائها على التعاليم والمبادئ القومية الاجتماعية، وتعليمهم حب الوطن وحب الأبطال القوميين، وأن يكيّفوهم، في حياتهم المبكرة، بشكل يستجيبون معه للكلمات والرموز التي تمثل الوطن. (ص416). وهذا يعكس فهم الحزب لدور الأسرة والحزب معا في التنشئة الاجتماعية المتصل بالتربية.

التعاليم:

أطلق القوميون السوريون على زعيمهم لقب "المعلم" وعلى عقيدتهم اسم "التعاليم" وعلى حزبهم: الأسلوب أو "المنهج". واستخدموا كثيرا كلمة "الفكر والمنهج" وكل ذلك دليل على استغراق عقيدتهم للأفكار التربوية، وعلى اهتمامهم بالتربية. بل أن مهام "الزعيم" تكاد ترتقي إلى رسالة "النبي"، وكأنه يجمع بين السلطين الدينية والدنيوية: انظر إلى قول سعادته في رسالة إلى بعض أعوانه أرسلها من الأرجنتين "آمنت بي معلما وهاديا للأمة والناس، ومخططا ربانيا للمجتمع الجديد، وقائدا للقوات الجديدة الزاحفة بالتعاليم والمثل العليا إلى النصر". (سيف، 1999، ص196).

وهناك إشارات عديدة في مؤلفات سعادة توضح المنطلقات التربوية للحزب السوري القومي

الاجتماعي يورد الباحث منها ما يلي مع الإشارة إلى مصدرها في سلسلة الآثار الكاملة:

- المعرفة والفهم هما الضرورة الأساسية الأولى للعمل الذي نسعى إلى تحقيقه، (ج15، ص13).
- ليس في فلسفتنا ما يجعل للحدس والتمني درجة أعلى على العقل والمنطق. (ج15، ص146).
- كل نظام يحتاج إلى الأخلاق، بل أن الأخلاق هي في صميم كل نظام يمكن أن يكتب له أن يبقى، وفي رسالات وخطب ومحاضرات عديدة أظهرت كم هو أساسي وضروري فهم العقلية الأخلاقية الجديدة التي تؤسسها تعاليم الحزب. (ج15، ص144).
- الحق والحرية هما قيمتان أساسيتان من قيم الإنسان - المجتمع (ج14، ص193).
- إن المسيحية والمحمدية مذهبان في دين إلهي واحد، يتفقان في أغراض الدين الأخيرة، ويثبت كل منهما الآخر .. فيجب ألا يكون بينهما اصطدام ولا نزاع بل محبة واتحاد، فقصدتهما هو رفع المناقب الفردية والعائلية. (ج9، ص159، 212).
- الحياة وقفة عز وشرف. الحياة الإنسانية قيمة عظيمة في نفس الإنسان... تعبير عن إنسانيته السامية العظمى! (مختارات في القومية الاجتماعية، 1993، ص170).
- الحق انتصار على الباطل في معركة إنسانية، وليس في معركة غيبية تجري وراء هذا العالم ولا يشترك فيها الإنسان - المجتمع. وليست قيمة الحق، ولا قيمة الحقيقة والخير والجمال مادية، إنها قيم إنسانية نفسية- قسم مجتمعية، قيم مطلقة. (مختارات، نفسه، ص137).
- الحرية ليست حرية العدم، بل حرية الوجود، والوجود حركة. هي حرية الصراع -صراع العقائد في سبيل تحقيق مجتمع أفضل. ولا معنى للحرية وراء ذلك. (ج14، ص192).

4. الفكر التربوي في برامج حزب البعث العربي الاشتراكي

السؤال الرابع: ما الفكر التربوي لحزب البعث العربي الاشتراكي في المشرق العربي في النصف الثاني من

القرن العشرين؟

دلّت هذه الدراسة على أن حزب البعث العربي الاشتراكي قد نشأ في أحضان المؤسسة التربوية فالعناصر البشرية التي تألف منها البعث، أول الأمر، هم المعلمون والطلاب. إذ أنه قام على أكتاف الطلاب وكان وجود أبرز مؤسسي الحزب في سورية: ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في التدريس الثانوي هو السبب في ذلك. وقد استهويّا طلابهما وجذباهم إلى الحزب. (المارديني، 1988، ص141).

وإذا كانت صلة البعث بالمدرسة والمعلمين والطلاب وبالجامعة، على هذا المستوى الوثيق، فقد كان حَرِيّاً بالحزب أن يولي التربية والتعليم اهتماماً كبيراً. ومن خلال استقصاء الباحث لأدبيات الحزب المتمثلة في دستوره، ومؤتمره التأسيسي، ثم مؤتمراته القطرية والقومية، وأفكار قياداته، ومنشوراته، وآراء بعض التربويين المتصلين به يمكن القول أن البعث قد كوّن نظرة متكاملة إلى التربية فلسفةً وأهدافاً وغايات وأساليب.

أولاً: مصادر الفكر التربوي ومرجعياته

1. تركزت فلسفة حزب البعث التربوية إلى فلسفة البعث التي أقرها مؤتمره التأسيسي الأول عام 1947 ونصّ عليها دستور الحزب نفسه والقائمة على مبادئ الحزب الأساسية الثلاثة وهي: وحدة الأمة العربية وحريتها، شخصية الأمة العربية، ورسالة الأمة العربية (دستور البعث، ص39)، إلى جانب ما ينبثق عن هذه المبادئ الأساسية من مبادئ فرعية تتصل بالفكرة القومية والاشتراكية ويكون البعث حزبا شعبياً انقلابياً (تغييرياً) وتغطي مختلف جوانب حياة الإنسان العربي.

لاحظ الباحث أن أدبيات حزب البعث في العراق تشير إلى ضرورة ربط الفكر بالواقع واستلهاهم تراث الأمة وماضيها لتأصيل حاضرها وصياغة مستقبلها. ولأن ميشيل عفلق هو القائد المؤسس للحزب فإن أفكاره وآراءه الفلسفية والسياسية ومنطلقاته تعبر بالتأكيد عن الحزب الذي أسسه، والذي استمر على رأس قيادته سنوات طويلة في موقع العميد ثم الأمين العام للقيادة القومية. ومن هنا فإن الباحث يعتمد على هذا المصدر الأساسي لتوضيح فلسفة البعث وفكره التربوي:

- يؤكد عفلق الحاجة إلى "النظرة الفلسفية" بمفهومها العام الذي يقوم على نظرة في الكون ومظاهره وعلله، وفي الإنسان ومعنى حياته، وفي الأخلاق.
- الإسلام هو فلسفة الحزب.
- فلسفة البعث ليست فلسفة مادية.
- التحذير من خطر الإيغال في التفكير المجرد.
- فلسفة البعث هي "ثقة الأمة العربية في نفسها واعتمادها على قواها. (عفلق، 1985، ج1، ص44، 50، 118، 285، ج3، ص33).

يدعو عفلق إلى الربط الجدلي بين "المادة والروح" و"المثالي والواقعي" و"العلم والروح" و"الوعي والإيمان والعمل والتحقق". ويرى أن الروح هي كلمة السر والأساس.. تتغذى بالتجارب، ويصقلها الفكر والبحث". والروح "ليست شيئاً غيبياً أو ما وراثياً، ولكنها نزوع فردي أو جماعي لتحقيق المثل، أو الانسجام في الحياة مع المثل الأخلاقية الرفيعة". ويؤكد أن اختيار البعث لم يكن بين الروح والمادة بل بين المادة الصرفة والمسيطر، ومادة نابعة من الروح وتابعة لها. ويميز بين "الروح كشيء خالد" وبين "الذهن أو العقل أو الفكر كقدرات إنسانية تخضع للنمو والتطور وتقبل التغيير". وهنا يؤكد أن الرسالة حضارة وروح.. وأن الحقيقة علم وروح.. وأن نظرة الحزب لا تقوم على الحدس بل على الدراسة والتتبع، ويربط الروح بالتفكير الواقعي، وضرورات العلم والتفكير العلمي. (عفلق، ج1، ص21، ج3، ص26 و121، ج1، ص20 و115 و175 و182).

يؤكد عفلق أن الحزب واقعي في تصوره، علمي في منهجه، وأن مثالية الحزب مثالية علمية، وليست مجردة، لأنها تهدف إلى العمل والخلق، ويذهب إلى أن العقلانية العلمية في مبادئ الحزب تقوم على الرسالة العربية، وقيمها الروحية والخلقية، والمتصلة بـ "العلم والمعرفة والكفاءة الفنية". فالبعث فكرة تريد التحقق في العمل، والأفكار أدوات سيطرة وتوجيه، ولا بد من "تجسيد الأفكار والقيم في الحياة والسلوك". (المصدر نفسه، ج3، ص38-39، ج1، ص54، ج3، ص79، ج1، ص99 و33 و56).

أما المعرفة الصحيحة فهي المعرفة التي تُمتحن في العمل الذي يغنيها ويصححها. والمعرفة أداة توجيه لعمل هادف، ولكن الإيمان يسبق المعرفة، والدين أساس في حياة البشر. فالإيمان حق ومنفعة وصدق، والإيمان يرتبط بالعقل والعمل والإلحاد باطل وضار وكاذب، ومعنى البعث يتضمن الإيمان والوعي وإرادة العمل والتحقق. ولا خير في معرفة لا يتبعها عمل، فقيمة المبادئ عندما تُمتحن بالعمل. (المصدر نفسه، ج1، ص56 و118، ج2، ص157، ج4، ص42، ج3، ص89، ج1، ص142 و105 و116).

أما نظام القيم الأخلاقية في فكر البعث فيتجسد في تحديد الجانب الأخلاقي من مفاهيم المثالية والمادية والروح، بعيدا عن التصورات التقليدية للفلسفات الأحادية التفسير وانسجاما مع نظريته العامة التي توصف بـ "الواقعية الثورية" ولا تناقض بين المثالية والواقعية الثورية ما دامت الواقعية تطلب من الإنسان العربي أن يفهم واقعه فهما علميا سليما. والمثالية تطلب منه أن يعلو على هذا الواقع، تطابقا مع الغايات السامية وتوثيقا لعلاقة الذات العربية مع هذه الغايات. ومكونات الأخلاق في فكر البعث تتجسد في أنقى صفات الجماهير الكادحة، وفي النظرية الاشتراكية، كما تستمد مكوناتها من جدلية الإنسان (ماضيا وحاضرا ومستقبلا). (الأعسم، 1999، ص106 و107).

أما الطبيعة الإنسانية فهي لدى البعث ثنائية تكاملية "أي جسم وروح" يكمل بعضها بعضا. "فالإنسان ليس جسدا بل جسد وروح ومشاعر وعقل وانفعالات. ليس مجرد آلة عمل أو جزء من آلة عمل جبارة، تضيع فيها شخصيته، ويخضع لبرامج الكمبيوتر، وإنما هو إنسان .. له روح، وله موقف، وله طموح، وله قدرة". (الندوة القومية حول فكر عفلق، 1990، ج2، ص62).

ويرى الموسوي أن الفكر لدى عفلق والبعث وفلسفته تميز بالإنسانية. فكان الإنسان لديه وحدة التفكير والتحليل الأساسية، فأعطى مكانة مهمة للفرد، وعد الإنسان المحور الأساسي لبناء المجتمع "فيبدو ممتلئا بالثقة في الإنسان الفرد الذي يرى أن جوهره خيرٌ بالطبيعة، وهو يراهن على هذا الإنسان وقدراته اللانهائية". وبذلك لم يقف من الخير والشر موقفا محايدا كالبرجماتية أو الماركسية، بل إنه يرى (الإنسان خيرا على وجه العموم) مخالفا بذلك الفلسفة المثالية. وقد انطلق موقفه بخيرية الطبيعة الإنسانية من خلال نظراته القومية الأصلية لأنه يرى أن معدن الأمة العربية التي أنجبت هذا الإنسان هو معدن خيرٍ بفطرته. (الأعسم، 1999، ص183).

انطلاقا من هذه الرؤى الفلسفية طوّر البعث نظرتَه إلى التربية بعامة، والتربية العربية بخاصة، وهذه هي الأهم. ويمكن الإشارة بتحفظ إلى أن هناك من يرى أن "البعث كون نظرية تربية عربية متكاملة تختلف عن الكثير من النظريات السائدة والسابقة، ناتجة عن المعاناة والمعاشية والنضال المستمر في واقع محدد". (فرحان 1987، ص24).

3. لاحظ الباحث أن حزب البعث قد حدد مفهومه للتربية بأنها سلوك يوجه نشاطات المجتمع ونشاطات الفرد. وهو ينبثق من المجتمع نفسه ويتصل به، مثلما يرتبط بالتراث العربي الإسلامي، ويتطلع نحو المستقبل باتجاه المجتمع العربي الموحد.

وفي ذلك يرى صدام حسين أن أي تصرف أو نشاط في المجتمع فرديا كان أم جماعيا يجب أن يرتبط بهدف ليكون ذا جدوى. ولذلك فإن أي فكرة تحكم النشاط في هذا المجال يجب أن تتصل بالواقع الاجتماعي القائم وترتبط بالعناصر المكونة للحالة المتفاعلة معها. ويذهب إلى القول أن التربية هي نظرية فرعية مستمدة من نظرية رئيسية هي الفلسفة الاجتماعية التي تسود في مجتمع معين. ويربط بين الفلسفة التي يعتمدها هذا المجتمع أو ذاك والنظرية التربوية التي تنبثق عنها فيه. ليخلص إلى القول أن النظريات التربوية، إنما انطلقت من فلسفة وارتبطت بأهداف، فالنظريات التي ظهرت في المجتمع الرأسمالي ارتبطت بالفلسفة التي كونت ذلك المجتمع، وكذلك النظريات التي عرفها المجتمع السوفياتي .. ولهذا يرى أن الخصائص الوطنية والقومية لا بد أن تدخل كعنصر حاسم في تقرير الفلسفة والأهداف الاستراتيجية المرتبطة بها، وتقرير الطريقة التربوية ضمن جيل الشباب، أو في ميدان آخر من ميادين الحياة. ولذلك فإن الشيء الذي يجب أن نضعه في حسابنا عندما ندرس تلك النظريات التربوية هو أن تساعدنا بصيغة التفاعل لا بصيغة النقل، على تكوين النظرية التربوية المرتبطة بخصائصنا الوطنية والقومية في الوطن العربي، ومن أجل الأمة. (حسين، 1988، ج4، ص99-102).

وهذا المفهوم يستند إلى فلسفة حزب البعث العربي الاشتراكي ولهذا يرى الحزب أن يكون من مقدمات العمل التربوي رفض التجزئة والتخلف والسيطرة الاستعمارية.. والعمل على توحيد الأمة وتحقيق استقلالها وتقدمها. وهذا المفهوم يتفاعل مع الخبرة الإنسانية باتجاه تحقيق أهداف الأمة العربية. (ص105).

ويرى عفلق أن التربية في الوطن العربي لها هدف يتجاوز حدود تكوين المعرفة والفضائل السلوكية وتنمية القدرات الفردية، والتلاؤم الاجتماعي، وتكامل الشخصية، أن التربية المطلوبة في الوطن العربي في هذه المرحلة التاريخية تتطلب بعث الشخصية العربية في أعماقها أي إيقاظ الوجود والوجدان معا. ولهذا فهي تربية ثورية تتضمن معنى التغيير الجذري والحاسم للتكوين الراهن للشخصية العربية. وهي وسيلة لبناء الإنسان القومي الاشتراكي: "لا بد من التشدد في مسألة تربية المواطن تربية صحيحة تعتقه من كافة الأطر والتقاليد المتأخرة لتتمكن من خلق إنسان جديد بعقل علمي متفتح، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة، ويؤمن بقيم الجماعة لهدف تحقيق الانقلابية المنشودة". (ندوة عفلق فيلسوفا ومفكرا، بغداد، 1999، ص194-195).

4. يرى فرح (2001)* أن العملية التربوية بمختلف أبعادها ومضامينها كانت موضوع اهتمام حزب البعث العربي الاشتراكي؛ لأنها تشكل قاعدة الانطلاق الأساسية نحو تحقيق أهداف المرحلة التاريخية للأمة العربية التي هي مرحلة انتقال كبرى من طور الانحطاط والتجزئة والتخلف والهيمنة الاستعمارية والاستغلال الطبقي إلى طور النهضة والانبعاث القومي، ضمن عالم يتميز بدوره، بكون يشهد تحولاً جذرياً في بنيته ومفاهيمه وقيمه، أي يبحث عن حضارة جديدة.
5. نظر البعث إلى التربية منذ البدء من منظور حضاري، فلم يتوقف عند الحدود "الأكاديمية" والمفاهيم المجردة والاصطلاحات الفنية التطبيقية لهذه العملية التربوية بل اهتم بهذا التفاعل الحي بين المكونات الداخلية للنظام التربوي من سياسة وإدارة ومناهج وطرق وتخطيط وبنية وسلّم وفعاليات وأنشطة تربوية وبين حاجات النهضة العربية أو النضال القومي. ولهذا يرى فرح أن إطار العملية التربوية في منظور البعث هو "الوطن العربي" ومادتها هي "القضية العربية" وحدودها هي حدود "الثورة العربية" نفسها، ومهمتها الجوهرية تتركز على إنضاج العوامل الذاتية التي نستطيع أن تدفع حركة التطور الموضوعي نحو تحقيق أهداف المرحلة التاريخية، على الصعيدين القومي والعالمي.
6. تشير أدبيات البعث إلى أن نظرتة إلى العملية التربوية تعتمد على المصادر التالية:
أولاً: التراث القومي: والمقصود به تراث الأمة العربية الحضاري المتمثل بحركة التطور والثورة التي رافقت مسيرة الأمة منذ المراحل التمهيدية، في أواخر العصر الجاهلي، والتي شهدت قمته في حركة الثورة الشاملة (الإسلام) التي قادها الرسول الكريم والتي بعثت الأمة العربية ودفعتها في طريق الحضارة والإبداع في شتى جوانب الحياة، وجددت معالم الحياة الإنسانية. والهدف أن يكون تشبّع الأجيال العربية بهذا التراث تعبيراً عن أصالتها. فالحاضر لا ينفصل عن الماضي. واستلهاً العملية التربوية للتراث العربي الإسلامي هو دفع للحاضر والمستقبل في طريق الإبداع والثورة الذي يحرك كل القوى والطاقات المبدعة في الأمة.

* في مقابلة مع الباحث

غير أن إعطاء نظرية التربية هوية قومية يجعل التراث العربي القومي يحتل مكان الصدارة بين مصادرها (منابعها). وهذا ما يعبر عنه حسين بقوله: "إن الاهتمام بالتراث والتاريخ مسألة جوهرية في حزبنا، إذ أن بناء حاضر جدي ومزدهر، يستدعي الاهتمام بالماضي، دراسةً واستشهاداً واعتزازاً بجوانبه المشرفة، لأن الحاضر والمستقبل المزدهر إنما هما امتداد للماضي، في جانب مهم منه، هو ذلك الذي يعبر عن أصالة وخصوصية تجربتنا وشعبنا". (حسين، 1980، ص 32)

ثانياً: الأيديولوجية العربية الثورية: لقد كانت نظرية الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية، كما يصفها (عفلق، 1963، ص 109) "أول مساهمة في تركيز الحركة الثورية العربية على أسس صلبة". ولهذا يعتبر فرح (2001) أن استلهام العملية التربوية للأيديولوجية العربية الثورية (الفكر القومي الاشتراكي) هو السبيل (الوحيد) لجعل القطاع التربوي جزءاً من حركة الثورة العربية وعاملاً في دعمها وتغذيتها باستمرار بالأجيال العربية المستوعبة لتناقضات الواقع العربي وللمهمة التاريخية الملقاة على عاتقها في نهضة الأمة. ولكي تدرك بأن قدرها هو "قدر جيل محارب، جيل مناضل يُهَيَّبُ بنضاله من أجل الوحدة والحرية والاشتراكية، شروط إنقاذ الأمة وخلاصها من قيد التجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي، وتحررها من الإمبريالية والصهيونية، وتحقيق شخصيتها الحضارية ورسالتها الإنسانية" (عفلق، 1963، ص 79). ويرى اللاطي "أن فلسفة حزب البعث الاجتماعية تعتمد التربية وسيلة من الوسائل الفعالة في بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد الذي يناضل الحزب من أجل إقامته". (اللاطي، 1996، ص 75).

ثالثاً: حركة الثورة في الوطن العربي: يعتقد فرح أن حركة البعث هي جزء لا يتجزأ من حركة الثورة في الوطن العربي والقضايا الرئيسية التي تتركز حولها، والأحداث الهامة التي تشكل لحمتها. وأن تفاعل العملية التربوية مع هذه الحركة الشاملة للأمة العربية، حركة النضال القومي والتغيير الاجتماعي هو الذي يربطها "بِنَسْغِهَا الْحَيِّ" ويجعلها "أداة تطوير وتثوير" للواقع العربي. (فرح، 2001).

وهكذا فإن الساحة العربية بكل ما يمور فيها من عوامل وأحداث، تشكل الأرضية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلورة نظرية تربوية عربية شاملة. فالعملية التربوية، في منظور البعث، تستمد من استلهام إرادة الجماهير ومصالحها، منطلقاً لجعل الأجيال الطليعية تمتلك الحس الشعبي النضالي الذي يعصمها من الوقوع في اسر التفكير المجرد، والنضال المقطوع الجذور، الذي تتسم به النخبة المتعالية عن الجماهير، والحركات السطحية التي تعيش مع أفكارها في الفراغ. كما أنها تستمد من استيعابها الدائم لحركة الواقع العربي والتناقضات القائمة في المجتمع العربي، القدرة على امتلاك صورة علمية جدلية تاريخية، صورة تربوية، تضع أمام الأجيال الجديدة مهمة تغيير هذا الواقع باتجاه ثوري. (فرح، 2001).

7. لقد حدد البعث مفاهيم (المثالية) و (المادية) بالانسجام مع نظريته (الواقعية الثورية) التي تمزج بين رؤية الواقع والعمل على تجاوزه وبكلمات صدام حسين نجد أن "الإنسان الذي يكون فيلسوف شعبه ويضع له نظرية، لا بد أن يكون جزءاً من هذا الشعب. ولا بد أن يأخذ بالواقعية من أجل التغيير، ليس بواقعية ظروف الواقع، وإنما بالواقعية الثورية حيث يأخذ القائم لكي يتجاوزه.. يأخذ التناقض داخل المجتمع، ويصوغ النظرية في ضوء ذلك..". (حسين، 1976، ص3).

ويفسر عفلق (1986) ذلك بقوله: "مثاليتنا هي هذه الروح المتفائلة الواثقة من نفسها ومن الأمة ومن المستقبل .. هذه المثالية في أن نعيش في صميم هذا الوسط الذي نرى مفاصله في كل ناحية، والذي صممنا على محاربتة والظفر عليه، دون أن نفقد أملنا بأن يخرج من صميم هذا الوسط الفاسد نور الحياة العربية" إنها مثالية تعني المعاناة والثورة، وتعكس إيمان البعث بالنضال وسيلة لتحقيق صورة المجتمع العربي المنشود. وهذه هي "الواقعية الثورية". وواضح أن هذا هو الطرح الأيديولوجي للمثالية وليس تصورهما الفلسفي، وكذلك هو الأمر بالنسبة للواقعية وفهمها.

ثانياً: أهداف التربية وغاياتها:

1. اعتبر حزب البعث نفسه "عملية تربوية" ذات أبعاد علمية وحضارية تتلاءم مع متطلبات الثورة العربية المعاصرة. وقد جاء في نص دستور الحزب الذي أقرّه المؤتمر التأسيسي الأول عام 1947 أن التربية القومية ترمي إلى "خلق جيل جديد مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها، آخذ بالتفكير العلمي، طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية، مشبع بروح التفاؤل والنضال مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الإنسانية". (نضال البعث، 1976، ج4، ص30).

2. نصت المنطلقات النظرية لحزب البعث التي أقرها المؤتمر القومي السادس عام 1963 على أن تربية المواطن تربية اشتراكية وعلمية، تَعْتَقُهُ من كافة الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة، هي السبيل إلى خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي منفتح ويؤمن بقيم جماعية ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة. (حزب البعث، بعض المنطلقات النظرية ، 1967).

3. ربط الحزب بين العملية التربوية وبين عملية بعث الأمة، معتبرا التربية عملية ثورية تتضمن معنى التغيير الجذري والحاسم لتكوين الشخصية القومية الجديدة. فالتربية ليست مجرد إعداد للحياة النضالية، بل هي مرتبطة بالحياة النضالية، وتشكل أهم ركن من أركانها. ومن هنا التأكيد على التعليم وممارسة الديمقراطية. (نضال البعث، 1976، ج2، ص608).

4. دلت نتائج الدراسة على أن تجربة حزب البعث في العراق خلال الثلث الأخير من القرن العشرين حملت عناصر فكر تربوي آخذ في النمو والتكامل من خلال الممارسة، ففي آذار 1970 حدد حزب البعث الأهداف والغايات التالية لسياسته التربوية:

- ترسيخ الوحدة الوطنية.

- تنمية الوعي القومي ووضع المعرفة العلمية في خدمة الأهداف القومية.

- خلق المواطن الثوري الذي يمتلك إرادة التغيير ويربط حياته بمستقبل أمته.

- تعزيز المعرفة العلمية وأسلوب التفكير العلمي، والعمل على تكوين العقل المتطور الحديث الذي يساهم في صنع مستقبل العراق.
- ترسيخ الروح النضالية، وتأكيد المبادئ الديمقراطية الشعبية، وتعميق التفاعل الخلاق بين الفرد في نموه، والمجتمع في تطوره، والأمة في تقدمها.
- العمل على بناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد، مجتمع الكفاية والعدل.
- اعتبار التدريب العسكري جزءاً أساسياً في التربية الحزبية الثورية. (حزب البعث، المؤتمر القومي العاشر، 1970، ص 77-85).

5. عام 1982 حدد المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث في العراق أهداف التربية والتعليم بما يلي:
- أ. إعداد النشء والشبيبة إعداداً وطنياً وقومياً واشتراكياً عملياً وعلمياً.
 - ب. تحقيق ديمقراطية التعليم واشتراكيته.
 - ج. تعميم إلزامية التعليم ومجانيته.
 - د. التوسع في المؤسسات التعليمية لتستطيع استيعاب جميع الطلاب.
 - هـ. تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع.

6. عام 1995 حدد حزب البعث في العراق بما يلي:

أولاً: الهدف الشامل:

تنشئة جيل واع، مؤمن بالله، وبرسالته السماوية وخاتمها الإسلام، محب لشعبه ووطنه في العراق، مخلص لأمته العربية، مدرك لرسالتها الإنسانية في الوحدة والحرية والاشتراكية، متمسك بقيم الحق والخير والجمال، واثق من نفسه ومن أمته، معتمد على التعليم الذاتي والعمل المنتج، متذوق للفنون، متسلح بالعلم والخلق، حريص على التمسك بحقوقه وعلى أداء واجباته بتوازن وانسجام، مالك لإرادة النضال والجهاد والبناء، قادر على صنع قراره المستقل، متمكن من مواجهة التحديات المصرية والحضارية المتمثلة بالشعوبية والصهيونية والهيمنة الاستعمارية، وبالتخلف والتجزئة، مدرك لمعطيات التطور الحضاري، آخذ بالتقدم العلمي والتقني، منفتح على الفكر الإنساني، جامع بين الأصالة والمعاصرة.

ثانياً: الأهداف العامة:

- الهدف الإنساني: الإيمان بالإنسان قيمة عليا، والعمل على تطوير شخصيته بالتفاعل مع مجتمعه.
- الهدف الإيماني: ترسيخ الإيمان بالله ورسالاته السماوية وخاتمها الإسلام، والمبادئ السامية التي دعت إليها.
- الهدف الوطني: تعزيز حب الوطن والدفاع عن سيادته وكامل ترابه الوطني، وترسيخ وحدته واستقلاله، وترسيخ التماسك الاجتماعي بين أبنائه. ويتجلى ذلك في تنمية روح المواطنة الصالحة، وحب الوطن والولاء له، والموازنة بين الحقوق والواجبات، وتعزيز إيمان المواطن بمبدأ الاستقلال الوطني والقومي وحق القرار المستقل وفهم تاريخ العراق وخصائص المجتمع العراقي الواحد.

- الهدف القومي: ويعني الولاء للأمة العربية والإيمان بوحدتها ورسالتها والعمل من أجلها، بتعميق الوعي القومي، وفهم الخصائص الحضارية للأمة العربية، وفهم خصائص المجتمعات والبيئات في الوطن العربي، وتأكيد الجوانب الإنسانية في القومية العربية المتمثلة بطابعها التحرري والتقدمي والاشتراكي ونبذ التعصب والتمييز، وفهم التحديات الحضارية والمصرية التي تهدد الأمة العربية المتمثلة بالصهيونية والهيمنة الاستعمارية والتجزئة والتخلف. وحشد إمكانات الأمة العربية البشرية والمادية والعلمية واستثمارها في مواجهة التحديات لمواصلة مسيرتها وإسهامها الفاعل في بناء الحضارة الإنسانية.
- الهدف الأخلاقي: ويعني تمثل القيم الإنسانية والفضائل العربية الإسلامية والتمسك بها في السلوك المستقيم وجعلها جانبا أساسيا في المواطنة الصالحة، وفي مواجهة التحديات الحضارية، وسلبات الحضارة المعاصرة، والغزو الثقافي والعلمي والقيمي.
- الهدف الديمقراطي: ويعني تنظيم الحياة على أساس الحرية والديموقراطية وتكافؤ الفرص والعدالة، وترسيخ العقلانية وروح التسامح والتعاون والنقد البناء، والمشاركة المستندة إلى إرادة الشعب ومصالحه وضمان تحقيقها والمتمثلة في الحرية والاشتراكية فهما وممارسة، وتعميق الممارسة الديمقراطية في المؤسسات التربوية وإداراتها، وتمثيلها في السلوك بين المعلمين والمتعلمين، وتمكين المرأة من الإسهام الجاد في بناء المجتمع.
- الهدف الاشتراكي: ويعني تنظيم الحياة الاقتصادية وضمان تطوير الإنتاج، كما ونوعا، وتحقيق عدالة التوزيع. وفهم التنمية الشاملة باعتبارها تحقيقا للتقدم المتوازن في سائر مجالات الحياة. وتأكيد وظائف التربية وترابطها مع النظم المجتمعية الأخرى في نطاق التنمية الشاملة. والاتجاه بالتربية نحو الإنتاجية، واعتبار العمل محورا أساسيا لاكتساب الخبرات والقيم المؤدية والاستهلاك وتشجيع الاستثمار والادخار.

- الهدف العلمي: أي الاعتماد على العلم والتقنية منهاجاً ومحتوى وفكراً وتطبيقاً، في سائر مجالات الحياة. ويشمل تقدير العلماء والباحثين والعاملين في مؤسسات البحث العلمي ورعايتهم لتمكينهم من أداء رسالتهم في إطار البناء العلمي والمعرفي والقيمي للدولة والمجتمع.
- الهدف الثقافي: تقدير ما أنجزته الحضارة البشرية من فلسفة وآداب وموسيقى وفنون، والاعتزاز بإنجازات العراقيين القدامى في ميادين الفكر والقانون والأدب والفن، والاعتزاز بإنتاج الثقافة العربية الإسلامية في هذه الميادين، والانفتاح على الآداب والاتجاهات الفلسفية والفنية العالمية، والإسهام في الفكر العالمي المعاصر.
- هدف العمل: تقدير العمل بأنواعه اليدوي والفكري والاجتماعي والإنتاجي باعتباره عنصراً أساسياً في نشاط الإنسان الحضاري وفي تقدم المجتمعات. واعتبار العمل حقاً أصيلاً وكذلك اعتبار العمل والخبرة العملية والعلمية ركناً أساسياً في التربية في سائر مستوياتها، وتوثيق الصلات بين الفكر والتطبيق، واعتماد العمل والتدريب المهني عنصراً أساسياً في التعليم الأساسي والعام، وفي تعليم الكبار، وكذلك في الإنتاج، وتكوين الثروة، والتنسيق بين المؤسسات التربوية والاقتصادية.
- هدف القوة والاقترار: ويعني تنمية عناصر القوة والاقترار في شخصية الإنسان العراقي وتطوير إمكانياته في حماية الوطن والدفاع عنه وتحقيق أمنه وسيادته واستقراره والإسهام في تماسك المجتمع ومنعته، ويتجلى ذلك في تنمية الشخصية، وإذكاء روح الإقدام والجندية وخصائصها كالضبط والطاعة والنظام والصبر والتجلى والثقة بالنفس، وحسن التصرف في الأزمات، والتعاون والتكافل.. والشجاعة والتضحية والفداء. واعتبار الخدمة العسكرية وما تتضمنه من تربية وتدريب شرفاً للدفاع عن كرامة الوطن والأمة، وركناً أساسياً في المواطنة الصالحة، والإقبال على أدائها طواعية واختياراً.

- هدف الجهاد والبناء: تمكين المواطن من تهم التحديات المعاصرة، وخلق القدرات الذاتية وغرس روح الجهاد والمثابرة والاعتماد على النفس، وتعميق البناء النفسي والوطني، وتعزيز جوانب الوعي والصبر والتطلع إلى المستقبل بروح التفاؤل والأمل، وحسن استثمار الموارد البشرية والمادية.
- هدف الأصالة والتجديد: ويعني الالتزام المبدئي بمواقف حضارية تتسم بالأصالة وما تتضمنه من تمسك بخير ما في الماضي، والحفاظ على الهوية القومية، والإيمان بالتجديد وما يتضمنه من تغيير للحاضر نحو الأفضل واستشراف للمستقبل. وهذا يتطلب "فهم الحضارة العربية الإسلامية، وما فيها من أصالة وعقلانية وقيم إنسانية، والعناية باللغة العربية لغة القرآن الكريم ووعاء تراث الأمة وثقافتها، وتيسير فهمها وتذوقها واعتمادها في إغناء الثقافة المعاصرة، وإبراز خصائص الشخصية القومية للأمة العربية.
- هدف التربية المستمرة: ويعني الاعتماد على مقدرة الإنسان على مواصلة التعليم وتوفير فرصه دون قيود الزمان والمكان. وذلك بتنمية قدرات الإنسان على التعلم والتعليم وإتقان مهاراته الأساسية، والمواءمة المستمرة بين التربية والحياة لتكون التربية "حياة بذاتها" فيما يتوافر لها من النشاط والتجديد والتطوير. وتوفير فرص التعليم المتكافئة للكبار لإغناء حياتهم في نطاق الأسرة ومؤسسات العمل ونشاط المجتمع عامة.
- هدف التربية للحياة: يعني تأكيد أن الحياة نعمة إلهية، وحق أصيل يجب أن يساند خالصا من الذل ولهوان، ولذلك ينبغي أن يكون التعليم متصلا ببواعث المتعلمين وحاجاتهم المتجددة لكونه قائما في صميم حياة الإنسان، واعتماد التربية على الخبرات الإنسانية، وجعلها متصلة بخصائص المتعلمين واستعداداتهم وقدراتهم وببواعثهم، وتكييفها لما بينهم من فروق فردية.. وتوثيق صلة النظام التربوي بالأنظمة الفرعية الأخرى في المجتمع.

- هدف الإنسانية: أي الانفتاح على الشعوب والثقافات عامة والتفاعل مع القوى الخيرة فيها ودعم التفاهم بينها لخير البشرية وسلامها القائم على الحق والعدل والمساواة والمصالح المشتركة.

7. عام 1966 حددت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية أهداف التربية القومية بأسس ثلاثة: فردي واجتماعي وإنساني:

وقد جاء في الأساس الفردي: إن مجتمعنا يتسم بظاهرة العاطفية، وعلى المدرسة أن تركز جهودها لخلق الإنسان العربي الموضوعي ذي التفكير العلمي البعيد عن الارتجال والاستسلام والنظرة الغيبية والكسل العقلي.

أما الأساس الاجتماعي فقد نص فيه على التأكيد على ضرورة تثبيت مفهوم الوحدة العربية، والوطن العربي الواحد كضرورة قومية اشتراكية، ورفض الاستغلال الطبقي، والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص.

أما الأساس الإنساني فقد أكد ما يلي:

أ. تعريف أبنائنا بالتراث الحضاري لأمتهم العربية، مما يحفزهم ويزيد من ثقتهم بأنفسهم ويشعرهم بمسؤولياتهم التاريخية في إغناء التراث الإنساني المعاصر كجزء من رسالتهم الإنسانية.

ب. أن تغرس الفكرة القومية وتنمي في النفوس كفكرة تقدمية لا كعقيدة اجتماعية مغلقة أو فلسفة عنصرية ضيقة. (جيل الثورة، 1970، ص54).

8. حدد الدستور السوري عام 1973 في المادة 21 هدف التعليم في سورية بما يلي: "يهدف نظام التعليم والثقافة إلى إنشاء جيل عربي قومي اشتراكي علمي التفكير، مرتبط بتاريخه وبأرضه، معترز بتراثه مشبع بروح النضال من أجل تحقيق أهداف أمته في الوحدة والحرية والاشتراكية والإسهام في خدمة الإنسانية وتقدمها".

ثالثاً: عناصر التربية ووسائلها والسياسات التربوية:

1. المعلم والمربي: دلت الدراسة على أن حزب البعث في العراق منذ تولى الحكم عام 1968 اهتم بالجوانب المختلفة التي تتصل بالعملية التربوية، خصوصاً المعلم، سواء من حيث إعداده المهني والأكاديمي والثقافي أو من حيث ظروف عمله ووضعها المادي ومركزه الاجتماعي تسهيلاً لمهمته في أداء رسالته. ومن خلال أدبيات الحزب أو وثائق وزارة التربية أو خطابات الرئيس صدام حسين، يمكن للباحث أن يحدد نظرة الحزب إلى المعلم بالتالي:
 - أ. المعلم هو أب لطلابه وقائد لهم: "المعلم قائد لصفه والقائد أب".
 - ب. المعلم هو القدوة، وهو المثل القريب الذي يتصل به الطالب ويأخذ عنه ويقلده. "فالطفل في سن الطلائع يتشبه بمعلمه أو معلمته".
 - ج. تأدية المعلم لواجباته يجب أن تتجاوز الإطار التقليدي القديم لوظيفته.
 - د. دور المعلم أساسي ومهم في إعداد الطالب للتكيف والمشاركة في مجتمع متغير بكل المضامين "لأن سلوك المعلم ضمن المدرسة له دور أهم من المناهج المدرسية".
 - هـ. المدرسون ليسوا مدرسين بالمعنى الأكاديمي فقط، بل هم موجهون تربويون، وعلاقتهم بالطالب هي علاقة تربوية.
 - و. مهمة معلم المرحلة الابتدائية أساسية وصعبة ودقيقة لأن طريقة معاملة المعلم وأسلوبه تترك بصماتها في تكوين شخصية الطالب، وهي اللبنة الأولى والأساس الذي تقام عليه دعائم الشخصية في المراحل اللاحقة. يقول صدام حسين: "إن مهمة معلم الابتدائية تتقدم على مهمة مدرس الثانوية، وهذه تتقدم أيضاً على مهمة أستاذ الجامعة. لأن أستاذ الجامعة يتسلم الطلاب كنتيجة متكونة في أساسياتها التربوية إلى حد بعيد، فإذا كانت النتيجة منحرفة، فإنه لن يكون قادراً على إحداث تغيير كبير وجوهري فيها".
 - ز. ضرورة إعداد المعلم إعداداً مهنياً وفكرياً سليماً. والإعداد وحده لا يكفي ما لم يكن معززاً بإيمان المعلم بفكر الحزب وفلسفة الثورة ومستوعباً لها لكي يتمكن من بناء وخلق إنسان جديد ذو عقل علمي وأخلاق قومية اشتراكية سلوكاً وممارسة.
- (حسين، 1980، ص 149، ص 34-35 و 5-6).

2. الطالب: يرفض حزب البعث العربي الاشتراكي أن يبقى الطالب معزولا عن المجتمع في مدرسته أو جامعته، ويرى أن بناء المجتمع يجب أن يسير بصورة متوازنة وأن ترتبط كل حركة فرعية في المجتمع، وكل رافد بأصوله الأساسية. وعليه فإن الطالب مرتبط بالمجتمع ويجب أن نهتم بقيم العمل الديمقراطي بين الطالب والمدرس، ضمن المجتمع وضمن مدرسته وجامعته. فللعلاقة بين الطالب وعائلته دورها، وللمؤسسة في الدولة دورها في علاقاتها بأعضائها. وهم هنا الطلاب في المدرسة. (حسين، ج4، 1988، ص63).

ويقول صدام حسين: "إننا نريد جيلا يؤمن بالقومية العربية، وجيلا اشتراكيا، هذا هو الجيل الذي نناضل من أجل تكوينه ضمن المجتمع العربي" (المصدر نفسه، ص68). ويضيف: "إن الطفل والفتى يعتبران أقرب إلى أن يكونا مشروعاً اشتراكياً وثورياً في مجتمع ثوري اشتراكي منه إلى أي احتمال آخر.. إن الطفل والفتى ليس لهما انتماء اجتماعي طبقي، وليس له اتجاه سياسي محدد ابتداءً، لذلك فإن الحزب والدولة هما عائلة الطفل والفتى، حتى نجعل منهما بعثيين جيدين في السلوك والتصرف ..". (حسين، 1979، ص3).

وفي حديثه للمشرفين على المجال التربوي يبين صدام حسين لهم أن مهمتهم "تبصير الطالب بأهمية العلاقة الديمقراطية بينه وبين المعلم.. وأن هذا يتطلب بناء شخصية للطالب عارفة بحقوقها وواجباتها، وحقوق المعلم وواجباته". و"علينا إشاعة العمل الجماعي في نشاطات الطلبة لن ذلك يعلمهم على التعاون بينهم إلا أن العمل الجماعي يجب ألا يلغي أهمية المبادرات الذاتية في خدمة المجتمع". ويدعو إلى "تنمية روح النقد لدى الطالب ليتمكن من التصدي للعادات والتقاليد السلبية التي لا تنسجم مع مسار الثورة في عملية التغيير.. وكذلك بناء شخصية الطالب ذي الحس القومي القادر على مواجهة الغزو الثقافي الأجنبي، وتمكينه من اكتشاف الواقع اكتشافاً منفرداً أي إبداعياً. (حسين، 1980، ص105-106).

وبذلك يرفض الحزب الدور التقليدي للطالب في العملية التربوية ويدعو إلى بناء شخصية الطالب الفاعل الذي يكون له دور متميز في المادة التعليمية، سواء في المؤسسات التربوية الرسمية أو داخل التنظيم الحزبي. "إننا لا نريد أن يحفظ الطالب الأمور التي تخص الحزب وتخص الدولة حفظا بباغوايا، لأن الإخلاص للحزب لا يعبر عنه إلا بالانتماء التنظيمي أو يحفظ شعاراته"، فالطالب بعد إحداث التغيير المطلوب في شخصيته يتحول إلى "قائد ومسؤول عن فعل التغيير في داخل أسرته وفي وسطه الاجتماعي" وعلى هذا الأساس يكون فعل التربية في شخصية الطالب مزدوجا: فهو من ناحية غرس عادات وتقاليد جديدة. ومن ناحية أخرى تحصين له من التقاليد والعادات البالية. (فرحان، 1987، ص112).

3. المنهاج: دلت نتائج الدراسة على اهتمام حزب البعث العربي الاشتراكي بمضمون المناهج الدراسية وتطويرها بما يتلاءم مع نظرة الحزب وفلسفته القومية، خصوصا بعد تسلمه مقاليد الحكم في سورية عام 1963، وفي العراق عام 1968.

فقد أشار دستور البعث عام 1947 إلى ضرورة أن تلتزم المناهج التربوية بالمنهج العلمي والتفكير المنطقي البعيد عن قيود الخرافات والتقاليد الرجعية. وأن تعزز المناهج ثقافة المجتمع التي يصفها الحزب بأنها "ثقافة قومية، عربية، حرة، تقدمية، شاملة، عميقة، إنسانية في مراميها، عامة في جميع أوساط الشعب". (دستور البعث، ص 28 و29).

وفي عام 1974 أشار الحزب في تقرير المؤتمر القطري الثامن في بغداد إلى ضرورة إعداد كتب وبرامج مدرسية جديدة تنبع من مبادئ الحزب والثورة القومية الاشتراكية، مشيرا إلى أن المناهج المدرسية على اختلاف مستوياتها ما تزال بعديّة عن التعبير عن مبادئ الحزب والثورة القومية الاشتراكية لأنها ما تزال تنشر بين النشء الجديد والشبيبة الثقافات والمفاهيم البورجوازية واليمينية المتخلفة.

ووضع مؤتمر حزب البعث في العراق خطة خمسية عام 1974 تضمنت في المجال التربوي إعداد مناهج دراسية جديدة بدءاً من رياض الأطفال وصعوداً إلى آخر مراحل التعليم الجامعي، على أن تبنى وفقاً لحاجات التحولات الثورية التي يقودها الحزب، وتساهم في تحصين النشء الجديد فكرياً وثقافياً وتربوياً. كما تضمنت الخطة العمل على تصفية الأفكار والاتجاهات الرجعية والبورجوازية الموجودة في مناهج التعليم. (حزب البعث، المؤتمر القطري الثامن، 1974، ص 230).

وفي عام 1982 أشار تقرير المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث في العراق إلى إنجازات حكم الحزب في المجال التربوي فذكر أنه أعيد تأليف المناهج المدرسية والجامعية وفق الاتجاهات المركزية للحزب والثورة ومتطلبات المجتمع الجديد القائمة على المنطلقات الاشتراكية والقومية والمرتبطة بحاجات المجتمع نفسه.

وأما حزب البعث في سورية فقد أكد ضرورة ربط المناهج الدراسية بالنضال العملي في مواجهة التجزئة والتخلف والاستعمار، وقد واجه الطلاب، كبقية الجماهير الشعبية تحديات صعبة معقدة ومتشابكة كالتجزئة والتخلف والاستغلال والوجود الصهيوني في فلسطين تحت اسم "دولة إسرائيل" إلى جانب مشاريع الأحلاف الاستعمارية والطائفية. وشارك الطلبة في كل تلك المعارك التي خاضتها الجماهير الشعبية في سورية وسائر أنحاء الوطن العربي. وتوجه النضال الطلابي الذي اندغم في جزء مهم منه بنضال حزب البعث العربي الوليد آنذاك بانضمام قطاع مهم من الجسم الطلابي، الطليعة الشبابية الواعية، إلى الحزب.. وهكذا اكتشفت الطليعة الطلابية شكل نضالها الجديد، وأخذت حركتها عدة اتجاهات أساسية:

أولاً: النضال القومي: لتثبيت الانتماء القومي، واعتبار الإطار القومي العربي هو الإطار النضالي السليم للجماهير.

ثانياً: النضال التحرري: ضد أشكال الارتباط والمشاريع الاستعمارية وضد الوجود الصهيوني، وضد القيود الاجتماعية.

ثالثاً: النضال الديمقراطي: ضد أشكال الأنظمة الديكتاتورية والتسلطية والرجعية.

رابعاً: النضال الاشتراكي: ضد سائر أنواع الاستقلال الطبقي والاجتماعي. (حداد، 1970،

ص26-28).

كما اهتم حزب البعث بغرس مبادئ القومية العربية في نفوس النشء عن طريق وضع مناهج تربوية مناسبة. ومثل بذلك "الاتجاه القومي في التربية العربية الحديثة" وهو الاتجاه الذي يذهب إلى "غرس مبادئ القومية العربية التي تهين لنا جيلاً جديداً متلائماً مع ضرورات مجتمع العلم والصناعة والتحويل الاشتراكي والاضطلاع بتحقيق الأهداف الكبرى للشعب العربي في الوحدة والحرية والاشتراكية. (نضال الطلبة، دمشق، 1969، ص53).

كما دعا حزب البعث في سورية إلى أن تتضمن المناهج الدراسية ما يربط بين التعليم وخطط التنمية وأن يجري التركيز على توسيع التعليم الفني بمختلف درجاته في الأقطار التي يحكم فيها الحزب وأكد على وجود حاجة ملحة إلى البدء بتدريس مناهج الحزب وتاريخه وأفكاره في المدارس في هذه الأقطار أيضاً. (نضال البعث، ج4، ص245-247).

وجاء في المنهاج المرحلي الذي أقره المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية المنعقد في حزيران 1965 دعوته إلى قلب النظام التربوي القائم على ترجيح الدراسة النظرية المجردة، وعلى أسس من التفرقة الجهوية، وتكريس أفكار المجتمع القديم والمتسم باللاتخطيط والانخفاض الكبير في المستوى العلمي، وإحلال نظام تربوي جديد محله يرمي إلى تغيير تفكير المواطن وسلوكه بما يتلاءم مع ضرورات مجتمع العلم والصناعة والتحويل الاشتراكي والاضطلاع بتحقيق الأهداف الكبرى للشعب العربي. وأشار إلى أن حكومة الثورة ستعمل على إنشاء مؤسسات تربوية وتعليمية جديدة ترمي إلى تكوين المهارات العلمية والخبرات الصناعية والزراعية بالإضافة إلى ترقية التفكير وتهذيب العاطفة والذوق السليم..

ولابد لذلك من إعادة النظر في هيكل التعليم الراهن ومناهجه وطرق التدريس وإعداد المعلمين بشكل يساعد على خلق نظام تربوي يحقق أهداف الثورة في خلق جيل عربي اشتراكي يملأ الإطارات المؤهلة لبناء المجتمع الجديد.. ومن نقاط الانطلاق المؤدية إلى هذا الهدف الكبير صهر جميع أبناء الوطن في بوتقة واحدة هي (المدرسة العربية ذات المنهج الواضح الذي يعكس المفهوم القومي الاشتراكي) الذي يرفض كل أثر لعصبية منافية له. (حزب البعث، 1965، دمشق، ص 18).

رابعاً: أهم القضايا التربوية لدى حزب البعث العربي الاشتراكي:

إلزامية التعليم ومجانيته

لقد عالج حزب البعث العربي الاشتراكي في مؤتمراته، منذ العام 1963 الذي تولى فيه الحكم في سورية، الأوضاع التربوية في القطر العربي السوري، فجاء في مقررات المؤتمر القومي السادس 1963 ما يلي:

1. إن بناء الاشتراكية وممارسة الديمقراطية يقتضي محو الأمية بصورة تامة وعاجلة وتعبئة وتجنيد جميع السلطات وهيئات الحزب والمنظمات الشعبية لإنجاز هذه المهمة.
2. إن الوضع الفعلي للتعليم والمتعلمين يعكس بصورة جلية الوضع الاجتماعي والظروف المتخلفة التي يعيشها شعبنا، وبصورة خاصة في الريف.
3. إن إلزامية التعليم يجب أن تكون فعلا لا قولا وفي الريف بصورة خاصة.
4. إن جهاز التعليم المركزي جهاز سيء وفساد وإقليمي ومعاد للقومية العربية والشعب ولهذا يجب إصلاحه باتجاه تحول اشتراكي يقتضي اهتماما أوسع بالريف، حيث يبدي الجهاز المركزي احتقارا للريف بصورة خاصة!

وجاء في مقررات المؤتمر القطري الخامس للحزب المنعقد في أيار 1971، ما يلي: "لا بد من توسيع التعليم الإلزامي وتحقيقه فعلا في المرحلة الابتدائية، إعادة النظر بأسس المرحلة الثانوية بتوسيع التعليم الفني على حساب التعليم الأكاديمي، بما يتناسب مع الأهداف الأساسية للثورة".

أما دستور الدولة السورية الصادر في 1973/3/13 فقد نص على ما يلي في المادة 37 منه: "التعليم حق تكفله الدولة، وهو مجاني في جميع مراحل، وإلزامي في مرحلته الابتدائية .. وتعمل الدولة على مدّ الإلزام إلى مراحل أخرى..".

وعقد في دمشق المؤتمر التربوي لتطوير التعليم ما قبل الجامعي في آب 1974، تحت عنوان "التربية من أجل التنمية، جاء في توصياته الآتي: "العمل على تنفيذ الإلزام في التعليم الابتدائي على مستوى القطر سعياً وراء مدّ الإلزام إلى نهاية المرحلة الإعدادية، مع إيلاء اهتمام خاص بالمناطق الضعيفة تربوياً وتعزيز الخطة العامة بخطط خاصة بهذه المناطق". (اللاطي، 1996، ص56). وبذلك أكد الحزب مجدداً التزامه بمجانبة التعليم، وإلزاميته (في مراحل معينة) والتوسع فيه، والتركيز على المناطق الريفية .. تحقيقاً لديموقراطية التعليم.

التربية القومية:

يتساءل مقال منشور في مجلة جيل الثورة الدمشقية: هل استطعنا أن نحقق مبادئ البعث في تربيتنا القومية؟ ويجب على سؤاله بالتالي: "إن من الواضح أن التربية العربية لم تبلغ غايتها بالرغم من التقدم النسبي الذي أحرزته -حتى الآن- وذلك لأسباب كثيرة متنوعة منها أن الوطن العربي حديث عهد بالنهضة، وهو مضطر لتكريس معظم جهوده، ووضع كافة إمكانياته لمحاربة المخططات الاستعمارية الموضوعة لهذه المنطقة من العالم والهادفة إلى إذلال الشعب العربي، ونهب خيراته وثرواته.. ومن أسباب ذلك عدم نمو الحياة الاقتصادية في جميع الأقطار العربية في آن واحد أو وزن واحد، والميل إلى تقليد الحضارة الأوروبية دون التوفيق بينها وبين الحاجات القومية". (جيل الثورة، 1970، ص54-55).

ومن اللافت للنظر أن المقال المذكور ينتهي إلى التوصية بما يلي: "وعلی الثورة الآن أن تبدل واقع التربية تبديلا جذريا، وتحدد مناهج جديدة، وتعمل على تنظيم حياة المدرسة بأكملها لتخلق جيلا يعي مصلحته في التحويل الثوري للمجتمع، وتكريس القيم الاشتراكية الوحدوية التي تهىء الفرد لأن يكون عنصرا فعالا ومنتجا وإيجابيا". (المصدر نفسه، ص56).

تطوير التعليم

أكدت المؤتمرات القطرية لحزب البعث خلال عدة سنوات على ضرورة تطوير التعليم والتخطيط التربوي، وتحديث المناهج الدراسية والاهتمام بالتعليم التقني والفني. واستندت وزارة التربية والتعليم في عملها لتطوير المناهج على تلك القرارات الحزبية. وشمل التطوير جميع مكونات المناهج التربوية، وجاء ذلك في إطار الخطط التنموية الشاملة في القطر، ومنسجمة مع المنطلقات الأساسية للسياسة التربوية. وكان الهدف من ذلك إعادة النظر في المناهج لكي "تساير الوضع الجديد للمجتمع الآخذ في طريق التحول الاشتراكي" ولمواكبة العلم والمعرفة في العالم المتقدم" و"لتلبي حاجات الإنسان العربي وتطلعاته وتأكيد قيمه القومية الاشتراكية". (اللاطي، 1996، ص148-150).

السياسات التربوية

اهتم حزب البعث - منذ وصوله إلى مسؤولية الحكم في العراق - بقطاع التربية والتعليم بوصفه أحد القطاعات الأساسية في المجتمع. وسعى إلى تحديد سياسة التربية والتعليم وأهدافها. فجرى تشكيل هيئة عليا للتخطيط التربوي، انبثقت عنها لجان متعددة أخذت على مسؤوليتها تحقيق ما يلي:

1. إعادة صياغة الفلسفة التربوية والأهداف العامة للنظام التربوي والتعليمي.
2. وضع أهداف المراحل التعليمية المختلفة.
3. دراسة واقع التعليم في العراق وتحليله في ضوء الأهداف العامة والمرحلية.
4. وضع خطة تربوية طويلة المدى، وأخرى قصيرة المدى، في ضوء واقع التعليم في العراق والإمكانات المتاحة. (وزارة التربية العراقية: التربية في ظل الثورة، 1978، ص20-38).

وفي عام 1974 أشار الحزب في التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن في بغداد إلى أنه أولى جهاز التربية والتعليم "أهمية كبيرة، وألح إلحاحاً شديداً، على لسان قادته وأمام الجماهير على ضرورة إجراء تغييرات جذرية فيه، بتصفية ما يعيش فيه من ذوي الاتجاهات الرجعية والبورجوازية وغيرها، ابتداء من رياض الأطفال حتى أعلى مراحل التعليم الجامعي الرسمي، وعلى ضرورة إعداد كتب وبرامج مدرسية جديدة تنبع من مبادئ الحزب والثورة القومية الاشتراكية". وينتقد التقرير أداء السلطة الحزبية الحاكمة فيرى أن .. التطورات كانت في الجانب التقني والأفقي .. وأما في الجوانب الفكرية والبشرية فإن التقدم كان ضئيلاً قياساً إلى طموحات الحزب والثورة". ويمضي موضحاً "إن المناهج المدرسية على اختلاف مستوياتها، ما تزال بعيدة عن التعبير عن مبادئ حزب البعث والثورة القومية الاشتراكية لأنها ما تزال تنشر بين النشء الجديد والشببية الثقافات والمفاهيم البورجوازية والليبرالية واليمينية المتخلفة .. كما أن الجامعات برغم ما حصل فيها من تغييرات وتطورات، ما تزال تعجّ بالتيارات الليبرالية واليمينية والمتخلفة .. وهي ابعد ما تكون عن صيغة جامعات الثورة التي يفترض فيها أن تحتل دورها في بناء المجتمع الجديد". ويسجل التقرير -ناقداً- أن الثورة لم تبني بعد جهازها الخاص بالتربية والتعليم.. ذلك الجهاز الذي يربي أجيالاً مشبعة بالمبادئ القومية الاشتراكية، وقادرة على إجراء التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي يطمح الحزب وتنسجم مع مهماته القومية والديموقراطية والاشتراكية. (حزب البعث، المؤتمر القطري الثامن، 1974، ص 149-150).

كما يتحدث التقرير بالتفصيل عن أوضاع المرأة والشباب ومشكلة الأمية، والقيم والممارسات الجديدة في المجتمع الثوري، في تلك الفترة. فالحزب "يتحمل المسؤولية الطبيعية الأولى في قيادة الشبيبة وتربيتهم على الأسس والمبادئ والأهداف القومية والاشتراكية والديموقراطية، وبث روح الإيمان والحماسة بين صفوفهم للمشاركة الواسعة في بناء الوطن، وفي الدفاع عنه، .. وعلى الرغم مما بذله الحزب والثورة في هذا المجال، فإن مسألة تربية الشبيبة وتنظيمها وقيادتها باتجاه الثورة القومية الاشتراكية ما تزال في طور البداية.." (ص 157).

لقد ناضل الحزب بالقول والعمل لنشر القيم الوطنية والقومية وتقاليده وممارسات الشجاعة والتضحية ونكران الذات، وكانت مقياس قدرته على تحريك الجماهير للنضال والثورة. "وعندما يقود الحزب الثورة، ويتحمل شرف ومسؤولية قيادة المجتمع فإن أبرز مهماته أن يناضل لنشر هذه القيم وتعميمها في حياة المجتمع، من خلال هذا الصعيد الجديد". وهذه المهمة من أصعب المهمات وأعقدها وتتطلب زمنا طويلا يمتد جيلا بأكمله، كي تنجز على نطاق شامل وعميق. وهي ذات صلة بالدور الطبيعي للحزب، وبمسائل التربية والإعلام والشبيبة وغيرها.. "وقد اهتم الحزب بتعميق قيمة حب العمل الجماعي والمشاركة الطوعية عن طريق حملات العمل الشعبي التطوعي الواسع إنجاز مشاريع زراعية وخدماتية بمشاركة الطلاب والمعلمين. كما اهتم بالتدريب العسكري والتوعية الجماهيرية" (ص 158-160).

الخلاصة:

ويمكن للباحث أن يضع خلاصة نتائج هذه الدراسة التي فصلها في الصفحات السابقة كما يلي:

أولاً: الأحزاب الشيوعية العربية:

كانت اهتماماتها التربوية قليلة، ولم تتوافر في أدبياتها منطلقات فلسفية لفكرها التربوي الذي ظل يدور حول العموميات، وركز بشكل خاص على البعد الطبقي، والمسألة الاجتماعية للتربية، وأكد أن النظام التربوي في الأقطار الخمسة: الأردن وسورية وفلسطين ولبنان والعراق كان يخدم الطبقات السائدة في تلك الأقطار، ويعيد إنتاج النظام السياسي بشكل عام.

بينما تميز الحزب الشيوعي اللبناني بمتابعة نظرية ارتكزت إلى النظرية الماركسية- اللينينية وأدبياتها التربوية، وكان واضحاً في نقد النظام التربوي والتعليمي في لبنان من منطلقات ماركسية. كما أن الأفكار التربوية للحزب أصبحت بارزة بسبب جهود المفكر الماركسي - اللينيني المعروف مهدي عامل وإنجازاته على صعيد البحوث والدراسات المتصلة بالتربية وغاياتها وأهدافها ومناهجها.

على أن تطلعات الأحزاب الشيوعية وأفكارها التربوية تركزت على مسائل مطلبية عامة: مجانية التعليم، وديموقراطية التعليم، وتكافؤ الفرص التربوية والتعليمية، وإلزامية التعليم في المراحل الابتدائية المتوسطة، والتوسع في التعليم الثانوي، والاهتمام بالتعليم المهني والمواد العلمية.

ثانياً: جماعة الإخوان المسلمين:

انطلقت الجماعة من مبادئ الدين الإسلامي وفهم مقاصده التربوية. وأقامت مشروعها التربوي على هذه المبادئ .. فكانت لها نظريتها التربوية المرتكزة على العقيدة الإسلامية، وعنها انبثقت عندها غايات التربية وأهدافها ورؤيتها لعناصر التربية ووسائلها ووسائطها التعليمية، إلى جانب اهتمام ملحوظ بالتربية الإسلامية لأعضاء الجماعة بشكل عام.

ثالثاً: الحزب السوري القومي لاجتماعي:

أظهرت النتائج أن الحزب أبدى اهتماماً واضحاً بالتربية بشكل مبكر، وأن رؤيته التربوية انطلقت من فلسفته القومية الاجتماعية التي تسعى لإقامة المجتمع السوري الموحد، وتوحيد الأمة السورية. وكانت الأسس الفلسفية للتربية جليّة، ولكن الحزب اعتمد على أفكار مؤسسه انطون سعادة، واستمر في تجديد شروحيها دون إضافات جديدة تراعي التحولات والتغيرات التي استجدت بعد إعدامه عام 1949.

وقد انطلق الحزب من فلسفة "المدرحية" أي المادية - الروحية، وكوّن نظرة فلسفية متكاملة، لكن رؤيته التربوية كانت مثالية في مجملها، وعليه ارتكز مفهومه للتربية وغاياتها وأهدافها ونظريته على وسائلها وعناصرها ووسائلها.

رابعاً: حزب البعث العربي الاشتراكي:

أظهرت نتائج الدراسة أن البعث حرص على أن يتضمن دستورهِ الأساسي الصادر عام 1947 رؤية تربوية واضحة، وانطلق من رؤيته وفلسفته القومية العربية ليُجعل غاية التربية انشاء جيل عربي مؤمن بأمنته ووحدتها ورسالتها في التقدم. وإذا كان الحزب بدا مثالياً في بداياته، فإنه مزج المادية والمثالية معاً، وشكل منهما رؤيته التربوية وقد اهتم اهتماماً خاصاً بالطلاب والمعلمين، وركز على اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية، وأكد وظيفة الدولة في التعليم، وشدد على رفض التعليم الأجنبي في بدايات مرحلة الاستقلال الوطني.

على أن فترة استلام البعث للحكم في سورية أولا وفي العراق ثانيا جعلت فكره التربوي يتطور من خلال الممارسة وتطبيق نظرياته السياسية ونظريته الفلسفية، وأفكاره الاجتماعية. ولهذا يمكن أن نلاحظ بوضوح كما أظهرت نتائج الدراسة أن هذا التطور شمل فلسفة التربية، وأهدافها ومفهومها، وغاياتها، وعناصرها .. وإن كان تأثير استراتيجية التربية العربية وأدبيات اليونسكو والنظريات التربوية الحديثة قد تبدى بوضوح في فلسفة التربية وغاياتها وأهدافها وسياستها التي تبناها البعث - خصوصا في العراق- في العقد الأخير من القرن العشرين.

واخيرا يمكن الإشارة إلى أن النتائج أظهرت أن الأحزاب المشمولة بالدراسة أبدت اهتمامات متفاوتة بالتربية، وأن هذه الاهتمامات كانت تضعف أو تزداد استجابة لمتطلبات المراحل السياسية التي مرت بها خلال عملها السياسي الطويل خصوصا وان معظمها انخرطت في هذا النضال السياسي المرير ومرّت بظروف عمل سري صعب لم يسمح لها بالتعمق في الجانب التربوي.

الفصل الخامس:

مناقشة نتائج الدراسة والاستنتاجات والتوصيات

يناقش الباحث في هذا الفصل نتائج الدراسة كما عرضها في الفصل السابق ويعرض استنتاجاته و توصياته واقتراحاته التي خلص إليها من خلال هذه الدراسة.

أولاً: مناقشة نتائج الدراسة:

بينت نتائج الدراسة أن التربية لم تكن غائبة عن فكر الأحزاب السياسية العربية موضوع الدراسة، غير أن اهتماماتها بها كانت مجال تذبذب، فيزداد هذا الاهتمام أحياناً ويضعف أحياناً أخرى، وذلك استجابة لمتطلبات كل مرحلة من مراحل العمل الحزبي الذي كان في معظمه سرياً ومحظوراً.

ولاحظ الباحث أن هذه الأحزاب تفاوتت في اهتماماتها التربوية، وفي وضوح فكرها التربوي، وفي تطور هذا الفكر على مدى نصف القرن الأخير من القرن العشرين ويستطيع الباحث أن يعزو أسباب هذا كله إلى عاملين رئيسيين:

أولاً: تقديم الاهتمامات السياسية على كل ما عداها في عمل الأحزاب وأدبياتها ومنها الاهتمامات التربوية.

ثانياً: عدم التنبه الكافي إلى أهمية التربية ودورها الرئيسي في الحياة العامة. على الرغم من أن المعلمين والطلاب شكلوا العمود الفقري للقواعد الجماهيرية لهذه الأحزاب.

كما أن بعض الأحزاب (كالحزب السوري القومي) قد انبثت إلى الجانب الفلسفي والفكري أكثر من غيرها، في حين نجد أن جماعة الإخوان المسلمين ارتكزت إلى مبادئ الدين الإسلامي والتربية الإسلامية وانطلقت مما يمكن أن نسميه بالأفكار الجاهزة في هذا الخصوص. بينما لم يستفد الشيوعيون جيداً من التجربة التربوية للدول الشيوعية الأخرى في العالم كالصين والاتحاد السوفيتي. أما البعث فقد حاول أن يكون مختلفاً، إذ انطلق من رؤيته القومية ليمزج بين المادية والروحية، أو المثالية والواقعية، وليختط خطاً جديداً لم يكن مسبوقة في حينه في هذا الاتجاه ويرتكز عليه في نظريته إلى التربية.

ولاحظ الباحث أن الفكر التربوي للأحزاب موضوع الدراسة لم يتعرض للاختبار والتطبيق إلا فيما يخص حزب البعث الذي تولى الحكم في سورية والعراق، ولمدة تزيد على ربع قرن الأمر الذي ساعده على إنضاج تجربته العملية، وأعطاه الفرصة لتنفيذ نظريته ورؤاه وأفكاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية، غير أن هذا الجانب التطبيقي لا يدخل في اهتمامات الباحث في هذه الدراسة المتصلة بعرض الفكر التربوي المجرد دون الالتفات إلى تطبيقاته العملية. ويعرض الباحث تاليا آراءه في النتائج التي توصل إليها حسب تسلسل عرضها في الفصل السابق.

أ. مناقشة نتائج الدراسة حول الفكر التربوي للأحزاب الشيوعية العربية

1. لاحظ الباحث أن تحديد مفهوم "التربية الشيوعية" الذي تبناه الحزب الشيوعي الأردني لم يظهر في أدبيات هذا الحزب إلا عام 1984، مع أن هذا الحزب قد تأسس عام 1951. لكن الحزب كان يطالب منذ البدايات الأولى لنشوئه بجعل التعليم في جميع مراحل مجانياً، وضمان هذا الحق لجميع أفراد الشعب.
2. لاحظ الباحث أن البرنامج الانتخابي لقائمة مرشحي الكتلة الشعبية المدعومة من الحزب الشيوعي الأردني عام 1951، قد خصص بنداً وحيداً من أصل سبعة بنود للمطالبة "بافتتاح جامعة وطنية والسماح بتكوين اتحاد للطلبة الأردنيين، اتحاد للمعلمين الأردنيين". أما برنامج الحزب الانتخابي في عام 1954 فقد تضمن بنداً واحداً من أصل ثمانية عشر بنداً للحديث عن التربية والتعليم حيث طالب بـ "تعميم التعليم الابتدائي ومجانيته وإلزاميته.. وإزالة العقبات أمام إنشاء جامعة وطنية".
3. إن مراجعة الباحث لأكثر من ستين عدداً من أعداد مجلة "الحقيقة" وهي المجلة النظرية للحزب الشيوعي الأردني لم تسفر عن حصيلة ذات قيمة بخصوص التربية والتعليم أو التربية الحزبية أو قضايا التعليم في الأردن في حين أنه عثر على إشارات متفرقة حول التربية والتعليم في الاتحاد السوفيتي (مثلاً)!!

4. إن النقد الشديد للهجة الذي وجهه الحزب الشيوعي الأردني لسياسات التربية والتعليم في الأردن، في برنامج الحزب المقر في المؤتمر الثاني عام 1983، والذي أورده الباحث في الفصل السابق، قد طرح المشكلة وشخص الأزمة التربوية وأشار على العنوان العريض للحل المتمثل في إعادة النظر في السياسة التعليمية وربطها بإقامة قاعدة الإنتاج للاقتصاد الوطني، لكنه طرح برنامجا تربويا واسعا، ولم يقدم أية خطوات إجرائية كما استخدم بعض المصطلحات الغامضة مثل "التوسع في بناء المدارس" و"مراعاة" مواصفاتها التربوية الحديثة" و"تطوير المناهج التعليمية، وتعميق مضمونها الوطني والإنساني".

لقد انتقد برنامج الحزب الشيوعي الأردني المشار إليه الوضع التعليمي في الأردن، لكنه لم يقدم حولا منطقية للأزمة التي يراها، كما أنه لم يغادر الواقع الذي انتقده، والذي انطلقت منه السياسة التعليمية الرسمية التي يرفضها ويصفها بـ "الرجعية واللاميموقراطية" ويرى أن فلسفتها تقوم على "أساس توفير كادر وظيفي لجهاز الدولة" ولا ندري ما الخطأ في هذا التوجه، أساسا!

5. إن برامج الحزب الشيوعي الأردني التربوية التي عرضها الباحث في الفصل السابق لا توضح الفلسفة الاجتماعية ولا الفلسفة التربوية التي تنطلق منها.

كما انه يخلو من تحديد أهداف عامة أو خاصة للعملية التربوية ويكتفي ببعض المطالب العامة ذات الصيغة الشعاراتية المطاطة. بل إن بعض الأهداف التي تضمنتها برامج الحزب الشيوعي الأردني التربوية لا تعدو أن تكون تكرارا لأهداف عامة معتمدة رسميا من الدولة الأردنية أو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أو منظمة اليونسكو، أو مؤتمرات التطوير التربوي الحكومية.

6. يرى الباحث أن الأفكار التربوية التي دلت عليها نتائج الدراسة فيما يخص الحزب الشيوعي الفلسطيني لا تختلف كثيرا عن نظيره الأردني، بل هي أشد فقرا، وأكثر تعميما، وأبعد غموضا.
7. لم يبد الحزب الشيوعي الفلسطيني اهتماما جديا بالجانب التربوي والفكري وقد يعزو الباحث ذلك إلى طبيعة اهتمامات هذا الحزب وانشغالاته السياسية المباشرة خصوصا بعد انفصاله عن نظيره الأردني منذ الثمانينيات.
8. كما لاحظ الباحث أن اهتمامات الحزب الشيوعي السوري ظلت سياسية في الدرجة الأولى، حيث لم تتضمن وثائقه التي استطاع الباحث الوصول إليها في الستينات والسبعينات ما يغني البحث فيما يخص المجال التربوي، فقد خلت وثائق المؤتمر الثالث للحزب (حزيران 1969) ووثائق المؤتمر الرابع (كانون الأول 1973) من أية إشارات للتربية والتعليم بينما أشار برنامج الحزب المقرر في المؤتمر الخامس (1980) إلى "ضرورة تعميم التعليم ومجانيته وأسس الديمقراطية وإصلاح مناهجه والاهتمام بالشباب" وازداد هذا الاهتمام في المؤتمرات اللاحقة: السابع (1991) والثامن (1995) حيث تضمنت الوثيقة البرنامجية للحزب فصلا مختصرا أوضح برنامج التربوي.. ومع ذلك ظل اهتمامه التربوي ضعيفا وعاجزا.
9. لم تتوافر للباحث وثائق الحزب الشيوعي العراقي أو برامج السياسية والتربوية في الخمسينات والستينات لظروف موضوعية معروفة .. غير أن الوثائق المتوافرة بعد ذلك أيضا تخلو من اهتمام حقيقي بقطاع التربية والتعليم اللهم إلا للانطلاق من وصف هذا القطاع لمهاجمة النظام السياسي السائد بعد أن تحول الحزب الشيوعي من حليف له إلى خصم سياسي معارض بل نقيض له.

10. إن البرنامج التربوي الوحيد للحزب الشيوعي العراقي الذي وصل إليه الباحث هو برنامج (1997) وهو مصاغ بألفاظ عامة، وعناوين عريضة وتكثر فيه المفردات المطلبية مثل إعادة النظر، العناية، إزالة.. استكمال.. ضمان.. الخ. غير أنه -على الأقل- يربط بين أهداف العملية التربوية والتعليمية وأهداف المجتمع والحزب، في المرحلة التي تحدث عنها. كما أن هناك رؤية لعناصر العملية التربوية ووسائلها ووسائلها: كالمعلم والطالب والمنهاج والمدرسة والإدارة التربوية، وهناك تأكيد على ديمقراطية التعليم ومطالبة باستمرار مجانيته، ودعوة إلى حرية العمل النقابي للطلاب والشباب والمعلمين. وهذه الأخيرة تتصل بأدبيات الفكر الماركسي وتعكس شيئا من مبادئ التربية الماركسية.
11. لاحظ الباحث أن الحزب الشيوعي اللبناني كان أكثر الأحزاب الشيوعية العربية موضوع الدراسة اهتماما بالتربية: فلسفة وفكرا وأهدافا وغايات ووسائل وطرائق وأساليب، وخصوصا من خلال برنامجه ومجلته النظرية "الطريق" في الستينات والسبعينات والثمانينات على وجه التحديد. ويعزو الباحث ذلك إلى انعكاسات الثورة الطلابية العالمية على الحركة الطلابية في لبنان والوطن العربي في أواخر الستينات وامتداداتها في السبعينات، واهتمام الدولة اللبنانية بالتعليم الرسمي في مختلف مراحلها، ثم إنشاء الجامعة اللبنانية (الرسمية) في تلك الفترة.
12. لقد انتبه الحزب الشيوعي اللبناني إلى العديد من القضايا التربوية ذات المساس الوثيق بالفئات الشعبية، وخصوصا في ما يتصل بالمدارس الحكومية ومؤسسات التعليم الخاص، والجامعات، وديموقراطية التعليم ومجانيته، وحلل تحليلا علميا نظام التعليم في لبنان المرتبط بالنظام الأيديولوجي السائد فيه والخاضع لسيطرة الطبقة البورجوازية اللبنانية، انطلاقا من التزام الحزب بالفكر الماركسي وانحيازه إلى الطبقات الكادحة.
13. لاحظ الباحث أن الحزب الشيوعي اللبناني كان الأوضح في تحديد فكره التربوي انطلاقا من النظرية الماركسية - اللينينية، وتأكيدا على دور التربية والتعليم في تغيير النظام السياسي، وتحديد أهداف التربية والتعليم الجامعي، وتقديم البدائل التي يراها أفضل للنظام التعليمي اللبناني القائم والتي تتناسب أكثر مع الفكر الشيوعي ومبادئ الماركسية - اللينينية (الاشتراكية العلمية).

مناقشة نتائج الدراسة حول الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين

1. لاحظ الباحث منذ البداية أن هناك اندغاما واضحا بين الفكر التربوي الإسلامي وبين الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين، ويعود ذلك إلى انطلاق الجماعة من العقيدة الإسلامية باعتبار الإسلام مرجعيتها الأساسية والوحيدة وميلها إلى تأصيل فكرها السياسي والتربوي وربطه بالمصادر الإسلامية.
2. كما لاحظ الباحث أن الجماعة في الأقطار موضوع الدراسة تركز أساسا على أفكار الامام حسن البنا وسيد قطب (مصر) وعدد من المفكرين الإسلاميين من خارج دول المشرق العربي. وهذا ما يؤكد د. عبد اللطيف عربيات، أحد قادة الإخوان المسلمين في الأردن، حين يذهب إلى أن الحركة الإسلامية في الأردن تحمل الفكر نفسه والمنهجية نفسها التي أخذت بها الحركات الإسلامية المشابهة في المنطقة.
3. يرى الباحث أن جماعة الإخوان المسلمين في الأردن يمكن أن تشكل التنظيم الأم لجماعة الإخوان المسلمين في باقي دول المشرق العربي، وأن فكرها التربوي جاء تعبيرا عن الفكر المماثل لدى التنظيمات الأخرى في لبنان وسورية والعراق. بل إن مشروع المنهج التربوي للجماعة الأردنية بات معمما على الجميع الأمر الذي يؤكد القول أن جماعة الإخوان المسلمين هي تنظيم عالمي أكثر منها تنظيمات متفرقة في العديد من الدول العربية والإسلامية.
4. لاحظ الباحث أن جماعة الإخوان المسلمين في سورية ذات اهتمامات سياسية مباشرة، وقد انشغلت بالنضال السياسي والنشاط العسكري، في كثير من المراحل خلال فترة الدراسة، مما جعلها أقل إنتاجا واهتماما بالفكر التربوي أو بقطاع التربية والتعليم في سورية خلال تسلم بعض قياديينهم مسؤوليات متقدمة في وزارة التربية والتعليم الأردنية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين.
5. مال الإخوان المسلمون إلى التركيز على التربية غير المقصودة أو الحزبية أو الحركية على الرغم من تأثيراتهم الواضحة في فلسفة التربية والتعليم في الأردن وأهدافها وتطورها.

ج.

مناقشة نتائج الدراسة حول الفكر التربوي للحزب السوري القومي الاجتماعي

1. لاحظ الباحث أن الحزب السوري القومي الاجتماعي أكثر تماسكا في نظريته السياسية والاجتماعية، وابتعد عمقا في أفكاره الفلسفية من الأحزاب الأخرى، وهذا انعكس على رؤيته التربوية.
2. إن وثائق الحزب السوري القومي الاجتماعي الجديدة قليلة وأكثرها شروح للعقيدة السورية الاجتماعية كما جاء بها سعادته، دون إحداث أية تغييرات جذرية أو حتى تطوير محدود. وهذا جعل الباحث يعتمد على مؤلفات سعادته التي أعيد طبعها من جديد، وبعض الأدبيات النادرة للحزب السوري القومي الاجتماعي في رصد فكر الحزب التربوي ومرجعياته الفلسفية.
3. إن انقسامات الحزب السوري القومي الاجتماعي العديدة أفقرت أدبياته الفكرية والتربوية، وأخرجت من صفوفه العديد من المفكرين التربويين الذين كان يمكن له أن يستفيد منهم في هذا المجال ومن أبرزهم الدكتور هشام شراي.
4. لاحظ الباحث أن سعادته يعتبر "قضية التربية والتثقيف" القضية الأولى التي تواجه العقيدة القومية الاجتماعية، وقد يكون هو الحزب الوحيد بين الأحزاب موضوع الدراسة الذي يذهب إلى هذا المدى البعيد في إدراك أهمية التربية ودورها في المجتمع والدولة، وهذا ما يفسر تماسك أفكاره التربوية ودخوله في تفاصيل العملية التربوية.

د.

مناقشة نتائج الدراسة حول الفكر التربوي لحزب البعث العربي الاشتراكي

1. لاحظ الباحث أن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب الوحيد الذي خصص للتربية والتعليم فقرات محددة في دستوره المقر عام 1947. وهذا يعني الاهتمام المبكر بهذا الجانب. كما أنه دعا مبكرا أيضا إلى تعريب التعليم (في البلاد العربية) ورفض اشتغال الأجانب في التعليم فيها. كما أنه أهتم في الوقت نفسه باللغة العربية والتاريخ العربي وركز على ضرورة تدريسهما بأسلوب علمي ومنهج دقيق. ويعود ذلك إلى نظريته "القومية" وتأكيد على "الخصوصية العربية"، ولأن "اللغة والتاريخ" يعتبران من المقومات الأساسية للقومية العربية في نظر الحزب ومفكره.

2. يرى الباحث أن حزب البعث نشأ في أحضان المدرسة .. فقد كان الطلاب والمعلمون هم نواة تنظيمه الأول، قبل تأسيس الحزب، حيث التف هؤلاء الطلاب حول معلمهم من مؤسسي الحزب: علق، والأرسوزي، والبيطار ووهيب الغانم. ولهذا كان حريا به أن يولي التربية والتعليم اهتماما متزايدا يليق بها وأن يركز على الطلاب والمعلمين ودورهم في العملية التربوية، وأن يهتم بمضامين المناهج التربوية.
3. كان حزب البعث من أوائل الأحزاب المشمولة بالدراسة من حيث اهتمامه بـ "إلزامية التعليم وديموقراطيته" ومطالبته بـ "تحقيق تكافؤ الفرص في التعليم وفي الحياة" وذلك انطلاقا من رؤيته الفكرية ومفهومه للمساواة والعدالة الاجتماعية المتمثلة في سعيه إلى تحقيق "الاشتراكية" أحد أهداف الحزب الثلاثة.
4. على الرغم من أن منظري البعث وقادته يعتقدون أن البعث امتلك "نظرية تربوية متكاملة" إلا أن الباحث يتفق مع إلياس فرح في قوله: "إن المنظور العلمي الثوري للعملية التربوية لدى البعث لم يأخذ شكل نظرية تربوية أكاديمية" وهذا ما يفسر ما أشارت إليه نتائج الدراسة من أن البعث يعتبر نفسه "عملية تربوية ذات أبعاد متكاملة".
5. لاحظ الباحث أن حزب البعث قد طوّر فكره التربوي ونظرته إلى التربية عبر مراحل نضاله السياسي الطويل، وخصوصا بعد تسلمه الحكم في سورية عام 1963، والعراق عام 1968. وقد اتضح ذلك من خلال تطور أهداف التربية والتعليم في أدبيات الحزب. ويعزو الباحث ذلك إلى التطورات التي حدثت في المجال التربوي عربيا وعالميا، وإلى نضج تجربة الحزب وإلى حاجات مستجدة للحكم ومسؤوليات إدارة المجتمع والدولة.
6. إن الباحث لم يأخذ في الاعتبار انقسامات حزب البعث المتعددة، بل تعامل معه كتنظيم واحد في الأقطار العربية المشمولة بالدراسة. ولهذا كانت نتائج الدراسة تركز على أدبيات البعث في دمشق وبغداد باعتبارهما مركز قيادتيه القوميتين المنفصلتين منذ عام 1966 حتى الآن. ومع هذا فإن النظرة الفاحصة لا تخطئ وحدة التصورات البحثية للقضايا التربوية بصرف النظر عن مكان صدور هذه التصورات وسواء أكان بغداد أو دمشق أو عمان أو بيروت!

7. إن حزب البعث العربي الاشتراكي، كما يرى الباحث، هو الحزب الوحيد بين الأحزاب المشمولة بالدراسة الذي التفت إلى كون التعليم وظيفة الدولة وحدها، وأن مهنة التعليم يجب أن تحصر في المواطنين العرب، منذ الأربعينات حين كان الوطن العربي كله يخضع للاستعمار الأجنبي، وكانت هذه الدعوة إلى أن تتولى الدولة وحدها مسؤولية التعليم وإبعاد الأجانب عن هذا القطاع، تعبيرا عن رفض الحزب لأي تدخل أجنبي في ميدان التربية والتعليم، وإدراكا لخطورة ذلك. وهذا يشير إلى رفض الحزب للتبعية السياسية والثقافية في آن واحد.
8. إن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب الوحيد بين الأحزاب المشمولة بهذه الدراسة الذي تولى الحكم وبذلك أتيح له المجال إلى تطبيق آرائه وأفكاره التربوية عمليا. وقد لاحظ الباحث أن تسلم الحزب للسلطة السياسية في سورية والعراق جعله أكثر اهتماما بقطاع التربية والتعليم على المستوى العلمي، بعد أن كان هذا الاهتمام مقصورا على الجانب النظري والأهداف العامة وحاجات ومرحلة النضال السياسي.

ثانيا: الاستنتاجات

في ختام هذه الدراسة يستخلص الباحث الاستنتاجات التالية:

1. أن الأحزاب التي تناولتها الدراسة كانت جميعها خارجية النشأة، ولم تولد من رحم البرلمان، ولا التجربة الديمقراطية الليبرالية. (وفقا لتصنيفات ديفرجيه التي وردت في الفصل الثاني).
2. أنها كانت أحزابا أيديولوجية قدمت الفكر والعقيدة على كل شيء. وأنها كانت دائما في مواجهة تحديات خارجية وداخلية كالانتداب والاستعمار الأجنبي، والحكومات والأنظمة السياسية المحلية المختلفة الانتماءات الأيديولوجية والمنتقاربة في عقلية الحكم الفردي المطلق والانغلاق والتسلط وغياب الحريات العامة.
3. أن الأيديولوجيات التي اعتمدها هذه الأحزاب المتفاوتة الأثر متهمه بأنها "فكر مستورد" و"أيديولوجيا غربية وغريبة"، وإن كان وجود الاتحاد السوفياتي وكونه "دولة صديقة للأمم العربية وشعوبها" ومواقفه المتفاوتة من القضية الفلسطينية والوحدة العربية والقومية العربية قد انعكس إيجابيا أحيانا، وسلبيا في أحيان أخرى، على "شعبية" الأحزاب الشيوعية العربية بشكل عام.
4. أن الأيديولوجية القومية التي تبناها حزب البعث كانت هي الأيديولوجيا السائدة على الساحة العربية طوال الأربعين عاما الأخيرة من القرن العشرين، وإن كانت واجهت تراجعا كبيرا في أواخر عقد السبعينات وحتى نهاية القرن لأسباب عديدة.

5. أن الأيديولوجيا الدينية التي تبناها تنظيم "الإخوان المسلمون" كانت ذات تأثير متفاوت على الجماهير والنخب السياسية والسلطات الحاكمة في الفترة موضوع الدراسة، وفي الأقطار الخمسة. ففي حين ظلت هذه الحركة تتمتع بدعم السلطة الحاكمة في الأردن بشكل ثابت، وكان تنظيمها علنياً، وعلاقتها متوائمة مع السياسات الرسمية ومدافعة عنها في أكثر الأحيان، فإن هذه الحركة كانت سرية محظورة في سورية والعراق، وكانت علاقتها بالسلطة الحاكمة، على مدى سنوات الستينات حتى نهاية القرن العشرين، علاقة عدا وخصومة. وظلت ترفع شعار إسقاط النظام الحاكم وتعمل على تحقيقه بمختلف الوسائل بما في ذلك العنف المسلح.
6. أن الأيديولوجيا القومية السورية الاجتماعية لم تلق انتشاراً واسعاً ولا قبولا واضحا لدى الجماهير في مختلف الأقطار الخمسة موضوع الدراسة، خلال فترة الدراسة. وإن كان موقف الأحزاب السياسية الأيديولوجية المختلفة منها عدائياً كموقفها من تلك الأحزاب حتى العقد الثامن من القرن العشرين، باستثناء لبنان حيث كان حضور القوميين الاجتماعيين فيه أقوى وأوضح وظل معقلاً لتنظيمهم الحزبي بداية ونشأة، وحتى أنهم مارسوا العنف المسلح في سبيل الوصول إلى الحكم وإسقاط النظام القائم عدة مرات في الخمسينات والستينات.
7. أن البرامج السياسية والنضال السياسي القومي قد ميّز نشاط هذه الأحزاب واخذ القسط الأكبر من جهدها الفكري والتنظيمي والعملي.
8. أن هذه الأحزاب كانت في صفوف المعارضة السرية، في أكثر الأحيان، والعلنية في أوقات قليلة وفترات محدودة، وأقطار دون الأخرى. وحين نجح حزب البعث في الوصول إلى الحكم في عام 1963 في العراق أولاً، وفي سورية ثانياً، تعرض لكثير من التحديات الخارجية والداخلية التي نجحت في إسقاط حكمه في العراق بعد بضعة أشهر، وفي زعزعة الأمن والاستقرار وإضعاف حكمه في سورية، وفي خلق انقسامات حادة داخل الحزب والحكم الحزبي فيها حتى أواسط السبعينات. ويسجل ذلك في إطار الصراع الدائم على السلطة التي ظلت هي الهدف الأساسي المتقدم لهذه الأحزاب جميعاً.

9. إن هذا التمزق وعدم الاستقرار والعمل السري جعل هذه الأحزاب أقل تركيزا على الجهد الفكري والبناء العقائدي، ولذلك ضعف أداؤها على هذا الصعيد، وانعكس في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية ضعفا وتذبذبا وأكاد أقول انعدام رؤية في كثير من الأحيان.
10. إن هذه الأحزاب اهتمت في حسم الصراع الداخلي في ما بينها على اختلاف أيديولوجياتها، وكذلك أخذ النزاع الداخلي بين أجنحة الحزب الواحد الكثير من الوقت والجهد والموارد البشرية والمادية ولم يكن في ذلك كله أية فائدة للجماهير التي تدعي الدفاع عنها، أو المصالح الوطنية والقومية والإسلامية التي ترفع شعاراتها.
11. لقد رفعت هذه الأحزاب جميعا شعارات الحرية والوحدة والتقدم الاجتماعي والكرامة والديموقراطية وتحرير فلسطين والأراضي العربية المحتلة وحقوق الإنسان بشكل عام. لكنها في التطبيق ضربت هذه الشعارات في الصميم سواء في علاقتها بالأنظمة السياسية التي ناصبتها العداء، أو علاقتها ببعضها بعضا، أو علاقتها بالجماهير، أو ارتباطاتها الخارجية وصلاتها المختلفة بالموثرات الأجنبية في المنطقة.
12. إن حزب البعث حين تولى الحكم في القطرين السوري والعراقي ناقض الكثير من شعاراته ومبادئه. فغابت الحرية وانتفى العمل للوحدة وأصبحت الديموقراطية حكما ديكتاتوريا فرديا تسلطيا يرتكز على الجيش الذي كان يفترض أن يدخر للتحرير. ولم يكن تعامل سلطة الحزب في سورية بسلطته في العراق بأحسن حالا من تعاملهما كليهما مع الأنظمة المجاورة في دول المشرق أو سائر الأقطار العربية والإسلامية. ولعل تعامل سلطة الحزب في البلدين مع الجناح المعارض من الحزب نفسه كانت مثلا وفموذجا لرؤيته ولشعاراته التي تتحدث عن الديموقراطية الشعبية والمركزية، والتقدم، والوحدة والحرية العامة وحقوق المواطن وكرامة الوطن والنضال ضد العدو الصهيوني والإمبريالي المشترك.

13. ولعل ذلك كله انعكس سلبا على الفكر التربوي للأحزاب السياسية موضوع الدراسة في فترة الدراسة ومنطقة الدراسة، فالاهتمام الذي وجدناه بارزا بالتربية والتعليم والإدراك الواضح لأهمية التربية بعامة والتربية الحزبية بخاصة، في دساتير الأحزاب، وأنظمتها الأساسية، وهو اهتمام نشأ مبكرا وكان واعداء، ضاع وسط الانشغالات السياسية اليومية والعمل السري المجهد والاعتقالات والسجون التي تعرضت لها قيادات هذه الأحزاب وعناصرها الفاعلة، في مختلف الأقطار على تفاوت واضح في فترات القمع وأساليبه والأطراف التي تعرضت له.
14. إن برامج هذه الأحزاب لم تخل من إشارات متفاوتة إلى الاهتمام بالتربية والتعليم أو دعوة إلى التوسع الكمي في التعليم الأساسي والثانوي، أو إلى مجانية التعليم، وإلى ديموقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية، في أحيان كثيرة، ولكنها لا تقدم تفاصيل كافية في هذه الاتجاهات، خارج استخدامها كمطالب "متناقضة في أكثر الأحيان" من الأنظمة الحاكمة، وفي إطار انتقادها وإحراجها - لا أكثر-.
15. إن الفهم الحقيقي للتربية ودورها وأهميتها جاء من خارج القرارات والمؤتمرات الحزبية في أكثر الأحيان، واتكأ على جهود - ربما تكون فردية - فكرية لقادة هذه الأحزاب ومؤسسيها مثل ميشيل عفلق، وحسن البنا، وأنطون سعادة، وحسين مروّة ومهدي عامل. بل أن حزب البعث استخدم هذا مأخذا على "العقلية اليمينية للحزب" عندما واجه انقسامه الأشد ضراوة عام 1963، فاتخذ المؤتمر السادس قرارا بالألّا تعتبر الآراء الفردية من فكر الحزب، وطالب باقتصار هذا الفكر على ما تقرّه مؤتمراته ومؤسساته بشكل جماعي. وكان يشير بذلك إلى ما تضمنته مؤلفات ميشيل عفلق وصلاح البيطار ومنيف الرزاز، في حينه من نظريات فلسفية وفكرية وقومية. ولعل مثل هذا التوجه قد أضر كثيرا بهذه الأحزاب وفكرها وآفاق تقدمها على هذا الصعيد بشكل مؤثر.

16. إن الانقسامات التي عانت منها هذه الأحزاب، فرادى ومجموعة، انعكست بوضوح أيضا على فكرها السياسي والتربوي وقدرتها على التعاطي مع الواقع وفهمه واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاته الأمر الذي أفقر برامجها التربوية وجعلها معالجات آنية، في أكثر الأحيان، وسطحية، في معظمها، ومنعدمة في بعض المراحل تماما، أضف إلى ذلك تناقضها وتصادمها، وانعدام تمثيلها للحزب الذي تتحدث باسمه بين فترة وأخرى.
17. لا يستطيع الباحث أن يحمل هذه الأحزاب - وحدها - مسؤولية غياب البرامج التربوية (الحزبية، والمجتمعية) عن وثائقها وأدبياتها، وعن عملها التنظيمي، وهذا الأخير هو الأهم بل إن الظروف القاهرة المحيطة، والضغوط التي تمارسها الأنظمة الحاكمة، والمجتمع نفسه، والواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي السيئ الذي تعيشه الدول التي تنشط فيها هذه الأحزاب، والضغوط الخارجية الأشد من تجزئة، واحتلالات وانتدابات ومؤامرات وتصادمات مسلحة.. كل ذلك كان له إسهامات مهمة في هذا المجال.
18. وعلى الرغم من ذلك كله، فإن ما وجده الباحث من أفكار تربوية متفرقة في أدبيات هذه الأحزاب ووثائقها، والذي احتاج إلى جهد كبير للتنقيب عنه واكتشافه وجمعه وإعادة توثيقه، هو إنتاج مهم ومطلوب البناء عليه، وعدم إهماله. فالفكر بعامة، والثقافة بخاصة، والتربية بشكل أخص، عملية مجتمعية تراكمية تحتاج إلى أجيال عديدة لبنائها، وصياغتها وتطويرها.

ثالثا: التوصيات والاقتراحات:

ولهذا كله يرى الباحث أن الجهد الذي بذله ما يزال ناقصا، و يحتاج إلى من يستكمله، كما جاء جهده هو استكمالاً لجهد مماثل قدمه باحثون آخرون في دراسات سابقة، ولهذا يرغب في تقديم التوصيات التالية:

أولا: دعوة الأحزاب السياسية المشمولة بالدراسة وتلك غير المشمولة بها، إلى الالتفات الجدي إلى الشؤون التربوية، سواء أكان الأمر متصلا بالتربية المدرسية أو الجامعية أو المجتمعية أو الحزبية، انطلاقا من إدراك هذه الأحزاب لأهمية التربية في عالم متغير كعالمنا في القرن الحادي والعشرين.

ثانيا: دعوتها إلى إشاعة الديمقراطية، والحريات العامة، وخصوصا حرية النقد والنقد الذاتي، وإبداء الرأي والحوار، داخل هذه الأحزاب، أولا، وفي علاقتها بغيرها، من الأحزاب، ثانيا، وفي علاقتها مع الأنظمة الحاكمة، ومع الجماهير، ثالثا، وفي علاقتها بالآخر رابعا.

ثالثا: إن هذه الأحزاب مطالبة بالغوص في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتربوي للبلدان العربية، منفردة، ومجمعة، والبحث في تفصيلاته، والتحديث العلمي في دقائقه، وإدراك مشكلاته، ووعيها بعمق؛ مما يعطيها القدرة على صياغة فكر سياسي واقتصادي واجتماعي وتربوي، وبرامج تفصيلية لهذه القطاعات، وتبني الحلول الجذرية الملائمة لمشكلاتها، وللتحديات التي تواجهها لمجتمعات العربية المتعددة أو المجتمع العربي الموحد أو المجتمع الإسلامي (حسب تعبيرات هذه الأحزاب المختلفة) وللولوج إلى المستقبل بثقة واقتدار ورؤية واضحة.

رابعا: إن ربط السياسي - بالثقافي - بالتربوي - بالاقتصادي هو السبيل الأمثل لنجاح الأحزاب في عمل مسؤولياتها الوطنية والقومية والتصدي للمشكلات المختلفة التي تواجهها الأقطار العربية وصولا إلى إسهامها الفاعل في التنمية الشاملة والمستدامة، وخدمة المصالح الوطنية والقومية العليا بعيدا عن المناورات السياسية وافتعال الخصومات، والعداءات الوهمية، وبعيدا عن الحلول الآنية والفردية والخادعة.

خامسا: إن هذه الأحزاب مطالبة بتقديم فكر تربوي عصري متكامل مستند إلى فلسفات اجتماعية وتربوية واضحة محددة، لا تعتمد على نقل ما لدى الآخرين أو استيراده أو اجتزائه أو تحويله أو تلفيقه، أو إسقاطه على واقع غير واقعه ومعطيات غير معطياته التي وجد فيها.

سادسا: إن ما أورده الباحث أعلاه لا يمنع من القول إن الفكر معطى إنساني، وإن الثقافة هي التي تعطيه خصوصيته، ولكن الفهم الواعي لإنسانية الإنسان يجعل هذه الأحزاب مطالبة بأن تكون أكثر انفتاحا على بعضها، وعلى تجارب غيرها، داخل بلدانها، وفي عموم الوطن العربي ثم لدى الشعوب والأمم الأخرى.

سابعا: إن هذه الأحزاب تضم في عضويتها العشرات إن لم نقل المئات من المفكرين والتربويين والمثقفين الكبار القادرين على تحقيق نقلة نوعية في برامج هذه الأحزاب وأفكارها إذا أتيح لهم العمل في أجواء حرة، وفي مناخ مشجع على الإبداع، وهي مطالبة بأن تفسح المجال أمام أمثال هؤلاء لتقديم تصوراتهم ومقترحاتهم العلمية والعملية لإحداث تغيير جذري في فكرها التربوي وبرامجها التربوية التفصيلية حتى لا تظل هذه البرامج مشبعة بالتعميمات، وملأى بالمفاهيم الملتبسة والمتناقضة حول العملية التعليمية - التعليمية، وحول التربية والتنشئة الاجتماعية، وحول التربية الحزبية نفسها.

ثامنا: لقد عانت هذه الأحزاب، تماما كما تتهم هي الأنظمة، من الفردية والتسلط وصنمية الأمناء العامين والقادة التاريخيين، سواء أكانت في المعارضة أو الحكم. وظلت الانتخابات الحزبية الداخلية إما معدومة أو قليلة وشكلية، أو أسيرة تكتلات وفتوية ضيقة داخل الحزب نفسه، وعلى أسس غير حزبية كالطائفية والعشائرية والإقليمية والطبقية.

وهذا كله أسهم إسهاما واضحا في ما تعاني منه من عزلة عن الجماهير ومن تمزق داخلي، ومن انعدام مصداقية، وتبدى في ما كتبه كثيرون من أعضاء هذه الأحزاب الذين انسحبوا أو فصلوا منها، أو انتقلوا إلى مواقع معادية لفكرها وتنظيماتها وسياساتها. وهم يعدّون بالمئات ولا يسهل حصرهم. وهذه الكتابات لم تجد آذانا صاغية، ولا عقليات محاورّة، ولا قيادات تتفهم أهمية الاختلاف وفائدته في تطوير فكر الحزب ونظامه وأدائه وسياساته الاستراتيجية والفرعية. ولهذا يوصي الباحث قيادات هذه الأحزاب بالالتفات إلى هذه المسألة والنظر إلى مضمونها بعقل منفتح وصدر رحب، ورغبة في التجديد والإصلاح من الداخل قبل أن تصل السيوف إلى الأعناق.

تاسعا: إن الباحث ينطلق في ما يقترحه من حرص على هذه الأحزاب، وإيمان بأهمية العمل السياسي والحزبي، وضرورته. وهو يدعو إلى أن ينتقل هذا النشاط السياسي الحزبي من السرية والأوكار الخفية إلى العلنية والمصارحة، ومن اللاشريعة إلى الشرعية. ومثل هذا المطلوب يقع في ملعب الأنظمة السياسية أيضا لأنها بفرديتها وأحاديتها وإغلاقها لمنافذ الحوار البناء تجعل جميع فئات المجتمع وقياداته الواعية تستند بظهورها إلى حائط السرية والكتمان والتقية، والعمل في الظلام ومعاينة الوحشة، وإنتاج الكثير من العناصر الخطرة على الأمن والاستقرار المؤمنة بالعنف واستخدام السلاح، وهذا ما يفرّخ ظاهرة خطيرة باتت تسمى على نطاق واسع بـ "الإرهاب" المسلح.

عاشرا: لا يميل الباحث إلى التنظير السياسي ولا التعامل التربوي، وهو يرى ما قدمه دراسة متواضعة للظاهرة الحزبية في الوطن العربي في إطار جهدها التربوي. وهو يعتقد جازما أن هذا البحث في حاجة إلى مزيد من المتابعة وإغلاق الكثير من الثغرات التي خلفتها سعة نطاق البحث، ويدعو الباحثين الجادين إلى متابعة ذلك، ودراسة الفكر التربوي لكل حزب من هذه الأحزاب مستقلا عن سواه. أو تناول كل حزبين أو أكثر في دراسة مقارنة، وخلال فترة أكثر تحديدا من الفترة الممتدة التي جعلها الباحث مجالا زمنيا لدراسته هذه.

حادي عشر: إن من المقترحات التي يظنها الباحث مناسبة لدراسات قادمة ما يلي:

1. أبعاد العملية التربوية في فكر حزب البعث في الأردن.
 2. التربية والتغيير: قراءة سياسية في فكر الأحزاب السياسية الأردنية في العقد الأخير من القرن العشرين.
 3. التربية الحزبية لدى حزب جبهة العمل الإسلامي في الأردن.
 4. التربية والثقافة والسياسة: دراسة تحليلية لفكر الحزب الشيوعي في الأردن.
 5. دراسة تحليلية تقويمية للبرنامج التربوي لحزب البعث في المعارضة والحكم.
- ومثل هذه العناوين تصلح أيضا لإجراء دراسات مقارنة بين حزبين أو أكثر في البلد الواحد أو في بلدين أو أكثر من البلدان العربية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

المراجع باللغة العربية

- أبو عمشة، عدنان (1995). سعادته والفلسفة القومية الاجتماعية. دمشق: دار الأديب.
- الأحمر، عبد الله (لا ت). جيل التحول الكبير. خواطر وذكريات من سيرتي الذاتية الجزء الأول. (لا ن).
- الأحمر، عبدالله (2000). حزب البعث العربي الاشتراكي: قضايا تطور التجربة النضالية. دمشق: منشورات مكتب الدعاية والنشر في القيادة القومية.
- إسماعيل، حيدر (2004). المناهج عند سعادته والقراءات الخمس. بيروت: دار الفكر للأبحاث والنشر.
- إسماعيل، سعاد خليل (1989). سياسات التعليم في المشرق العربي. عمان: منتدى الفكر العربي.
- الأعمش، عبد الأمير (1999). أحمد ميشيل عفلق فيلسوفا ومفكرا. بغداد: بيت الحكمة.
- أفانزيني، غي (1981). الجمود والتجديد في التربية. ترجمة: عبد الدائم، عبد الله. بيروت: دار العلم للملايين.
- الأفغاني، جمال الدين (1970). الأعمال الكاملة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
- انطونيوس، جورج (1987). يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية. بيروت: دار العلم للملايين (ط8).
- بدران، إبراهيم (1991). حول التاريخ والتقدم في الوطن العربي. بيروت: دار الطليعة.
- البرازي، تمام (1994). ملفات المعارضة السورية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- بركات، حليم (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بركات، نظام والرواف، عثمان والحلوة، محمد (1984). مبادئ علم السياسة. عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع.
- بركات، نظام محمود (1998). الأحزاب الأردنية وحقوق الإنسان. اربد: جامعة اليرموك.
- بشور، منير (1995). التربية العربية: التعليم في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين. دار نلسن السويدية.
- بطاطو، حنا (1992). العراق: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- البكر، أحمد حسن (1977). الثورة على طريق التقدم. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- البنا، حسن (لا ت). شرح وتحليل الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا. إعداد: محمد عبد الحكيم خيال. الإسكندرية: دار الدعوة.
- بو ملحم، علي (2000). أزمة الفكر العربي المعاصر. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- البيلاوي، حسن حسين (1988). إصلاح التعليم في العالم الثالث. القاهرة: عالم الكتب.
- التل، أحمد (1978). تطور نظام التعليم في الأردن (1921-1977) مؤثرات وعوامل. عمان: وزارة الثقافة والشباب.
- التل، بلال وفودة، موسى (1997). الحركة الإسلامية والبرلمان. عمان: المركز الأردني للدراسات والمعلومات.

- التل، سعيد (1987). التربية السياسية في الوطن العربي. عمان: دار اللواء.
- التل، سعيد ورفاقه (1993). المرجع في مبادئ التربية. عمان: دار الشروق.
- الجابري، محمد عابد (1982). الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية. بيروت: دار الطليعة.
- جبور، جورج (1987). الفكر السياسي المعاصر في سورية. لندن: رياض الريس للكتب والنشر.
- جرادات، عزت وأبو غزالة، هيفاء وعبد اللطيف، خيرى (1984). مدخل إلى التربية. عمان
- جزماتي، نذير (1990). مساهمة في نقد الحركات السياسية في سوريا ولبنان: الحزب الشيوعي السوري (1958-1924). دمشق: مطبعة ابن حيان.
- جميل، حسين (1984). نشأة الأحزاب السياسية. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
- جنبلاط، كمال (لا ت). أضواء على حقيقة القومية الاجتماعية السورية - الفكرة القومية. (لا م): (لا ن).
- الجندي، سامي (1974). البعث. بيروت: دار النهار للنشر.
- الجيوشي، فاطمة (1988). فلسفة التربية. دمشق: المطبعة الجديدة.
- حداد، عيسى (1970). النضال العربي في القطر السوري، مجلة جيل الثورة، العدد 5، حزيران 1970. دمشق.
- حرب، أسامة الغزالي (1987). الأحزاب السياسية في العالم الثالث. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- حسانين، محمد سمير (1978). التربية: أصول وأساسيات. طنطا: مؤسسة سعيد.
- الحسن، محمد (1990). الإخوان المسلمون في سطور. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- الحسني، محمد (1983). المنهج الاسلامي السليم. الكويت: دار القلم.
- حسون، مصعب (1980). البعث أصالة قومية وعقل ثوري. بغداد: دار الثورة للنشر.
- حسين، صدام (1979). الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة. بغداد: دار الحرية.
- حسين، صدام (1980). الثورة والتربية الوطنية. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- حسين، صدام (1988). المختارات. 8 أجزاء بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- حسين، عدنان السيد (2002). تطور الفكر السياسي: من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة. بيروت: دار أمواج للتوزيع والنشر.
- الحوراني، هاني وبركات، نظام وآخرون (1995). المرشد إلى الحزب السياسي. عمان: مركز الأردن الجديد للدراسات.
- الحيارى، حسن احمد (1994). أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية. اربد: دار الأمل للنشر والتوزيع.
- الحيارى، حسن أحمد (2000). معالم الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي. اربد: دار الأمل للنشر والتوزيع.
- خدوري، مجيد (1973). عرب معاصرون. بيروت: الدار المتحدة للنشر.

- خدوري، مجيد (1985). الاتجاهات السياسية في العالم العربي، بيروت: الدار المتحدة للنشر.
- خضر، طارق فتح الله (1986). دور الأحزاب السياسية في ظل النظام النيابي. القاهرة: دار نافع للطباعة والنشر.
- خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد (1984). الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين. القاهرة: مكتبة وهبه.
- خليل، عادل غفوري (1984). أحزاب المعارضة العلنية في العراق (1946-1954). بغداد: المكتبة العالمية.
- دراج، فيصل وياروت، جمال (2000). الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، الجزء الأول. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.
- دراج، فيصل وياروت، جمال (2001). الأحزاب والحركات القومية العربية. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.
- دراج، فيصل وياروت، جمال (2002). الأحزاب والحركات اليسارية والشيوعية. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.
- دروزة، الحكم (1961). الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية. بيروت: دار الفجر الجديد للطباعة والنشر.
- دكروب، محمد (1984). جذور السنديانة الحمراء: حكاية نشوء الحزب الشيوعي اللبناني. بيروت: دار الفارابي.
- دندشلي، مصطفى (1980). حزب البعث العربي الاشتراكي (1940-1963) الأيديولوجيا والتاريخ السياسي. رسالة دكتوراه (بالفرنسية) (لات). تعريب: جباعي، يوسف ودندشلي، مصطفى. (لام). (لا ن).
- ديفرجيه، موريس (1977). الأحزاب السياسية. ترجمة: مقلد، علي. بيروت: دار النهار.
- ديوي، جون (1977). الخبرة والتربية. ترجمة: رضوان محمد رفعت واسكندر، نجيب. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- الرشدان، عبد الله وجعيني، نعيم (1997). المدخل إلى التربية والتعليم. عمان: دار الشروق.
- رضا، محمد جواد (1993). العرب والتربية والحضارة: الاختيار الصعب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- رمضان، سعيد (1987). معالم الطريق. بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع.
- الروابدة، عبد الرؤوف وآخرون (1999). الأحزاب والتعددية السياسية في الأردن. عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- زريق، قسطنطين (1977). نحن والمستقبل. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- زكي، محمد شوقي (لات). الإخوان المسلمون والمجتمع المصري. (لام) (لان).

- زويا، لبيب (1964). الحزب القومي الاجتماعي. ترجمة جوزيف شويري. بيروت: دار ابن خلدون.
- زيادين، يعقوب (2003). شاهد على العصر. عمان: دار الكرمل.
- الزين، يوسف عبد المنعم (1991). لمحة عن الأحزاب العربية الفلسطينية (1909-1948). عمان: دار جاد للنشر والتوزيع.
- سارتر، جان بول (1987). الوجودية مذهب إنساني. ترجمة: حنا مينا. بيروت: دار الآداب.
- سارة، ثائر (1990). التربية العربية منذ 1950: إنجازاتها ومشكلاتها تحدياتها. عمان: منتدى الفكر العربي.
- سعادة، أنطون (1991). مختارات من الآثار الكاملة. عدة اجزاء. بيروت: دار فكر للأبحاث والنشر.
- سعادة، عبد الله (1970). القوى والأحزاب السياسية في لبنان. بيروت: النادي الثقافي العربي.
- السيد، جلال (1973). حزب البعث العربي. بيروت: دار النهار للنشر.
- سيف، رولان (1999). أنطون سعادة زعيم للمستقبل. بيروت: منيمنة وعموري.
- سيل، باتريك (1968). الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب 1945-1958، ترجمة عبده، سمير وفلاحه، محمود. بيروت: دار الأنوار.
- سيل، باتريك (1992). الأسد: الصراع على الشرق الأوسط. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- شرف الدين، فهمية (1993). الثقافة والأيديولوجيا في العالم العربي (1960-1999). بيروت: دار الآداب.
- الشريف، جلال فاروق (1974). بعض قضايا الفكر العربي المعاصر. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- الشريف، ماهر (1986). الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين (1919-1949). بيروت: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي.
- الشريف، محمد أحمد (1980). استراتيجية تطوير التربية العربية. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- الشويهدى، فرج محمد (1999). استراتيجية تطوير التربية العربية. مصرافة: الدار الجماهيرية للنشر.
- صاغية، حازم (2003). بعث العراق. لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر.
- صالح، هاني عبد الرحمن (1967). في فلسفة التربية. عمان
- الصبح، رياض يوسف (1998). الأحزاب الإسلامية الأردنية وأثرها على الحياة الاجتماعية والسياسية. عمان: مركز الريادة للمعلومات والدراسات.
- صفدي، مطاع (1964). حزب البعث: مأساة المولد، مأساة النهاية. بيروت: دار الآداب.
- صليبيا، عزيز (2002). العمل السري في الحزب الشيوعي اللبناني مع صفحات من تاريخه. بيروت: دار الفارابي.

- صمويلسون، وليم وماركوتيز، فريد (1998). مقدمة في فلسفة التربية. ترجمة: الكيلاني، ماجد عرسان. عمان: دار الفرقان
- الصواف، محمد (1987). من سجل ذكرياتي. القاهرة: دار الخلافة.
- ضاهر، عادل (1980). الانسان والمجتمع. بيروت: منشورات مواقف.
- ضاهر، عادل (1990). الفلسفة والسياسة. لندن: دار الساقى.
- ضاهر، محمد كامل (1994). الصراع بين التيارين الديني والعلماني، بيروت: دار البيروني للطباعة والنشر.
- الطريق، العدد المزدوج 10 و11. تشرين الأول والثاني 1970.
- الطهطاوي، رفاة رافع (1973). الأعمال الكاملة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
- عاقل، فاخر (1981). في التربية. بيروت: دار الكاتب العربي.
- عامل، مهدي (1991). في قضايا التربية والسياسة التعليمية. بيروت: دار الفارابي.
- العاني، وجيهة ثابت (2003). الفكر التربوي المقارن. عمان: دار عمّار.
- عبد الدائم، عبد الله (1960). التربية القومية. بيروت: دار الآداب.
- عبد الدائم، عبد الله (1991). نحو فلسفة تربوية عربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الكريم، سمير (لات). أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، خمسة أجزاء. بيروت: دار صادر.
- العبدلات، مروان أحمد (1986). خريطة الأحزاب السياسية الأردنية. عمان: دار العبرة
- عبده، محمد (1972). الأعمال الكاملة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
- عبيدات، محمد سالم (1989). أثر الجماعات الإسلامية الميداني. رسالة دكتوراه - جامعة البنجاب. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة.
- العبيدي، عوني جدوع (1991). جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وفلسطين: صفحات تاريخية. عمان: (لا ن)
- عثمان، هاشم (2001). الأحزاب السياسية في سورية: السرية والعلنية. لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر.
- العجلي، شمران (2000). الخريطة السياسية للمعارضة العراقية. لندن: دار الحكمة.
- عجينة، رحيم (1998). الاختيار المتجدد: ذكريات وصفحات من مسيرة الحزب الشيوعي العراقي. بيروت: دار الكنوز الأدبية.
- العظم، يوسف (1971). الرجعية والتقدمية بين الاسلام وخصومه. عمان: مكتبة الأقصى.
- العظم، يوسف (1983). نحو منهاج إسلامي أمثل. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

- عفلق، ميشيل (1971). نقطة البداية: أحاديث بعد الخامس من حزيران. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عفلق، ميشيل (1987). في سبيل البعث: الكتابات السياسية الكاملة، ستة اجزاء.
- عفيفي، محمد الهادي (1977). التربية والتغير الثقافي. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- عفيفي، محمد الهادي (1977). في أصول التربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- علي، سعيد إسماعيل (1987). الفكر التربوي العربي الحديث. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- علي، سعيد إسماعيل (1995). فلسفات تربوية معاصرة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عليوي، هادي حسن (1979). دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى 14 تموز 1958. بغداد: مكتبة الشرق الجديد.
- عليوي، هادي حسن (2001). الأحزاب السياسية في العراق: السرية والعلنية. لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر.
- العيسمي، شبلي (1986). حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينات التأسيسية (1940-1949) الجزء الأول. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- غالب، مصطفى (1980). سارتر. بيروت: سلسلة الموسوعة الفلسفية.
- غالي، بطرس وعيسى، محمود خيرى (1989). المدخل إلى علم السياسة. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- غرايبة، إبراهيم (1997). جماعة الإخوان المسلمين في الأردن (1946-1996). عمان: دار سندباد للنشر.
- الغزوي، فهمي سليم ورفاقه (2000). المدخل إلى علم الاجتماع. عمان: دار الشروق.
- غليون، برهان (1985). اغتيال العقل. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- فايق، طلعت عبد الحميد (1986). دراسة تحليلية للفكر التربوي في مصر (1952-1970). القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- فرح، إلياس (1986). مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، ط2. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- فرحان، اسحق احمد (1986). أزمة التربية في الوطن العربي "من منظور إسلامي". عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

- فرحان، محمد جلّوب (1987). فلسفتنا التربوية في ضوء فكر الرئيس القائد صدام حسين. الموصل: جامعة الموصل.
- فرحان، محمد جلّوب (1989). دراسات في فلسفة التربية. الموصل: جامعة الموصل.
- الفكيكي، هاني (1993). أوكار الهزيمة: تجربتي في حزب البعث العراقي. لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر.
- فهمي، محمد سيف الدين (1980). النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- قلعجي، قدرى (1961). تجربة عربي في الحزب الشيوعي. بيروت: دار الكاتب العربي.
- قمبر، محمود والساوي، محمد وجيه والبيلاوي، حسن حسين (1997) دراسات في أصول التربية. الدوحة: دار الثقافة.
- الكاظمي، نصير سعيد (1991). مساهمة في كتاب تاريخ الحركة العمالية في العراق حتى عام 1958. دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية.
- كرم، يوسف (1962). تاريخ الفلسفة الحديث. القاهرة: دار المعارف.
- الكواكبي، عبد الرحمن (1970). الأعمال الكاملة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- الكيالي، عبد الوهاب (1981). موسوعة السياسة. الأجزاء 1-7. محرر. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الكيلاني، شمس الدين (1998). أزمة الماركسية: التاريخ والمصير. دمشق: دار الحصاد.
- الكيلاني، موسى زيد (1990). الحركات الإسلامية في الأردن. عمان: دار البشير.
- كوهين، أمنون (1988). الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني (1949-1967). تعريب: خالد حسن. القدس: مطبعة القادسية.
- مادويان، أرتين (1986). حياة على المتراس: ذكريات ومشاهدات. بيروت: دار الفارابي.
- المارديني، زهير (1988). الأستاذ: قصة حياة ميشيل عفلق. لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر.
- محافظة، علي (1987). الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914). بيروت: الدار الأهلية للنشر والتوزيع.

-
- محافظة، علي (2000). أبحاث في تاريخ العرب المعاصر. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مرسي، محمد منير (1982). فلسفة التربية: اتجاهاتها ومدارسها. القاهرة: عالم الكتب.
- مرقص، إلياس (1964). تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي. بيروت: دار الطليعة.
- مروة، كريم (1970). الحزب الشيوعي اللبناني. محاضرة في النادي الثقافي العربي في بيروت، منشورة في كتاب القوى السياسية في لبنان. بيروت: منشورات النادي الثقافي العربي.
- المصاححة، محمد (1999). التجربة الحزبية السياسية في الأردن. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
- المعاينة، ناصر (1994). نشأة الأحزاب السياسية الأردنية. عمان: مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع.
- المنوفي، كمال (1987). أصول النظم السياسية المقارنة. الكويت: دار الربيعان للنشر.
- موسى، محمد أحمد (2002). التربية وقضايا المجتمع المعاصر. العين: دار الكتاب الجامعي.
- الموصلي، أحمد (2004). موسوعة الحركات الإسلامية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ميتشل، ريتشارد. ب (1978). الإخوان المسلمون. ترجمة عبد السلام رضوان. بيروت: دار القلم.
- النابلسي، شاكراً (2001). الفكر العربي في القرن العشرين. الجزء الأول. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- النجيجي، محمد لبيب (1981). الأسس الاجتماعية للتربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- النجيجي، محمد لبيب (1992). مقدمة في فلسفة التربية. بيروت: دار النهضة.
- النحلاوي، عبد الرحمن (1995). أصول التربية الإسلامية وأساليبها. بيروت: دار الفكر.
- نصار، ناصيف (1975). طريق الاستقلال الفلسفي: سبيل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع. بيروت: دار الطليعة.
- النفيسي، عبد الله (1989). الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية (محرر) القاهرة: مكتبة مدبولي.
- نقرش، عبد الله (1991). التجربة الحزبية في الأردن. عمان: مؤسسة آل البيت.
- نويهض، وليد (1988). السلطة والحزب: مقالات في الرد على الماركسية. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.
- نيلر، جورج (1977). مقدمة في فلسفة التربية. ترجمة: نظمي لوقا. القاهرة: عالم الكتب.
- هويدي، يحيى (1979). مقدمة في الفلسفة العامة. ط7. القاهرة
- اليوزبكي، سلطان وتوفيق، محيي الدين (1975). دراسات في الوطن العربي: الحركات الثورية والسياسية. الموصل: جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر.

الوثائق والأدبيات الحزبية

- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء الأول. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء الثاني. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء الثالث. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء الرابع. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء الخامس. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء السادس. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1976). نضال البعث: الجزء السابع. بيروت: دار الطليعة.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (2002). نضال البعث: الجزء الحادي والعشرون. بغداد: مكتب الثقافة والإعلام.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1965). المنهاج المرحلي. دمشق: مكتب الاعلام بالقيادة القومية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1966). المؤتمر القومي التاسع. دمشق: القيادة القومية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1967). بعض المنطلقات النظرية. دمشق: القيادة القومية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1967). بيان عن أعمال المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي. دمشق: القيادة القومية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1970). المؤتمر القومي العاشر. دمشق: القيادة القومية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1977). البعث العربي الاشتراكي. بغداد: وزارة الإعلام.
- حزب البعث العربي الاشتراكي. المناضل، المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي. الأعداد: 1977/103، 1978/114، 1979/125. دمشق: منشورات مكتب الدعاية والنشر في القيادة القومية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي (1978). التربية في ظل الثورة. بغداد.

- الحزب الشيوعي الأردني (1951). أعداد من جريدة "المقاومة الشعبية". شهر حزيران.
- الحزب الشيوعي الأردني (1983). الحزب الشيوعي في ذكرى تأسيسه الأربعين. عمان.
- الحزب الشيوعي الأردني (1983). برنامج الحزب.
- الحزب الشيوعي الأردني (1987). نشرة خاصة. عمان.
- الحزب الشيوعي الأردني (1987). التقرير السياسي.
- الحزب الشيوعي الأردني (1993). أعداد من صحيفة "الجماهير". شهر نيسان.
- الحزب الشيوعي الأردني (1994). أعداد من صحيفة "الجماهير". شهر كانون الثاني.
- الحزب الشيوعي الأردني (1995). أعداد من صحيفة "الجماهير".
- الحزب الشيوعي السوري (1964). صفحات من تاريخ الحزب. (لا م). (لا ن).
- الحزب الشيوعي السوري (1974). قضايا الخلاف في الحزب الشيوعي السوري. (لا م). (لا ن).
- الحزب الشيوعي السوري (1980). وثائق المؤتمر الوطني الخامس. (لا م). (لا ن).
- الحزب الشيوعي السوري (1987). وثائق المؤتمر الوطني السادس. (لا م). (لا ن).
- الحزب الشيوعي السوري (1991). وثائق المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي السوري. دمشق.
- الحزب الشيوعي السوري (1991). وثائق المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري. دمشق.
- الحزب الشيوعي العراقي (1976). وثائق المؤتمر الوطني الثالث. دمشق. (لا ن).
- الحزب الشيوعي العراقي (1985). وثائق المؤتمر الوطني الرابع. دمشق. (لا ن).
- الحزب الشيوعي العراقي (لا ت). وثائق المؤتمر الوطني الخامس. دمشق: منشورات الحزب الشيوعي السوري.
- الحزب الشيوعي العراقي (1997). من وثائق المؤتمر الوطني السادس. موقع الحزب على شبكة الإنترنت:
- الحزب الشيوعي العراقي (1997). الوثيقة البرنامجية للمؤتمر الوطني السادس. دمشق.
- الحزب الشيوعي العراقي (1999). وثائق المجلس الحزبي العام الخامس للحزب.
- الحزب الشيوعي العراقي (1999). التقرير السياسي للمجلس الحزبي الخامس. موقع الحزب على شبكة الإنترنت:

- الحزب الشيوعي الفلسطيني (1983). البرنامج - اعمال المؤتمر الأول. دمشق. (لا ن).
- الحزب الشيوعي الفلسطيني (1999). البرنامج السياسي (لا م). (لا ن).
- الحزب الشيوعي اللبناني (1969). من مقررات المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني.
- الحزب الشيوعي اللبناني (1971). نضال الحزب الشيوعي اللبناني من خلال وثائقه.
- الحزب الشيوعي اللبناني (1974). جامعة ديمقراطية . بيروت: دار الفارابي.
- الحزب الشيوعي اللبناني (1993). قرارات المؤتمر الوطني السابع الاستثنائي. بيروت: دار الفارابي.
- الحزب الشيوعي اللبناني (1998). الوثائق التحضيرية للمؤتمر الوطني الثامن. بيروت: منشورات الحزب الشيوعي اللبناني.
- الحزب السوري القومي (1971). في العقيدة السورية القومية الاجتماعية. بيروت. (لان).
- الحزب السوري القومي (2003). نشرة عمدة الإذاعة. بيروت: منشورات الحزب السوري القومي الاجتماعي.
- جماعة الإخوان المسلمين في سورية (1999). موجز تاريخ جماعة الإخوان المسلمين في سورية من مرحلة التأسيس حتى منتصف التسعينات. (لا م) (لا ن).
- جماعة الإخوان المسلمين في الأردن (1976). القانون الأساسي.
- جماعة الإخوان المسلمين في الأردن (2000). مشروع تطوير المنهج التربوي لجماعة الإخوان المسلمين.

المراجع باللغة الأجنبية

- Abu Jaber, kamel (1966). The Arab Ba-th Socialist Party, History, Ideology and Organization. New York: Syracuse University press. -
- Cohen, Amnon (1982). Political Parties in The West Bank Under The Jordanian Regime (1949-1967). New York: Cornell University Press Ithaca -
- Dawn, C. Ernest (1973). From Ottomanism to Arabism. University of Illinois Press. -
- Hana, G. (1985). Marxist Philosophy. 3rd printing. Moscow. -
- Khadduri, Majid (1960). Independent Iraq 1932-1958. London: Oxford University Press. -
- Lu palombara, Joseph and Weiner, myron (1972). Political Parties and Political Development. New jersey: Princeton University Press. -
- Patia, Raphael (1973). The Arab Mind. New York: Charles Scribners's Sons. -
- Macridis, Roy (1969). The History, Functions and Typology of Parties. In: macridis, Roy, ed., political parties, contemporary trends and ideas. New York: Harper and row publishers. -
- Vandam, Nicolas (1984). The Struggle For Power in Syria (1961-1980). Croom helm: ltd publishers. -

مواقع على شبكة الإنترنت:

- جماعة الإخوان المسلمين في الأردن: www.ikhwan-jor.org
- جماعة الإخوان المسلمين في سورية: www.ikhwan-muslimoon-syria.org
- حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية: www.baath-party.org
- حزب الشعب الفلسطيني: www.palpeople.org
- الحزب الشيوعي السوري: <http://kassioun.org>
- الحزب الشيوعي العراقي: www.iraqcp.org
- الحزب الشيوعي اللبناني: www.lcparty.org
- الحزب السوري القومي الاجتماعي: www.ssnp.net
- الحوار المتمدن: www.regarz.com